الشيخ حسن توفيق العدل وفكره التربوي وتطبيقاته التربوية المعاصرة
(دراسة تحليلية)

إعداد

السيد أحمد علي عامر

ماجستير أصول التربية ومعلم بالأزهر الشريف

تقديم

الأستاذ الدكتور

مصطفى رجب

أستاذ ورئيس قسم أصول التربية

بكلية التربية جامعة سوهاج

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

٩٢٣.٧٦٢
عامر ، السيد أحمد .
ع.ا **الشيخ حسن توفيق العدل وفكره التربوي وتطبيقاته التربوية المعاصرة / السيد أحمد عامر.- ط١.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع .**
٢٧٢ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .
تدمك : ٦ - ٦٨٨ – ٣٠٨ – ٩٧٧ – ٩٧٨
١. التربويون - المصريون . ٢. العدل - حسن توفيق،١٨٦٢-١٩٠٤
أ - رجب، مصطفى (مقدم). ب- العنوان .

رقم الإيداع : ٥٢١٦ .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
E-mail: elelm_aleman٢٠١٦@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

[سورة فاطر: الآية ٢٨]

صدق الله العظيم

إهداء

إلى روح من أرضعتني الحب والحنان

إلى روح رمز الحب وبلسم الشفاء

إلي روح أبيض قلب في الحياة

أسال الله العظيم الفردوس لكي منزلاً أمي الغالية

إلى الأستاذ الدكتور/

مصطفى رجب أطال الله في عمره وحفظه وسدد خطاه.

القائمين على العملية التربوية والتعليمية بالوطن العربي.

إلى كل من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا. اهدي هذا العمل المتواضع.

محتوى الفهرس

محتوى الفهرس ٤

الفصل الأول أحوال المجتمع المصري أثناء حياة حسن توفيق العدل (١٨٦٢ـ١٩٠٤م) ٦

الفصل الثاني (فكر العدل ومؤلفاته)............................... ٥٨

الفصل الثالث الأصول الفلسفية لفكر العدل التربوي.............. ١٠٨

الفصل الرابع (مجالات وأساليب التربية في فكر العدل التربوي) . ١٦٤

الفصل الخامس بعض قضايا التربية والتعليم عند العدل وتطبيقاتها المعاصرة... ٢٤٠

الفصل السادس الاستفادة المعاصرة من فكر العدل التربوي ٢٨٢

التوصيات العامة:... ٢٩٩

الفصل الأول

أحوال المجتمع المصري أثناء حياة حسن توفيق العدل

(١٨٦٢-١٩٠٤م)

تمهيد:

إن وعي أي امة واعتزازها بتراثها يجعل من واجبها التنويه بأعلامها البارزين الذين أسهموا في عطائها الحضاري وإنجازها العلمي، وإن الأمم تتباهى وتتفاخر وتعتز بمقدار ما لديها من هذه القمم البشرية التي تركت بصماتها علي الثقافة والحضارة والتاريخ والتربية، وإن دول العالم الثالث ليست خالية تماماً من الإنتاج الفكري الجيد الذي يمكن أن يضيف، وإنما هي مشكلة مجتمعات، "فالمغلوب مولع دائما بتقليد الغالب"(١).

وإذا كان قياس الأمم بأفرادها الأعلام كمًا وكيفًا صحيحًا، فان الأمة العربية يعلو قياسها في هذا المضمار، إذ كان لأعلامها السبق في دفع عجلة الحضارة والثقافة وإيصالها إلى المستوى المطلوب اللائق بإنسانية الإنسان ومنزلة الأمة العربية والإسلامية، وضمن هذا الإطار سوف نتطرق إلى ذكر علم من أعلام الفكر التربوي العربي وهو المفكر والكاتب والشاعر الشيخ حسن توفيق العدل في محاولة لمعرفة أسس الفكر التربوي المعاصر، ومن أجل التحرر من الغرب ثقافيًا وتكنولوجيًا وتربويًا، "وهذا لا يتحقق إلا إذا عرفنا

---

١) سعيد إسماعيل علي، **فلسفات تربوية معاصره**، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٥، ص١٦٣.

ماضينا وما به من تراث، وحاضرنا وما فيه من إمكانيـــات، ومســـتقبلنا وما له من أهداف ومطامع"[1].

ويحظى الفكر التربوي باهتمام متميز،كونه المنطلق الأساسي لتكـــريس قيم الأصالة في المجتمع، والمرتكز الأهم في بناء مستقبل يحقق استثمارًا أمثل لمعطيات الحاضر مجسدًا من خلال ذلك تطلعات الفرد والمجتمع على حد سواء في إطار مشروع حضاري متكامل، وإذا كان الهدف الأساسي للفكـــر التربـــوي هو ذلك المشروع الحضاري فإنه يستند بالضرورة إلى عملية التواصـــل بـــين الماضي والحاضر والمستقبل من جهة والتفاعـــل مـــع معطيـــات المجتمعـــات البشرية على اختلاف نماذجها زمنياً ومكانياً من جهة أخري.

وترجع أهمية دراسة أحوال المجتمع المصري في فترة حياة العدل إلى أن الإنسان نتاج لتفاعل مجتمعه سواء كانـــت سياســـية أو اقتصـــادية أو اجتماعية أو ثقافية حدثت خلال حياته، وكان لها التـــأثير المباشـــر وغيـــر المباشر في تشكيل فكره التربوي فلا يمكن عزل المفكر عن مجتمعه لأنـــه متصل بالبيئة يتأثر بها ويؤثر فيها.

وكانت حياة العدل ما بين عام (١٨٦٢ إلى ١٩٠٤م) ويعني ذلك أنـــه كان في عصر خلفاء محمد على وعاصر في فترة شبابه الاحتلال البريطاني لمصر ومات مع تطلع الشعب المصري إلى الاستقلال ونمو الروح الوطنيـــة لديه وخروج الزعامات الوطنية وتكوين الأحزاب السياسة.

---

١) فاخر عاقل، **دراسات في التربية العامة والتربية العربية**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣،١٩٧٨م، ص٩.

أولاً: الحياة السياسية:

شق الشعب المصري في عهد خلفاء محمد على طريقًا مفروشًا بالأشواك، كان يتطور تطور طبيعيًا بطيئًا على الرغم من مختلف العراقيل التـــي اســـتدعاها تفضيل العناصر الأجنبية عليه في عقر داره، وكانت بـــذور القوميـــة المصـــرية بمعناها الحديث قد ألقيت في عصر محمد على نفسه، ووضع نواة الجيش الأهلي المصري، وشكل التعليم الوطني، وبـــدأت تبـــرز الـــدواوين والإدارات الجديـــدة، والوزارات المختلفة.

والذي أثار في المصريين شيئًا من النعرة والأنفة والنظـــام الجـــيش الأهلي فلم يكن لمصر جيش منذ بدء انهيار الإمبراطوريـــة المصـــرية فـــي أواخر العصر الفرعوني، ومن هنا كان تجنيد المصريين في عصـــر محمـــد على خطوة أساسية في إعادة ثقة المصريين بأنفسهم، ووضع حد لمقولـــة أن المصريين غير جديرين بحمل السلاح[1].

١. الحياة السياسية في عصر الخديوي إسماعيل(١٨٦٣-١٨٧٩م).

كان مولد العدل في نهاية حكم الخديوي محمد ســـعيد (١٨٥٤ :١٨٦٣م) وبداية ولاية الخديوي إسماعيل وعلى الرغم من ركود تيار النهضة في عهد كـــل من الخديوي عباس حلمي الأول والخديوي محمد سعيد خليفتي محمد على فـــأن الخديوي إسماعيل قد استطاع أن يواصل أعمال جده، وعزم على أن يجعل مصر قطعة من أوروبا، وكانت له في ميدان الإصلاح خطوات موفقة حيث فتح ما كان

١) عبد المنعم أبو بكر و آخرون،كفاحنا ضد الغزاة، القاهرة، دار الكتب والوثائق المصرية،٢٠١١م، ص١٠.

قد أغلق من المدارس في عهد عباس وسعيد بل زاد عليها، وأعاد إرسال البعثات إلى أوروبا وأستقدم أساتذة أجانب للتدريس، كما شـجع العلمـاء علـى التأليف وعمل على نشر الثقافة بطرق كثيرة كتشجيع الصحافة، وإنشاء المكتبات ورعاية النوادي الأدبية والعلمية(١).

ويمكن أن نقول على العصر الذي نشأ فيه العدل وكانت ولايـة إسـماعيل فيه أنه عصر التجدد الاجتماعي، ففيه أخـذت الهيئـات الاجتماعيـة المصـرية تتطورإلى حالات جديدة، وتقتبس من أساليب المجتمع الأوربي وعاداتـه، ومـال الناس إلى محاكاة الأوربيين في المسكن والملبس والمأكل وسائر أنماط الحيـاة وكان انتشار التعليم من العوامل التي ساعدت على هـذا التطـور فـإن الطبقـة المتعلمة أمثال العدل بحكم دراستها علوم أوروبا ولغتها صارت طليعـة الطبقـات الأخرى في تقليد الغرب واقتباس عاداتهم وأساليبهم.

ورغم هذا التطور الذي حدث في المجتمع كان إسماعيل يحكم البلاد حكمًـا مطلقًا ويتولاه بنفسه، وظلت كل صغيرة وكبيرة مـن شـئون الحكومـة رهـن إشارته، وكان رئيس الحكومة، ورئيس النظارة آن ذاك الوقت مجرد موظف لدي الخديوي يعينه ويعزله متى شاء، ولم يكن لمصر قبـل سـنة ١٨٧٨م مجلـس وزراء بل كان المجلس الخصوص العـالي الـذي يضـم النظـارات المختلفـة والباشاوات الذين يصطفيهم الخديوي ورغم صغر سن إسماعيل حينمـا اعتلـى عرش مصر وهو في الثانية والثلاثين من عمره بعد موت عمه سعيد في ينـاير ١٨٦٣م وحظي بسمعة ذهبية بين القناصل الأجانب فقد وصفه القنصل البريطاني

١) مصطفي السيد زايد، أدب مصر الحديث،القاهرة، (د.ن)، ص٥.

العام بأنه الشخص الوحيد في أسرته الذي يبدو أنه يملك شيئاً من النظـــام في شئونه الخاصة وأنه ليس مبذرًا[1].

ولقد ثبت عدم صدق وصف القنصل البريطاني في كونه إسماعيل لـــيس مبذرًا لأنه حاول أن يسير على نهج محمد على في تحديث مصر والاستقلال بها عن الإدارة العثمانية ولكن بطريق التودد ودفع الرشـــاوى لـــذوي القربـــى فـــي الأستانة؛ فقد حصل بذلك على لقب خديوي مصر سنة ١٨٦٧م كما حصل علـــى وراثة العرش في أنجاله، ووسع أملاك مصر في إفريقيا وافتتح قنـــاة الســـويس للتجارة العالمية كل هذا البذخ والترف بالإضافة إلى الاقتراض من الخـــارج أدى في النهاية إلى تدخل انجلترا وفرنسا في شئون مصر بحجة حماية ديونها.

ويقول: عبد الرحمن الرافعي بينما كان إسماعيل يعمل على التحـــرر مـــن بقايا السيادة التركية إذ هو يفادي مصر من النيران الأجنبـــي المـــالي الأوربـــي بحيث السيطرة الأجنبية المتمثلة في صندوق الدين وفرض الرقابة الثنائية علـــى مالية البلاد[2]، وأدت الأزمة المالية التي وقع فيها إسماعيل إلى فرضـــه قـــانون المقابلة وينص على إعفاء كل من يدفع ضريبة الأرض لست سنوات مقدمًا مـــن نصف الضريبية إلى الأبد، وأقبل كثير من الملاك على دفـــع المقابلـــة واضـــطر بعضهم إلى الاستدانة للقيام بهذا الإجراء المغري وبعد أن كان الدين اختيارياً فـــي مبدأ الأمر فأنه أصبح إجباريًا وقدرت الأموال التي جمعت بهذه الطريقة بنحو ١٥ مليون جنيه وهكذا دفع إسماعيل مصر نحو هاوية الإفلاس[3].

---

١) جون مارلو، **تاريخ النهضة الاستعمارية**، ترجمة عبد العظيم رمضان، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص ١٧٠.
٢) محمد مورو، كفاح شعب مصر عصر محمد علي، القاهرة، مطبعة الغد، ٢٠٠٧م، ص٢٦٦.
٣) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية (١٨٧٦-١٨٨٢م)، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١١م، ص ٢٤.

ما فرضته الأزمة المالية على إسماعيل:

١. **بيع أسهم قناة السويس:** أمام شدة احتياج إسماعيل إلى المال نجده في نوفمبر ١٨٧٥م يطرح في السوق المالية قرضًا ضماناته أسهم مصر في قناة السويس وقدرها ١٧٦ ألف سهم مقابل أربعة ملايين، ولما كانت هناك أزمة سياسية في فرنسا، ولا تريد إغضاب انجلترا بعقد هذه الصفقة لوقوفها بجانبها في أزمتها السياسية فانتهزت انجلترا الموقف ودفعت الأربع ملايين لإسماعيل في فبراير ١٨٧٦م.

وبهذه الصفقة الخاسرة أضاع إسماعيل مالًا عظيمًا لشركة القناة، وعرّض استقلال مصر للخطر وخسرت مصر خسارة فادحة من بيع أسهم قناة السويس فقد أشترتها انجلترا بثمن بخس أربعة ملايين من الجنيهات على حين أن ثمنها بلغ ٣٢ مليون جنيه عام ١٩٠٥م ثم صعد إلى ٧٢مليون جنيه سنة ١٩٠٩م وبذلك يكون إسماعيل قد سلم مصر إلى التدخل الأجنبي السريع للدول الأجنبية وخاصة انجلترا وفرنسا[١].

٢. **صندوق الدين العام:** ومع زيادة حدة الأزمة المالية في مصر أخبر إسماعيل الجنرال (ستانتون*Stanton*) قنصل بريطانيا العام في مصر أنه شديد الرغبة في الحصول على موظفين حكوميين يتميزان بالكفاءة ولهما خبرة وثيقة بالنظام المتبع في وزارة مالية صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا كي يساعدا وزير المالية المصري على إصلاح ماليته ويبدو أن إسماعيل كان بحاجة إلى موظفين يشرف أحدهما على الدخل والآخر على

١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بيع أسهم مصر في قناة السويس، تاريخ الزيارة ٢٠١٥/١١/٢٠م.

٣. المصروفات حسب ما تقضيه أوامر وزير المالية المصري[١].

فكانت بعثة (ستيفن كيف *Stephen cave*) الشهيرة وخروج تقريرها في ٤ ابريل ١٨٧٦م ونشر التقرير الذي ذهب إلى أن مصر تعاني الجهل وفساد الذمة والتبديد والإسراف في نفس الوقت الذي تعاني فيه من النفقات الباهظة الناجمة عن الاستعجال في اقتباس الحضارة الغربية، ثم اقترح تثبيت وتوحيد الديون بفائدة معتدلة تتماش مع موارد البلاد، وبعد مفاوضات عديدة بين مصر والدول الدائنة توحد الدين في ٧ مايو ١٨٧٦م ليصل إلى ٩١ مليون جنيه بفائدة ٧% من رأس المال الاسمي على أن يتم استهلاكه في ٦٥ سنة، وأن فكرة صندوق الدين العام تضع حداً للصراع الدبلوماسي الذي استمر حوالي نصف عام بين ممثلي الدول الدائنة والخديوي إسماعيل، وهذه التسوية رغم اعتدالها إلا أنها كونت أول ضربة لإسماعيل في جعل الدائنين دولة داخل الدولة، وكل هذه الأزمات أدت في النهاية إلى أزمة الثورة العرابية والتدخل البريطاني الصريح في مصر[٢].

٤.المراقبة الثنائية: بمرسوم ١٨ نوفمبر ١٨٧٦م تبدأ فترة من تاريخ مصر تعرف عادة باسم الحكم الثنائي وكان المراقبان اللذان وضع في أيديهما الأشراف على مالية مصر وبالتالي على حكومتها متساويين تمامًا في اللقب والرتبة، وكانت اختصاصاتهما متساوية في الأهمية ويصعب المساس بأي شيء دون موافقة الدولتين الغربيتين، وادي التسامح من

---

١) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مسودة رسالة رقم(١) من وزارة الخارجية، رسالة إلى كيف في أول ديسمبر ١٨٧٥م، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.

٢) أحمد عبد الرحيم مصطفي، **الوثائق الفرنسية(مصر)**، ج ٥٧، بتاريخ ١٨٧٦/٥/٩م وأخري بتاريخ ١٨٧٦/٥/٢٩، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.

٥.جانب إسماعيل مع المراقبين بشكل خاص، والأوربيين بشكل عام إلى تزايد أعدادهم في مصر واستغلالهم غالبية موارد الدولة بحجة الاستثمار[١]، ومن مساوئ المراقبة الثنائية على مصر أنها تجاهلت الشعب المصري في الوقت الذي كرّست فيه اهتمامه بمصالح الدائنين الأوربيين، فالفلاحون البائسون كانوا باستمرار يتعرضون لضغط جُباة الضرائب، وبخاصة عندما يحين دفع أقساط الديون[٢].

ورغم المراقبة الثنائية في عهد إسماعيل وتدخل كل من إنجلترا وفرنسا في شئون مصر لحماية مصالح الدائنين من الأوربيين إلا أنه يكمن الخطر الأكبر في عهد توفيق بعد توالد المشاكل والأزمات التي جاوزت في خطورتها وعواقبها ما حدث في عهد إسماعيل[٣]، ومع نهاية حكم إسماعيل أصبحت مصر على حديد ساخن في الصراع السياسي بين كل من الخديوي إسماعيل من ناحية وبين الدول الدائنة من ناحية أخري، بل وكان صراع بين فرنسا وانجلترا من ناحية ثالثة، وصراع آخر رابع بين العثمانيين في مصر إلا أنه أقل تأثير من صراع السابقين ومع زيادة تدخل الدول الدائنة وسوء المعاملة التي كان يتلقاها المصريين منهم ومن الأتراك على حد سواء، وعدم حصول الجنود والضباط المصريين على مستحقاتهم وفساد الأحوال بصفة عامة قامت الثورة العرابية وساندها الشعب، ولم يستطع الخديوي السيطرة على الموقف فكان لابد من الاستنجاد بالإنجليز الذين انتهزوا الفرصة وأخمدوا ثورة عرابي، وفرضوا سلطانهم على البلاد.

---

١) هادي جبار حسونة المحمودي، **الخديوي إسماعيل (حياته ودوره السياسي والعسكري)**، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٤م ص ١١٥.

٢) أحمد عبد الرحيم مصطفي، **الوثائق الفرنسية(مصر)**، القاهرة، دار الكتب والوثائق المصرية، ج ٥٨، بتاريخ ١٨٧٦/٦/١٠م.

٣) عبد الرحمن الرافعي، **الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩م، ص٢٢.

يقظة الرأي العام في مصر:

وبدأت في أواخر السبعينيات من القرن التاسع عشر نتيجة عدة عوامل تفاعلت وكان لها أثرها في نمو الرأي العام المصري هي:

١. الحرب الروسية التركية التي اشتركت فيها مصر وأثارت انتقادات المصريين.

٢. وجود جمال الدين الأفغاني بمصر وتمتعه بشخصية قوية وأفكاره الثورية والإصلاحية قد اجتذبت خلاصة المثقفين المصريين، وظهر جيل جديد متفتح الأفكار ثوريًا متحررًا تحت رعايته حتى كان له الفضل في الكثير من تطور تاريخ مصر الحديث والمعاصر(١).

٣. ظهور عدد من الصحف المستقلة، وكان جمال الدين من وراء ظهور هذه الصحف التي ما لبثت أن أصبح لها صدي عميق بسبب شدة اهتمام المثقفين بأحداث الحرب الروسية التركية، وتصدت هذه الصحف لقضيتين رئيسيتين: هما التدخل الأجنبي والحكم المطلق لإسماعيل، وبتشجيع من الأفغاني قامت العديد من الصحف مثل صحيفة "أبو نضارة" التي أغلقت بعد عددها الخامس عشر ورحل "يعقوب صنوع" رئيس تحريرها إلى فرنسا، وصحيفة الوطن التي كانت ذات طابع سياسي وأدبي، وجريدة مصر التي كان جمال الدين يرسم خطتها ويكتب بنفسه بعض مقالاتها وأطلق عليها اسم "مصر الفتاة"(٢).

١) أحمد عبد الرحيم مصطفي، أفكار جمال الدين الأفغاني السياسية، القاهرة، **بحث منشور بالمجلة التاريخية المصرية**، المجلد العاشر،١٩٦٢م، ص١٣٢.
٢) فيليب طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، الجزء الثالث، مكتبة بيروت، لبنان، ١٩١٣م ص ١٣.

٤. **المطالبة بقيام حكم نيابي حقيقي: خاصة بعد مجيء عدد من الناشـرين السوريين الذين يتمتعون بالحماية الفرنسية، وانتهزت الصحافة فرصـة تولي وزارة نوبار باشا وشنت هجوم على الوزارة ونادت بـأن تكـون الوزارة مسئولة أمام مجلس شورى النواب، ونشرت صحيفة "الـوطن" الصادرة في ٢٨ ديسمبر ١٨٧٨م ضرورة وجود برلمان يقـر النظـام والعدالة ويساعد على تنظيم وتطوير كل نظم الدولة، وذهبت إلى أن من شأن الحكم المطلق أن يجعل من الحاكم عدوًا للشعب[١].**

أدت يقظة الرأي العام وتخبط سياسة الخديوي إسماعيل الداخلية في مواجهة العلماء والمثقفين والداعين إلى الإصلاح والمطالبين بحيـاة نيابيـة حقيقة لها سلطاتها، ورفض التدخل الأجنبي بكل أشكاله في الشئون الداخلية المصرية، وسياسته الخارجية إلى كسب ود الدول تـارة والاصـطدام معهـا آخري، وخاصة بين كل من تركيا وفرنسا تارة، وانجلتـرا والـدائنين تـارة آخري أدي في النهاية إلى الإطاحة به من الحكم.

خلع إسماعيل:

وفي أوائل ابريل ١٨٧٩م أرسل قنصل فرنسا بالأستانة وثيقـة إلـى فرنسا فحواها أن السلطان على استعداد لخلع إسماعيل بسبب طمعه وسوء إدارته، وتحقيقًا لرفاهية المصريين، وأنه سيطبق فرمانات ١٨٤١م ويـولي الأمير حليم الذي يتطلب تنصيبه التعضيد المعنوي من جانب فرنسا وانجلترا له[٢]،وفي نفس ذلك الوقت حث قنصلا الدولتين في القاهرة حكومتيهما على

---

١) أحمد عبد الرحيم مصطفي، من تراثنا الديمقراطي، **مجلة الهلال**، يونية١٩٦٥م.

٢) دار الكتب والوثائق المصرية،**الوثائق الفرنسية التركية**، القاهرة، ، ٤٣٧، رقم ١٠٩ بتاريخ ١٠ ابريل ١٨٧٩م.

خلع إسماعيل وتعيين لجنة لتصفية الديون، فرأت الدولتين أن تولية الأمير حليم لا يصب في مصالح لندن وباريس؟ لأنه خاضع إلى حد كبير لنفوذ السلطان العثماني فاتفقت الحكومتان على أن تنصحا إسماعيل بالتنازل عن العرش لابنه توفيق على أن يخصص له راتب سنوي إذا ما وافق على اقتراحهما، ولا يتعرض نظام العرش إلى أي خطر، وقبل أن يصدر السلطان فرمان بعذله، ولا يخصص له راتب، ولا يأمن وراثة العرش، وكان من المتوقع أن يرفض إسماعيل طلب كل من انجلترا وفرنسا رغم الفتور والجفاء وتقطع الروابط بينه وبين السلطان العثماني(١).

ومع الضغط المتواصل بالطرق الدبلوماسية من قبل كل من انجلترا وفرنسا على الأستانة جمع السلطان العثماني وزرائه في ٢٥ يونيه ١٨٧٩م وظل يتشاور معهم وقرر خلع إسماعيل لسوء حكمه وإسرافه، وأرسل بذلك تلغراف إلى الخديوي إسماعيل، وآخر لكل من سفير انجلترا وفرنسا وقد استعد للمقاومة ولكن علمه أن الشعور العام في الجيش كان معاديًا له، ورغم أن الضباط أقسموا على طاعته والدفاع عنه فمن الواضح أنه كان الدفاع عنه ضد انجلترا وفرنسا وليس ضد السلطان العثماني(٢).

ويذكر محمد عبده في مذكراته أنه لم يمضي وقت طويل على سقوط الوزيرين الأوربيين حتى حول إسماعيل أموال من وزارة المالية له خاصة، وكان تعليق محمد عبده أن هذه الحادثة أكدت ما ذهب إليه العقلاء من أن إسماعيل لا يحترم وعوده، ولهذا فكرت البلاد في التخلص منه، ومساندة

---

١) عبد الرحمن الرافعي، **عصر إسماعيل**، الجزء الثاني، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، ص ١٤.

٢) دار الكتب والوثائق المصرية،**وثائق وزارة الخارجية الفرنسية**،القاهرة،مسودة الرسالة رقم ٣٨٦ من لاسيلز إلى وزارة الخارجية بتاريخ ٢٦ يونيه ١٨٧٩م.

الأمير محمد توفيق، وعم البلاد شعور بالارتياح بعد خلع إسماعيل وشنت الصحف حربًا على إسماعيل وعلى الحكام الذين عينهم وجعلوه السبب الحقيقي في بؤس مصر[1]، لهذا كله سلم إسماعيل دون أدني مقاومة، وبأمر الدولتين ترك البلاد في ٢٨ يونيه ١٨٧٩م وأقام "بنابولي" حتي عام ١٨٨٧م ثم انتقل إلى الأستانة وقضي بها ما تبقي من عمره، ومن الواضح أن توفيق لم يبدي عطفًا على والده كل هذه الفترة بل طالب كل من انجلترا وفرنسا أن تسانداه، وتحيل رجوع والده إلى مصر وبذلك أصبح خلع إسماعيل بمثابة نهاية لحياته السياسية[2].

٣. الحياة السياسية في عصر توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢م):

استبشر المصريون استبشار كل من انجلترا وفرنسا خيرًا بتوليه توفيق الذي بدأ أحسن بكثير من والده، وكان يؤمن بمبادئ الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، ولكنه سرعان ما أفصح عن شخصيته الحقيقة؛ لأنه لم يكن يحظ باحترام البلاط الملكي، ولا عناية أبيه؟ لأن والدته كانت احدي جواري إسماعيل وكان والده يضيق عليه من اتصاله بالدول الأجنبية، ويفضل أخويه عليه، ويظهر لنا بذلك سبب عدم مطالبة توفيق برجوع أبيه وسبب أيضًا انضمامه للمعارضة في أواخر عهد والده واتصاله بجمال الدين الأفغاني منذ مجيئه إلى مصر عام ١٨٧١م[3].

---

١) إبراهيم عبده، **تطور الصحافة المصرية وآثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية**، القاهرة، ١٩٤٥م، ص٩٨.

٢) أحمد عبد الرحيم مصطفي، **مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦-١٨٨٢م**، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠١١م، ص ١٠٧.

٣) طاهر عبد الحكيم، **الشخصية الوطنية المصرية قرأت جريدة لتاريخ مصر**، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، ص ١٥٤.

وما أن تولي توفيق العرش حتى بذلت المحـاولات لإقناعـه بـدعوة برلمان جديد يقوم على أسس أكثر ديمقراطية ففي ١٧مـايو١٨٧٩م قـدم شريف إلى المجلس مشروع لائحة دستورية وانتخبت لجنه فرعية لمناقشتها ولكن خلع إسماعيل عرقل نشاط اللجنة، وحين اجتمع المجلس في ٦ يوليه أي بعد مرور أقل من أسبوعين علـى توليـه توفيـق طولـب الأعضـاء بالانصراف(١)، وكان توفيق يعتبر الحركة الدستورية مجرد زينه مسـرحية واقنع نفسه بأن البلاد غير مهيأة للنظام الدستوري وذلك لعدة أسباب:

الأول: إن النظام الدستوري لا يتفق مع الحكم الثنائي التي فرضته الدولتان لأن البرلمان المصري سوف يشرف على المالية للـبلاد وهـذا الأمـر أعتبـره الدائنون الأوربيون أمرًا خاصًا بأوربا لا بمصر.

أما الثاني: فإن توفيق كان يميل إلى الحكم المطلق نزولًا على رغبات كل من انجلترا وفرنسا؛ لأنه كان يخشي عودة والده إلى مصر مره أخري ولا يجرؤ على التصدي لنظام الإدارة الدولية حتى ولو أُتيحت له الفرصة فاقتنع بأن المحافظة على عرشه تقتضي الاعتمـاد علـى الـدولتين والانصـياع لإرادتهما ولذلك رفض اعتماد مشروع اللائحة التي قدمها له شريف بحجة أن الدولتين لن توافق عليها(٢).

وكان المصريين في نظر توفيق والدولتين ليسوا أهلًا لممارسة الحقـوق الدستورية، ولا أن يكون لهم مجلس نيابي وحكومة ديمقراطية بالمعنى المفهوم في الغرب ولهذا ينبغي التدرج في إعـداد المصـريين لأن يحكمـوا أنفسـهم بأنفسهم(٣)، ومع احتقان الحالة السياسية في مصر مع بداية عهد توفيق

---

١)عبدا لرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، الجزء الثاني، **مرجع سابق**، ص٢٣٧.
٢) عبدا لرحمن الرافعي، الثورة العرابية الاحتلال الانجليزي، **مرجع سابق**، ص٣٠.
٣) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون، **التاريخ القومي**، القاهرة، دار سعد، (د.ت) ص١٧.

والصراع السياسي الذي أدى إلى التدخل الأجنبي بشكل مباشر في مصر من انجلترا بعدما كان الانجليز يتحاشون الإفصاح عن نواياهم في احتلال مصر ووجدوا أنفسهم أمام اختيار واحد من أمرين صعبين: "إما الإسراع بترك مصـــر تهدئة للدول الكبرى وإما البقاء بها بقاءً يؤدون عنه ثمنًا غاليًا من مصـــالحهم في جهات أخرى من العالم"(١).

وبدأ الضغط يظهر على الساحة الداخلية لمصر وخاصة بعدما تـــولي رياض باشا الوزارة فطرد جمال الدين من مصر وفصل محمد عبده مـــن خدمة الحكومة وأعيد إلى قريته وحذر من القيام بأي نشـــاط عـــام ووجـــه رياض حملة كبت ضد الصحافة وصودرت بعض الصحف كل ذلك أدي إلـــى ظهور حركة داخل الجيش المصري وداخل المجتمع المصري بصفة عامـــة وأصبح نداء الأفغاني يردده المجتمع بأسره "شقوا صدور المستبدين بكم كما تشقوا الأرض بمحاريثكم عيشوا كباقي الأمـــم أحـــرار ســـعداء أو موتـــوا شهداء"(٢).

الثورة العرابية (١٨٨١-١٨٨٢م) والاحتلال البريطاني:

أدرك المصريون عجز كل من الخديوي توفيق وحكومته عن التصدي للاستعمار والدفاع عن حقوق البلاد فلم يكن ثمة مناص من قيـــام الشـــعب للدفاع عن نفسه وعن كيانه مواصلًا الكفاح الذي بدأه الضباط في قصر النيل في هذه الفترة وساندته الصحافة فقامت ثورة (١٨٨١-١٨٨٢م) التي اطلع العرف على تسميتها بالثورة أو الحركة العرابية لتزعم عرابي لها"(٣).

---

١) طارق البشري، **سعد زغلول يفاوض الاستعمار**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص.١٥

١) طاهر عبدالحكيم، **الشخصية الوطنية المصرية**، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٨٦م، ص ١٥٧.

٣) عبد المنعم ابو بكر وأخرون، **كفاحنا ضد الغزاة**، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١١م، ص٢٩٦.

ومن هذا التاريخ حتى إعلان الحماية البريطانية على مصر وفصلها عن تركيا في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤م ليس لها حق شرعي رغم تواجد القوات البريطانية بها(١) وظل الشعب المصري يقاوم سياسة الاحتلال طوال هذه الفترة وازداد قوته وارتفعت روحة المعنوية بعد أن حصل على ما يريد وخاصة بعد تعيين عرابي وكيلًا لوزارة الحربية في أوائل عام ١٨٨٢م وشعرا الخديوي توفيق بعجزه أمام قوة الشعب المصري وأمام الثورة العرابية فما كان منه إلا أن يستنجد بالإنجليز ليفرض سلطته على البلاد وليقضي على الثورة الشعبية.

ورغم ذلك أعلنت بريطانيا أن الغرض الأساسي من احتلالها لمصر عام ١٨٨٢م هو إعادة سلطة الخديوي وقمع الثورة العرابية ثم الجلاء عن البلاد إلا أن الأحداث دلت على أن الغرض الحقيقي هو استدامة احتلال بريطانيا لمصر، وبسط سيطرتها عليها وذلك بأسلوب مقنع لتفادي اعتراض الدول.(٢)

سياسة بريطانيا بعد الاحتلال:

وعملت بريطانيا بعد الاحتلال على إذلال المصريين وإبقائهم في قبضتهم أطول مدة ممكنه وسلكوا لذلك عدة طرق هي:(٣)

١) أقتصر التعليم على المرحلة الأولى فقط وعمل على نشر الكتاتيب وأوهم المصريين أنهم لا يصلحون لدرجة عالية من درجات التعليم.

---

١) محمود متولي، **ثورات الشعب المصري في التاريخ الحديث والمعاصر**، الاسكندرية، مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٨١م ص ١٥١.
٢) عبد الرحمن الرافعي ، **مصر والسودان أوائل عهد الاحتلال**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ص١٠.
٣) عبد اللطيف حمزه، **قصة الصحافة العربية في منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين**، القاهرة ، دار الفكر العربي،ط٢، ١٩٨٥م ص٨٩.

٢) الحط من الدين الإسلامي واتهام المصريين بالتعصب الديني وزعم الاحتلال أن الدين الإسلامي دين عتيق لا يصلح إلا للعرب الذين أقاموا في الصحراء منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ونصحوا المصريين بأن لا يظلوا متمسكين بهذا الدين الذي هو السبب في تخلفهم عن الحضارة.

٣) التضييق على الحكام الشرعيين الذين كانوا يميلون إلى الحركة الوطنية مثل عباس حلمي الثاني الذي تولي الحكم سنة١٨٩٢م وما لبثوا أن أضعفوا قوته وقلموا أظافره حتى أضطر إلى إعلان استسلامه في النهاية.

٤) الاستهانة بالوطنية المصرية وقد بلغ بالإنجليز في ذلك حدا طالبوا فيه بإلغاء الجنسية المصرية ذاتها بحيث تصبح مصر وطنا دوليا لكل من مر به من الأجانب ولو لمدة قصيرة ولمصلحة عابرة.

وبذلك تكون سياسة الاحتلال وإذلال الشعب المصري تبدأ من التعليم وتغيير الفكر والثقافة ورفعوا كل من يساندهم إلى أعلى عليين واحلوا الذل والهوان لمن خالف أمرهم ولم يكن يسمح لأحد أن يناقشهم في أمر من الأمور مهما كان خاطئًا أو مخالفًا للقانون أو ضارًا بالمصلحة العامة[١]،وكانت البلاد في تلك الفترة تغلي سخطًا على الاحتلال وسياسته لما بدأ من الحكومة البريطانية في إتباع سياسة القمع والشدة وفي نقض عهودها في الجلاء عن مصر ووضع يدها على البلاد ومرافقها[٢].

١) سعيد إسماعيل علي، **الأصول السياسية للتربية**، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٧، ص١٠٠.
٢) عبد الرحمن الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي، **مرجع سابق** ص٥٥٣.

الكفاح الوطني ضد سياسة الاحتلال:

وبدأ الكفاح الوطني يشق طريقه مرة أخرى إلى المصريين من خلال كتابة الصحافة وإعادة الوعي للمصريين وكانت تقوم على برنامج يتألف من المواد الآتية:[1]

١) إفهام المصريين واجباتهم التي كان التفريط فيها موجبًا لسقوطهم وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فاتهم.

٢) إفهامهم كذلك أن الأمل في النجاح قريب إذ لا حاجة في الوصول إلى نقطة الخلاص المرغوبة من الاحتلال وسياسته بفتورهم وضعف عزائمهم ولكن لابد من قطع دائرة عظيمة من النضال والكفاح حتى نصل للغاية.

٣) دعوة المسلمين بالتمسك بالأصول التي كان عليها آباؤهم وإسلافهم لمواجهة سياسة الاحتلال في تغريب المصريين عن دينهم ووطنهم.

٤) إبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون في مضمار المدنية الحاضرة ما داموا متمسكين بدينهم، لأن دينهم في نظر من لا يفهمونه من الأوربيين يدعو إلى التواكل وحقيقة الإسلام غير ذلك.

٥) تقويم الروابط والصلات بين الأمم الشرقية وتمكين الألفة بين أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينهم.

وكان ذلك لمواجهة سياسة الاحتلال التي تعمل ليل نهار على إخراج نوعية معينة من الشباب المصري تألف الخضوع والاستكانة وتتعود إتباع

---

١) عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية، **مرجع سابق**، ص٩٧.

أساليب التملق والزلفي والنفاق وتنهج في حياتها نهج الضعفاء والمتذللين الذين تشيع في جنباتهم روح اليأس والخوف وتسيطر عليهم مشاعر الإعجاب الخرافي بالمستعمر التي تجعلهم لا يتصورون إمكان الوصول إلى مستواه فضلًا عن التغلب عليه(١).

اختلال البناء الاجتماعي على يد الاحتلال:

عمل الاحتلال على التفرقة بين أبناء الشعب المصري بالمكر والخديعة والتقريب وإجزال العطايا على من يعمل لمصالحهم ويتبع سياستهم ويوطد لها من يعارضهم يزيقوه الويلات، وعمل الانجليز على إيجاد طبقة من الملاك ترتبط مصلحتهم بمصلحتهم، وشجع الانجليز إنشاء الملكيات الكبيرة وفعلًا ارتبطت مصالح هؤلاء بالاحتلال لأن مصالحهم أضحت في أيدي سلطات الاحتلال، وبذلك أختل البناء الاجتماعي في الريف المصري اختلالًا شديدًا إذ أصبحت غالبية الأرض الزراعية في يد قلة من كبار الإقطاعيين، وهناك بعض الفلاحين ممن يمتلكون مساحات ضئيلة بينما الغالبية منهم لا يملكون شيئًا(٢).

ولكي يحافظ الاحتلال على الأوضاع السياسية التي قامت في مصر ويقر الأمن بها جعل التعليم تشرف علية نظارة الداخلية حتى لا تستشري روح الوطنية في النفوس، ولذلك فشلت المدرسة المصرية في عهد الاحتلال أن تحقق لتلاميذها تربية سياسية صحيحة فهذه التربية إنما تأتي محصلة للممارسة الديمقراطية الحقة، فكان من الصعب تحقيق شكل التربية السياسية

١) سعيد إسماعيل علي، **تاريخ التربية والتعليم في مصر**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص٤١١.
٢) جاد طه، **معالم تاريخ مصر الحديث المعاصر**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م ص٢١٣.

المطلوبة في مجتمع يسوده طابع التسلط في البيت كما في المدرسة والقرية والدولة عامة[١].

نهاية عصر الخديوي توفيق:

وردًا لجميل الخديوي توفيق في مساندة الانجليز في احتلال مصر من المتوقع أن تنحاز له وتشجعه وتعطف عليه فبخطبته ود الانجليز ورضاهم عنه سقط في أعين المصريين ونظروا إليه نظرة احتقار وكراهية لمساندته الانجليز على أبناء وطنه وبسبب ضعفه واتجاهاته الاستبدادية ولو أن إنجلترا اعترفت بالحركة الوطنية في مصر ووجهتها لسادت العلاقات بين البلدين في طريق غير الذي سارت فيه حتى منتصف القرن العشرين[٢].

يضاف إلى ذلك فشل الجيش المصري في عهده في كبح الثورة المهدية في السودان١٨٨١م وضياع السودان من مصر عام (١٨٨٤-١٨٨٥) ولم يمهله القدر كثيرًا فمات في حلوان يوم ٧يناير ١٨٩٢م عن عمر يناهز٣٩ عام وخلفه عباس حلمي الثاني[٣].

وهكذا أسدل الستار عن فترة حرجة من تاريخ مصر الحديث كانت منذ بدايتها تنذر بالخطر؛ ذلك أن ديون سعيد وإسماعيل، وافتتاح قناة السويس وتضارب مصالح الدول الكبرى في مصر مما عجل بالتدخل الأوربي الذي عرض البلاد في نهاية الأمر للاحتلال الأجنبي الذي عرقل النهضة المصرية التي لم يختلف طابعها العام عن الاتجاهات السائدة في أوربا في القرن التاسع عشر وإن امتزج مبدأ دعاة الحرية.

---

١) سليمان نسيم، **صياغة التعليم المصري الحديث**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م ص١٣٢.
٢) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية، **مرجع سابق** ص٢٩٣.
٣) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الخديوي توفيق تاريخ الدخول ٢٠١٥/١٢/٢٢ م **https://ar.m.wikipedia.org**

الحياة السياسية في عصر الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٨٢-١٩١٤م):

بوفاة الخديوي محمد توفيق الذي كان مساير لسياسة الاحتلال إلى حد بعيد وتولية الخديوي عباس حلمي بدأ طور جديد في سياسة إنجلترا للإدارة المصرية إذ أخذ عدد الموظفين الانجليز يتزايد في الإدارات المصرية، وذلك لضمان تنفيذ ما يراد إدخاله من إصلاحات مزعومة، وهاجمت الصحف الشعبية هذه السياسة بتشجيع من الخديوي ولكنه لم ينتبه أن الصحافة سلاح ذو حدين أحدهما يصيب العدو والأخر يصيب صاحبه حتى ولو بغير قصد[١].

وكانت إنجلترا تواجه مشكلة في تنفيذ سياستها في السيطرة على الإدارات المصرية وهي:[٢]

١) عدم تعلم الانجليز للغة العربية وتغلبت عليه بأن نادت لضرورة تعليم اللغة العربية بجامعة كامبردج لما في ذلك من تمرين لهم على تعلم اللغة العربية وبذلك يتيسر اختيار الموظفين الانجليز اللازمين للمصالح المصرية من بين هؤلاء الطلاب الذين أتموا دراستهم في جامعة كمبردج.

٢) ولقد حظي العدل باختياره لهذه المهمة وذلك لنجابته وحسن علاقته ونبوغه ليكون مدرسًا ومعلمًا للغة العربية في جامعة كمبردج حتى وفاته بعد ما سبقها بزيارة تعليمية لها.

---

١) عبد اللطيف أحمد حمزة، **الصحافة المصرية في مائة عام**، القاهرة، دار الحكمة، (د.ت)، ص٣٤.
٢) محمود حلمي مصطفي، **دراسات في تاريخ مصر السياسي سياسة انجلترا الداخلية من ١٨٨٢- ١٩٥٢**، أسيوط، مكتبة الطليعة، ١٩٨٥م، ص١٦.

٣)شرط التعيين أن يكون الموظف ملم باللغة العربية و تغلبت علـى ذلـك بتعيين فريقًا من الموظفين الانجليز الذين لا يتوفر فيهم شـرط الإلمـام باللغة العربية في وظائف تحت الاختبار ويثبت بالوظيفـة بنـاء علـى تقرير يتقدم به رئيس ذلك الموظف مشيدًا فيه بكفاءته وحسن إلمامـه بالعمل المسند إليه فأدى ذلك النظام إلـى تضـاعف عـدد المـوظفين بالإدارات المصرية، وبتزايد عـدد المـوظفين الانجليـز فـي الإدارات المصرية أخذت تتلاشي تدريجيًا فكرة تدريب المصـريين علـى حكـم أنفسهم تلك الفكرة التي كانت تتغني بها سلطات الاحتلال فـي السـنين الأولى منه.

عباس حلمي ومعاودة الكفاح الوطني:

تولي عباس حلمي الثاني مسند الخديوية ١٨٩٢م وهـو شـاب لـم يتجاوز الثامنة عشر من عمرة، وكان جريئًا كبير الحمـاس ميالًـا للحكـم الشخصي معتز بنفسه يريد أن يحكم مصر وفقًا لسلطات الخديوية فنفخ في مصر روحًا جديدة من الوطنية والشجاعة قوت المصريين في أمل الاستقلال وجعلتهم يجرؤن على مناهضة الاحتلال، وبث شعور الكراهية ضد الانجليز في قلوب المصريين وحرك همة مواطنيه حتى أخرجهم عما ركنوا إليه من فتور واستسلام ورسم لهم طريق المقاومة بجرأته في تحدي الانجليز كـان هذا التحدي بمثابة تيار كهربائي سرى في جميع أفـراد الشـعب وجعلهـم يشعرون بمكانتهم كامنة مثل هذه الأمم بعون حقيقتهم يعرفون مراكز القوة والضعف وينتمون إلى أوطانهم ويدافعون عنها ضد كل محتل(١).

١) طاهر عبد الحكيم، **نحو نظرية لتاريخ مصري**، مجلة فضيلة للدراسات والأبحاث، السنة الثانية، العدد(٥)، مارس ١٩٨٥م ص٦٢.

ولذلك احتفظ الانجليز لأنفسهم حق الإشراف على التعليم واقتصروه على المرحلة الأولى حتى لا ينموا كل هذا الشعور داخل المجتمع المصري لأنهم يعلمون أن في الأزمات الكبرى التي تعصف بحياة الأمم ترنو الأنظار إلى التعليم وآلياته المختلفة لتجد فيها الخلاص[1]، ولذلك قاموا بمحاربته بكل الطرق والوسائل.

اصطدام عباس والمبعوث البريطاني (اللورد كرومر)

ونتيجة لما قام به عباس من بث روح الكفاح في الشعب المصري نظر كرومر إلى الخديوي عباس بأنه أكبر عقبة لم يكن يتوقعها وهو من أخطر الصعاب التي سيواجهها في تنفيذ سياسته الكرومرية داخل مصر بعد وفاة توفيق، وشك كرومر في نيات الخديوي وكان في رأيه أن الخديوي لم يبتدع هذه السياسة القومية المصرية إلا ليتخذ منها وسيلة لإرضاء مطامعه الشخصية ومضايقة إنجلترا، وكان يتمني أن يسير عباس مثل الخديوي توفيق في ولائه حتى لا يكون مصيره مثل مصير إسماعيل أن ينفى حينما استجاب إلى مطالب الشعب ووافق على أول مشروع برلماني كامل في عهدة[2].

واصطدم عباس مع اللورد كرومر حينما منع الموظفين الانجليزمن حضور مجلس النظار بعدما كانوا يتواجدون به، وقرر أن يجعل اللغة العربية هي لغة التعليم في المدارس الأميرية بعد أن كانت معظم الدروس

---

١) عبدالله عبد الدائم، **أزمة التطور الحضاري في البلاد العربية ودور التربية في مواجهتها**، مجلة الآداب، العدد(٥)، مايو سنة ١٩٧٤م، ص٦٧.

٢)عبد العظيم رمضان، **الجيش المصري في السياسة،١٨٨٢-١٩٣٦م**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص١٣.

تلقن باللغة الانجليزية كما كثر الصدام في عهده بين الموظفين المصريين والانجليز، وأصبح التعليم في عهده ليس مجرد وسيلة لإمداد الحكومة بما يلزمها من الموظفين بل هو كذلك وفوق ذلك أنه أداء لترقية المجتمع[١].

واصطدام أخر علي أزمة الحدود سنة١٨٩٤م عندما زار الخديوي الحدود الجنوبية ووجه الانتقاد الحاد للنظام الذي وضعه الضباط الانجليز للجيش المصري فيحتج (كيتشنر) سردار الجيش المصري احتجاجًا يقرنه بتقديم استقالته، وكان صدر كرومر قد أوغل من ناحية الخديوي حيث أنه زار الأستانة في صيف١٨٩٣م على أمل أن يظفر بتأييد الدولة العثمانية له ولكن دون جدوى، وكذلك الطموح الزائد الذي يتمتع به عباس وهو يمثل خطرًا على مركز انجلترا في مصر، فيوجه كرومر لطمه قوية جديدة فيطلب من رياض أن يقدم الخديوي اعتذارًا رسميًا ينشر في الصحيفة الرسمية ويهدد بخلعه إن لم يفعل.

فيضطر الخديوي للإذعان وتنشر الوقائع المصرية أمرًا باللغتين العربية والفرنسية يبدي فيه الخديوي رضاه عن حسن حالة الجيش ونظامه ويثني على الضباط الانجليز الذين يرأسونه ويعترف بالخدمات الجلية التي يؤديها هؤلاء وعلى رأسهم كتشنر سردار الجيش المصري، وكان العدل واحد من بين أغمار الناس الذين دهاهم خطب الاحتلال فامتلأت قلوبهم رهبة من السياسة وهيبة الاشتغال بها لاسيما وأن كل أسباب السلطة قد انتقلت إلى أيدي سلطات الاحتلال وكان العدل لم يزل وقتها في العقد الثاني

---

١) أحمد عزت عبد الكريم، **تاريخ التعليم في مصر عصر إسماعيل**، القاهرة، مطبعة النصر، ١٩٤٥م، ص٤٨.

من عمره يكمل دراسته بعيدًا عن السياسة رغم أن والده كان رئيس محكمة بدمياط إلا أنه لم يوجهه إلا لإتمام دراسته والنبوغ فيها.

انقلاب عباس حلمي الثاني على الحركة الوطنية:

بعد تأسيس حزب الأمة كان الخديوي كان قد بدء ينبذ ظاهريًا خطة مناورة الانجليز، ولقد كان الخديوي عباس يعضد الحركة الوطنية في صدر حكمه، ولكن بدأ يشعر بضعف مركزه على إثر اللطمتين القاسيتين اللتين وجههما كرومر إليه في حادثتي إقالة النظارة الفهمية ١٨٩٣م وأزمة الحدود ١٨٩٤م(١)، وأصبح الخديوي على حيرة من أمره فهذه فرنسا وروسيا كانتا تسانده ضد الاحتلال الانجليزي وهي الآن تتخلى عنه في وقت الأزمات.

وشعر الخديوي عباس بعجزه وضعفه حينما تخلى عنه مجموعة قد اصطفاهم وقربهم منه، ولم يبق أمام الخديوي إلا بصيص من الأمل في الاستناد على موازرة السلطان العثماني صاحب السيادة الشرعية لعله يجد عنه الملجأ وخاصة بعد إرسال جده إسماعيل له بخطاب في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٣م يخبره أن السلطان راض عنه وأن عطفه السامي يحيطه ويوافق على مسلكه، وكان هذا أيضًا من آمال رجوع إسماعيل إلى مصر فمنذ استقراره في منفاه في إيطاليا لم تنقطع آمال رجوعه وخاصة أن له أنصار من الموظفين الأوروبيين الذين جردتهم الحركة الوطنية من الامتيازات السابقة التي كانوا يتمتعون بها (٢).

---

١) على نحو سبق ذكره في هذا الفصل.
٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسالة المصرية، **مرجع سابق**، ص ١٩٨.

وبالفعل بدأ الخديوي عباس قطعيًا يعيد النظر في موقفه من الاحتلال وخاصة بعد حادثة فاشوده ١٨٩٨م التي رأي فيها الخديوي أن فرنسا قد تركت يد انجلترا في مصر، وفي رسالة من مدام "آدم جولييت"إلى مصطفي كامل تقول فيها "لقد كان لها تأثير كبير في موقف الخديوي إذا اخذ يزعن للأمر الواقع ويتودد للاحتلال وكان أول مظهر لهذه السياسة زيارة الخديوي عباس لندن في العام التالي ١٨٩٩م وفي ٢ يونيه١٩٠٠ كتب مصطفي كامل في رسالة منه لها يقول: لقد آلمنا كثيرًا سياحة الخديوي في لندن وما ذلك واسفاه إلا نتيجة فاشودة"(١).

وبعد الوفاق الودي الذي كان بين انجلترا وفرنسا (ابريل١٩٠٤م) والذي بمقتضاه أن تطلق انجلترا يد فرنسا على مراكش وفرنسا تطلق يدها على مصر، ومن ثم أدرك الخديوي أنه لا جدوى للتمادي في معارضة النفوذ الانجليزي في مصر وأخذ يخطب ود بعضهم ويتخذ أصدقاء منهم وأصبح هناك تعاون تام بين الخديوي عباس وممثل السلطة البريطانية في مصر.

اضطهاد الحركة الوطنية ونهاية حكم عباس حلمي الثاني:

لم يكد يرحل اللورد كرومر من مصر ويخلفه (سيرالدونجورست) حتي تنكر الخديوي عباس للحركة الوطنية وانقلب على رجالها يحاربهم وعدل عن تحمسه للمطالبين بالحياة النيابية؛ لأنها لو تأسست لأصبحت قيدًا على إرادته مثل القيد السابق الذي فرضه على سلطانه ممثل الاحتلال البريطاني في بلاده.

١) محمود حلمي مصطفي، دراسات في تاريخ مصر السياسي، **مرجع سابق**، ص٣٨.

ومن الثابت أن الخديوي عباس لم يكن يناضل الكرومرية من أجل إقامة حكومة دستورية ترعى مصالح الشعب ولكنه يرمي من وراء نضاله لها الاستئثار بكل أسباب السلطة من دون الاحتلال وليحكم حكمًا أرستقراطيًا لإشباع أطماعه وإنماء ثروته الخاصة متزرع بأنه يعادي دولة قوية قاهرة ولا يدري هل ينتهي الأمر بظفره بإخراجها أم تظفر هي بإخراجه(١).

ولكن الحياة لا تدوم على حال فقد صدر قرار بخلع عباس في ١٩ديسمبر ١٩١٤م وعزله من منصبه وجاء فيه "يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية، وقد عرض هذا المنصب السامي مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل باشا أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على فقبله(٢).

ثانياً: الحياة الاقتصادية:

يمكن بلورة أهم ملامح الحياة الاقتصادية إثناء حياة العدل في:

- الاقتصاد المصري في عهد إسماعيل.
- الاقتصاد المصري في عهد الاحتلال البريطاني.
- ظهور الرأسمالية في مصر.

١. الاقتصاد المصري في عصر الخديوي إسماعيل (١٨٦٣- ١٨٧٩م):

بعد التحفظ الشديد الذي كان في الجانب الاقتصادي المصري مع الدول الغربية أيام محمد على تبدد هذا التحفظ مع خلفائه وخاصة إسماعيل الذي فتح الأبواب على مصراعيها أمام القوى الاقتصادية الغربية بكل صورها

---

١) محمود حلمي مصطفي، دراسات في تاريخ مصر السياسي، **مرجع سابق**، ص٣٨.
٢) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، تاريخ الدخول١/١/٢٠١٦م

ويذكر ذلك الدكتور سعيد إسماعيل على فيقول: "وإذا كان محمد على قد تميز بالحرص والحذر بالنسبة لنشاط الأجانب الاقتصادي فان خلفاءه لم يكونوا كذلك ويعود هذا إلى ازدياد الضغط الأوربي عليهم من ناحية فضلًا عن أنهم لم يكونوا في مستوى قوته وشخصيته"[1].

وبذلك أصبح الاقتصاد المصري في عهد إسماعيل يتسابق إليه الباحثون عن الذهب والطامعون في جمع الأموال من أرض غنية بالمواد الخام بالإضافة إلى موقعها المتميز وسهولة حركة التجارة لكونها في قلب العالم وتعدد مخارجها واتصالها بالعالم المحيط بالإضافة إلى وجود تربتها كل هذه المقومات أعطت إسماعيل دافعا لأن يقود مصر ناحية التطور والتمدن والتحدث بكل صورة ومن المسائل التي لابد من أبرازها "أن الخديوي إسماعيل حاول تنمية مصر وتحديثها ولكن فشل في رؤية أبعاد التخلف التي كان يعيش فيها المجتمع ولم يستطع أن يقدر إمكانات المجتمع الحقيقية في مساندة خططه وإرادته ووعيه ومشاركته ولذلك غرق في التحديث وغرق التحديث معه في نهاية الأمر"[2].

الزراعة:

بذل الخديوي إسماعيل جهوداً كبيرة في ميادين الزراعة و الري؛فقد كان أول ما وجه إليه الخديوي إسماعيل اهتمامه توفير وسائل الري وشق الترع وصيانة القناطر الخيرية وتفعيل مجالس تفتيش الزراعة للعمل على إنماء ثروة مصر الزراعية، فكان لهذه الوسائل الفضل الكبير في زيادة إنتاج

---

١) سعيد إسماعيل على، **التعليم في مصر**، سلسله شهرية تصدرها دار الهلال العدل (٥٣٩) جماد الثاني ١٤١٦هـ نوفمبر ١٩٩٥م ص٥٣.

٢) محمود عوده ومريم احمد مصطفى، **دراسة في التحليل السوسيولوجى لتاريخ مصر الاجتماعي**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص١١٦.

الأراضي المزروعة وإحياء موت الأراضي القابلة للزراعة وبعد إصلاح القناطر الخيرية توسع في زراعة القطن والقصب فزادت مساحة الأطيان المزروعة مما ساعد في زيادة إنتاج الأراضي المزروعة وإحياء موت الأراضي القابلة للزراعة.

واهتم إسماعيل باشا بنظام ملكية الأرض، فأدخل عليها الكثير من الإصلاحات ففي عام ١٨٦٥م، عدل اللائحة السعدية بملحق جاء فيه، إذا ترك صاحب الأرض الخراجية أرضه لمدة ثلاثة سنوات فمن حقه استعادتها وإن لم يعدها تعطى لورثته، وإن لم يكن لديه ورثه تؤجرها الحكومة لمن يريد إيجارها وكان يخصم من مبلغ الإيجار ما عليها من ضرائب للدولة و تحتفظ بالباقي لصاحبها الأول لحين عودته وألغى ما نصت عليه اللائحة السعدية من إعطاء الأراضي الخراجية التي توفى أصحابها لمن كان يرغب في زراعتها[١].

وجعل مجالس تفتيش الزراعة تحث على التوسع في زراعة القطن والقصب لما ظهر من ارتفاع أسعاره أثناء الحرب الأهلية الأمريكية وما كانت تدر زراعته على البلاد وقتئذ من الأرباح العظيمة، وجلب من أوروبا العدد الوفير من آلات الري لتوفير المياه وتحسين طرق الري[٢]، وأمدت الحكومة المزارعين بالبذور التي يحتاجون إليها، مما زاد من الناتج من القطن في ذلك العهد، ووجه الخديوي إسماعيل اهتمامه إلى الإكثارمن زراعه قصب السكر، في أملاكه بالوجه القبلي، وازدادت عنايته به بعد أن تراجعت أسعار القطن وهبطت إلى مستواها العادي عقب انتهاء الحرب

١) أمين سامي باشا، **تقويم نهر النيل**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، المجلد الثاني، ص١٢٣.
٢) عبدا لرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج٢،**مرجع سابق**، ص١٠.

الأهلية الأمريكية، فرأى من الحكمة أن ينهض بزراعة القصب لاستحداث صناعة السكر بإنشاء معامله الكبيرة ولإيجاد محصول أخر يعتمد عليه بجانب محصول القطن.

وقام إسماعيل بحماية الفلاحين من المرابين الذين كانوا يستغلون ظروف الفلاحين ويرهقونهم بفوائد باهظة على الديون، والتي لا يستطيعون دفعها، فأنشأ البنوك القروية لتسهيل عملية تسليف الفلاحين المبالغ التي كانوا يحتاجونها بفوائد معقولة[١]، ورغم أن الاصطلاحات التي أقامها إسماعيل باشا في المجال الزراعي قد أعطت ثمارها رغم شدة الأزمات التي مرت بها البلاد فزادت مساحة الأراضي الزراعية وآتت ثمارها.

أوضاع الملكية خلال عهد إسماعيل كان قد ظهر فيها الإقطاع بشكل كبير نتيجة نظام العهدة[٢] وكان من العوامل الهامة التي أرست الأساس الاقتصادي لنمو طبقة كبار الملاك في الريف المصري في أواخر القرن التاسع عشر، ولغي منح حق تسخير فلاحي العهدة بدون أجر وجدير بالذكر أن الأرض المعفاة من الضرائب التي كانت تمنح للمتعهد مقابل جمعه للضرائب كانت تصل في بعض الأحيان إلى نصف عهدته[٣].

ونتيجة للتطور الرأسمالي للزراعة فقد اتجه كبار التجار إلى تملك مساحات ضخمة من الأراضي لكي يستثمرونها بجانب مصالحهم التجارية

---

١) هادي جبار حسون، **الخديوي إسماعيل حياته ودوره السياسي والعسكري(١٨٦٣_ ١٨٧٩م)**، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٤م، ص٢٤.

٢) ونظام العهدة لا يحق للمتعهد رفع الضرائب على الفلاح أو تلاشى مسألة الفائض فعلى المتعهد أن يجمع الضرائب المقررة فقط، وهو في نظير ذلك يحصل على قطعه أرض معافاة من الضرائب.

٣) البرت حوراني، **تاريخ الشعوب العربية**، ترجمة نبيل صلاح الدين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص١١٠.

وكانت طبقة كبار الملاك تضم مجموعة من الفئات الاجتماعية المتنوعة،منها ما لم يكن مرتبطًا بالمجتمع الريفي أو غير مقيم فيه، وهؤلاء إما أنهم كانوا يديرون أرضهم عن طريق آخرين أو يؤجرونها، ومن هذه الفئات الأسرة الحاكمة وكبار الموظفين ورجال الدين والأقباط والأجانب ومشايخ البدو.

الصناعة:

اهتم الخديوي إسماعيل بالصناعة، فأعاد النشاط إلى ترسانة الإسكندرية والاهتمام بشئون التعليم البحري فجدد مدرسة البحرية وأنشأ مدرسة بحرية بجوار الترسانة وأحضر لها المدرسين الأكفاء من مصر وخارجها واختار تلاميذها من المجدين من طلبة المدارس الأميرية والابتدائية، وكان يدرس فيها الفنون والعلوم البحرية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

وتشجيعًا للصناعات البحرية في مصر أمر الخديوي إسماعيل بإلحاق حديثي السن الذين يضبطون بسرقات إلى ترسانة الإسكندرية حتى يتعلموا الصناعات فيها، كما شجع انبعاث المصريين إلى الخارج ليتقنوا هذه الصناعات وأهتم بالصناعات الحربية التي كانت أكثر مصانعها قد أغلقت فجدد مصانع الحوض المرصود للمدافع والآلات الحربية، ومصانع البارود حيث أمر بشراء المكابس اللازمة لكبس البارود، وأهتم بالصناعات المدنية كحلج وكبس القطن والغزل والنسيج والسكر والطباعة وصناعة الورق.

فقد اعتنى إسماعيل بمطبعه بولاق، واشترى لها الآلات الحديثة من الخارج واستدعى الخبراء والفنيين الأجانب لتعليم المصريين ذلك الفن، وتم التوسع في الطاقة الإنتاجية للمطبعة لتلبى احتياجات الحكومة وجميع كتب وزارة المعارف العمومية باللغتين العربية والتركية واللغات الأوروبية(١).

وحاول الخديوي إسماعيل أن يقيم صناعات حديثة ومتطورة، لكنها إما أن تكون ملكًا خاصًا له كمصانع السكر، وإما أن تكون ملكًا للحكومة مثل الصناعات الحربية والمحالج والغزل والنسيج غير أن فشل الحكومة في إدارة بعض هذه المصانع في فتره قصيرة جعلت الخديوي يبيعها كمشروعات خاصة، وقد أمتلك الأجانب معظم هذه المصانع، وعندما توالى إسماعيل باشا حكم مصر عام ١٨٦٣م ،حظيت الصناعة بشيء من الاهتمام واستحدثت مشاريع صناعية جديدة من أجل تحقيق النهوض الصناعي، عملًا بمنهجه الإصلاحي العام الذي أعلنه فانتعشت بعض الصناعات كصناعة نسيج القطن التي شهدت توسعًا كبيرًا وظهر ذلك واضحًا في ازدياد عدد المعامل وارتفاع نسب إنتاجها.

رغم كل هذه الانجازات إلا أنها لم تأت بالنتائج المطلوبة منها، وأوشكت مصر على إعلان إفلاسها عام١٨٧٦م(٢)واضمحلت الصناعة في آخر حكم إسماعيل باشا؛ لأن الفلاح المصري كان ضعيف الإقبال وغير مبال لزراعة القصب لتلبية مصانع السكر، لما يحتاجه من وقت وتكاليف فضلًا عن سرعة تلفه وعدم استطاعة تخزينه كما هو الحال مع القطن فضلًا عن

١) عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، **مرجع سابق**، ص٧٥.
٢)جون مارلو، تاريخ النهب الاستعماري لمصر(١٧٩٨ – ١٨٨٢م)،**مرجع سابق**، ص ١٦٠.

أن تلك المصانع كانت تنتج السكر الخام، وكان يصدر للخارج لتكريره هناك في المصانع البريطانية ثم يعاد إلى مصر ليباع في أسواقها المحلية بأثمان مرتفعة وذكرت بعض الدراسات[١] إلى أنه لم يتم الانتباه إلى ضرورة حماية المنتج المحلى، لذلك لم يسن نظامًا ضريبيًا على البضائع الأجنبية، وترك التجار يستوردون ما يشاءون من بضائع كانت من نتائجها إغراق الأسواق المحلية بالبضائع الأجنبية عالية الجودة وبأسعار معقولة، وعدم توافر الكوادر الفنية الوطنية المخلصة إذا ظلت الصناعة تعتمد على المهندسين ورؤساء العمال الأجانب، لاسيما البريطانيين منهم.

التجارة:

سيطرت مصر بموقعها الجغرافي المتميز على طرق تجارة الشرق والغرب فكان هذا الموقع المنقذ المالي للبلاد، بسبب الرسوم التي كانت تفرض على السلع التجارية المارة بها، وكانت مصر تعتمد إلى حد كبير على هذه الرسوم في تمويل خزينتها، لكنها لم تشترك في التجارة الدولية اشتراكًا فعليًا إلا ما كان يستورد من دول أوروبا من احتياجات الأسر الحاكمة والطبقة الغنية.

فازدادت الحركة التجارية على يد إسماعيل، فاعتماد مصر على الزراعة أعطى الفرصة الكبيرة لرواج التجارة الأجنبية، فالحاجة أصبحت ملحة في استيراد الوقود والآلات حتى المواد الغذائية جلبت إلى مصر بمقادير وافرة وساعدت قناة السويس التي جعلت مصر مركزًا تجاريًا بين الشرق والغرب وتقدم وسائل العمران والمواصلات والاهتمام بالمواني

---

١)دراسة حسان محمد حسان، **اتجاهات الفكر التربوي في مصر، من سنة ١٩٢٣ – ١٩٥٢م**، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية التربية – جامعة عين شمس، ١٩٧١م، ص٢٢.

والملاحة كل هذا أدى إلى انتعاش التجارة التي أنشـئت لهـا نظـارة خاصة بها وازدادت أهميتها وأصبح الميزان التجاري دائمًا في صالح مصر فقد وصلت صادرتها عام ١٨٧٤م إلى ١٢مليون ٧٣٠ ألف جنيه مصري(١) لكن كانت هناك العوائق التي حدت من استفادة مصر فالالتزامـات الملحـة والرقابة الأجنبية التي جندت ما تمتلكه مصر مـن أجـل تسـديد الـديون ومضاعفتها منذ عام ١٨٧٧م.

وكذلك عرقلة الحكومة و التجارة الوطنية عن طريق الضرائب التـي فرضتها عليها، فضريبة الدخل على البضائع والسلع في جميـع مـديريات مصر كانت عائقًا للتجارة الداخلية وسببًا في ارتفـاع الأسـعار، وفرضـت ضريبة على الوزن، فإذا اشترى التاجر البضاعة ويأتي بها موزونة وعليها رسم المقدار، فيلزم بإعادة وزنها لدفع العوائد، فإذا أراد بيع الطرد بوزنـه ألزم بإعادة الوزن ثالثًا وهكذا كلما تكرر الوزن حتى يدفع الطرد قيمة ثمنه، فتعطلت بذلك تجاره الوطنيين.

فقد سادت الضرائب على جميع أرباب التجارة حتى أفقرتهم فلم يعف متجر وإن قل من إتاوة يؤديها، وهناك عوائد الحملة على كل ما يباع فـي الأسواق وهى تحصل بطريقه الإلزام وأخذت من التجار ضريبة (الويركـو) ويختلف مقدارها بنسبة ما يكسبه التاجر، وفرضت الضرائب الشخصية على بيع المواشي والدلالة وبيع المجـوهرات والسمسـرة ومقـالي الحمـص واختصت بالتجارة الوطنية دون الأجنبية فراجت تجارة الأجانب لكونها معفاة من ذلك(٢).

---

١) عبدا لرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج٢، **مرجع سابق**، ص٣٣.
٢) احمد محمد حسن، الاقتصاد المصري في القرن التاسع عشر، **مرجع سابق**، ص ص ١٢ ، ٢٣.

وفي عصر إسماعيل فتحت الشون الأميرية في الوجه القبلي وحددت سعر الشراء على أن تخصم الضرائب عينيًا لمن يرغب ونظم إسماعيل عملية بيع القطن في حلقات يحضرها معاون وقباني وعلى رأسهم شيخ خبير بالمهنة، ويتم تسجيل عمليات البيع والشراء في دفاتر حكومية على أن يتم تحصيل أجرة معينة لهذه العملية.

التجارة الداخلية:انعكست سياسة الاحتكار على التجارة فأصبحت تجارة مصر الداخلية عن طريق الحكومة حيث احتكرت تجاره الغلات الزراعية شراءها وبيعها ونقلها وتخزينها في الشون الأميرية ثم إجبار المزارعين على شراء ما يحتاجون إليه من تلك الشون، وكان الاحتكار إما جزئيًا وإما كلياً، وذكرت بعض الدراسات(١) أن الحكومة طبقت الاحتكار على المنتجات الصناعية الصغيرة كالمنسوجات والحصير وعصر الزيوت فكانت الحكومة تعطى الصناع المواد الأولية وتشترى منهم المنتجات ثم تعود فتبيعها للمستهلك بالثمن الذي تحدده فتحول الصناع إلى مجرد إجراء أما الصناعات الكبيرة فكانت ملك الحكومة وكانت أهم مراكز التجارة الداخلية في مصر،والإسكندرية، ورشيد، ودمياط، وطنطا، والقاهرة.

التجارة الخارجية: أدت سياسة الاحتكار على التجارة الداخلية إلى احتكار الحكومة لتجاره الصادرات، أما تجارة الواردات فكانت سيطرتها عليها أقل؛ مما دفعها إلى زيادة الرسوم الجمركية على الواردات لكن تبقى الحكومة نفسها هي أكبر مستورد بسبب استيراد ما تحتاج إليه مصانعها وبناء السفن ومشروعات الري وكانت الحكومة تبيع بالطرق الآتية:(٢)

---

١) دراسة شبل بدران السيد، **تأثير فلسفة التنوير على التربية في القرن التاسع عشر**، رسالة ماجستير غير مشهورة، كلية التربية جامعة طنطا، ١٩٧٩م، ص١٣٣.

٢)هادي جبار حسون، الخديوي إسماعيل حياته ودوره السياسي والعسكري، **مرجع سابق**، ص٥٧.

البيع للتجار الأجانب مباشرة داخل مصر بحكم استحواذها على معظم المنتجات وسيطرتها على طرق ووسائل النقل الداخلي.

١. والبيع من الخارج لحساب الحكومة و البيع مقدمًا ليأخذ الأموال من التجار مقدمًا وإعطائهم المحاصيل عند حصادها والبيع بالمزاد، وقد ساعدت الحرب الأهلية الأمريكية في زيادة صادرات مصر الخارجية، لكنها عادت وانخفضت بعدها، ومنذ منتصف القرن ١٩ تفوقت انجلترا في هذا المجال بسبب تقدم الصناعات القطنية الإنجليزية، ومن ثم قدرتها، أكثر من غيرها، على استيعاب محصول القطن المصري.

التجارة العابرة: بين الشرق والغرب عبر مصر وزادت بسبب افتتاح قناة السويس وتيسير طرق المواصلات البرية فقدرت عائداتها بـ ١٠ ملايين جنيه علاوة على قوافل الحجاج من شمال أفريقيا إلى مكة.

٢. الحالة الاقتصادية في عصر الاحتلال البريطاني (١٨٨٢م)

سيطر الاحتلال البريطاني علي الاقتصاد المصري بكل جوانبه وذكر الدكتور سعيد إسماعيل في دراسته[١]: أن الاستعمار وجه كل موارد الدولة لتدعم السيطرة الاقتصادية ولتوجيه المواد الاقتصادية للاتجاهات المرغوب فيها للاحتلال، "كما أن انجلترا قد أجبرت الحكومة المصرية إلى أداء نفقات جيش الاحتلال سنويًا وإغلاق المرتبات على الموظفين البريطانيين الذين عينتهم في المناصب العليا وزاد في نفقاتها ما تكبدت من الخسائر في السودان؛ فهذه الأسباب مجتمعة قد زادت من مصروفاتها زيادة مطردة أدت

١) سعيد إسماعيل على،**الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لحركة الفكر التربوي فى مصر فى الفترة من ١٨٨٢-١٩٢٣م**، رسالة دكتوراه غير منشوره، كلية التربية - جامعة عين شمس سنة ١٩٦٩م ص٢.

إلى ظهور العجز في الميزانية"[١]، وتمثلت أهـداف الاسـتعمار فـي "إعداد طبقة من الموظفين الكاتبين والفنيين للعمل بالمصالح الحكومية"[٢].

الزراعـــة:

اتبع الاحتلال البريطاني سياسة التخصص في الزراعة "فاحتلـت زراعـة القطن أهمية كبرى واعتبر الانجليز أن مصر مزرعة لهم وأن القطن المصـري قطن زراعي"[٣] "وقد أجبر الانجليز الفلاح المصري على القيام بأعمال في شـتى مجالات الحياة الزراعية وبأسلوب لا يختلف كثيرًا عن السخرة رغم أن الاحـتلال ألغاها" [٤].

وجد الاحتلال أن نظام الملكية هو عصب الحياة في المجتمـع المصـري فأجرى عليه تعديلات بتوزيع الملكية والضرائب ولم يحدث تغيير في مصالح كبار الملاك الإقطاعين، واستمر من يملكون الأراضي الخراجية يتحملون العبء الأكبر من الضرائب حتى عام ١٩٠٥م وما لبث الفلاحون أن عجزوا عن سداد التزاماتهم الضريبية والبشرية، فهجروا الأرض وبيعت أكثر أراضيهم على الرغم من مـا شاهده القطاع الزراعي من تطورات أحدثها الاستعمار من أجل التوسع في مجال الزراعة تضمنت مشروعات الري وإنشاء شبكة من الترع ومد شبكة من الخطوط الحديدية.

---

١) عبدا لرحمن الرافعي، مصر السودان فى أوائل عهد الاحتلال، **مرجع سابق**، ص٣٥.
٢) حسن الفقى، **التاريخ الثقافي للتعليم فى مصر**، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م ص١١٨.
٣) محمد فهمى لهيطه، **تاريخ مصر الاقتصادي فى العصور الحديثة**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥م ، ص٣٥٦.
٤) أنور عبد الملك، **نهضة مصر القاهرة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م ص٥١.

وكانت زراعة القطن هي مجال التخصص الرئيسي للإنتاج ووصل استغلال الأرض إلى مرتبة المشروع الرأسمالي وكان إيجار الأرض هو محور الاستغلال وكان ارتفاع قيمة إيجار الأرض من العوامل التي يدفع بتأجيرها المستمر الأمر الذي أدى إلى سوء استغلال الأرض الزراعية في النهاية مما ترتب عليه ضعف عوامل الخصوبة في التربة نظرًا لإرهاقها المستمر(١).

يعتبر الاحتلال البريطاني المسئول من وجهة النظر الاجتماعية عن سوء حال طبقه الفلاحين، فسياسة الاحتلال التعليمية هي التي حالت دون تعليمهم وتثقيفهم وساءت حالتهم المادية والمعنوية والصحية وأنتشر بينهم المرض وعانى الفلاح من سلطه الإدارة المحلية وزيادة أملاك العمد ومشايخ القرى التي تكونت على حساب أراضي الفلاحين فكانت سلطة العمد والمشايخ مصدرًا لكثير من المظالم التي يعانى منها الفلاح المصري في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين(٢).

وواجه القطاع الزراعي المصري تطورات أحدثها الاستعمار من أجل التوسع في مجال الزراعة وكان القطن مجال التخصص الرئيسي للإنتاج ولا يخفى على أحد مدى الأضرار المترتبة على ذلك وظلت الزراعة على هذه الحالة حتى زوال التخصص، وحرص الاحتلال البريطاني على أن يجعل من العمد والمشايخ مجرد آلة في يد الحكومة فقد اقتصرت القوى الإنتاجية على مجال واحد من مجالات الاستثمار جمع بين الاستغلال شبه الإقطاعي والاستثمار الرأسمالي وعلاقات الإنتاج فقد ظلت في إطار الملكيات الزراعية الكبيرة إقطاعية خالصة لهم.

---

١)علية علي علي فرج، **التعليم في مصر بين الجهود الأهلية والحكومية**، الإسكندرية، منشاة المعارف، ١٩٧٦م، ص٢١٢.

٢)علية علي علي فرج، **التعليم في مصر بين الجهود الأهلية والحكومية، مرجع سابق**، ص٢١٥.

وأدرك الاحتلال أن ازدياد ثروة الفلاح وانتعاش حالته سيؤديان بالضرورة إلى زيادة دخل الحكومة، ولذلك خفف وطأة الضرائب وألغى الكرباج والسخرة، ووقعت هذه الأعمال من الفلاحين بمكان أدى بهم إلى الاعتقاد أن الاحتلال نصير لهم وساعد على ذلك تقدم نظام الريفي مصر أيام الاحتلال؛ بسبب إتباع سياسة التخصص الاقتصادي، وكانت هذه السياسة قائمة على تخصيص مصر في الزراعة وبخاصة القطن فتوفر بذلك المواد اللازمة للمصانع الإنجليزية، وتصبح في نفس الوقت سوقًا رائجًا للمنتجات الإنجليزية فاهتمت إنجلترا بتحسين نظام الري؛ فأصلحت القناطر الخيرية، وأنشأت قناطر أسيوط واسنا كما زاد المحصول بنسبة أكبر بسبب انتشار الري الدائم.

الصناعة:

أتجه الاحتلال إلى تقويض ومعارضة التصنيع في مصر فظلت الصناعة بدائية فالاحتلال حاول أن يتجنب نمو هذه الحركة؛ لأنه يعلم تأثيرها على اتجاهات المجتمع، وربما مطالبة الجماهير بالجلاء والاستقلال، وهذا يتعارض مع سياسة الاحتلال في أن تظل مصر زراعية، لتكون مصدرًا للمواد الغذائية ومجالًا لتصريف المنتجات الصناعية الإنجليزية فقد كان الاحتلال عاملًا سلبيًا في نمو الحركة العمالية على نطاق واسع فتدهورت الصناعة الوطنية أيام الاحتلال "والمنسوجات الأوروبية حلت محل المنسوجات الوطنية، وبانقراض المنسوجات الوطنية أخذت الصناعة الأهلية تنقرض أيضًا"(١).

١) عبدا لرحمن الرفاعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، **مرجع سابق** ص١٨٩.

وأهملت الصناعة ولم تتخذ التدابير الكفيلة برقيها، بل ألغى الاحتلال البعثات الصناعية إلى الخارج وفرضت في أبريل عام ١٩٠١م على جميع المصنوعات القطنية في مصر ضريبة مقدارها ٨% تعادل الرسوم الجمركية التي كانت تحصل عليها عن الواردات من الغزل والمنسوجات القطنية[١].

التجارة:

بعد الإهمال الصناعي من جانب الاحتلال البريطاني اعتمدت التجارة على الجانب الزراعي واهتمت به؛ لأنه يمثل المادة الخام التي تدار بها ألآت بريطانيا متمثلة في تجارة القطن وكان من نتيجة القيود على الإنتاج المحلى وتسويقه أن أصبح هناك العديد من الشركات والبنوك التي تعمل في استصلاح الأراضي وتسليف الفلاحين، وكانت نسبة الأجانب فيها ما يقرب ٩٣% ترتب على الاستثمارات الأجنبية في مجال الزراعة وقوع ملاك الأراضي الزراعية في قبضة البنوك عندما عجزوا عن تسديد ما عليهم من قروض في موعد السداد.

وكان الدائنون من بنوك أو مرابين أجانب يسارعون بالاستيلاءعلى الأراضي وفاء للديون طبقًا لقوانين الامتيازات الأجنبية المعمول بها في العلاقات بين المصريين والأجانب كل ذلك جعل التجارة حكرًا على الحكومة البريطانية كما احتكرت من قبل الزراعة والتجارة، وفي النهاية هيمنت انجلترا على معظم الصادرات وخاصة القطن وانتهجت في مصر سياسية التبعية الاقتصادية، واحتكرت الصادرات، "وسيطرت على التجارة بشراء الخامات التي يحتاجون إليها بأرخص الأسعار واحتكار المصنوعات الإنجليزية للأسواق المصرية والتي أصبحت الأكثر رواجًا بين الشعب"[٢].

---

١)لطيفة محمد سالم، **القوى الاجتماعية في الثورة العرابية الجذور والأحداث**، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م، ص٢٩٠.

٢) شبل بدران السيد، تأثير فلسفة التنوير علي التربية في القرن التاسع عشر،**مرجع سابق**، ص١٣٣.

٣.ظهور الرأسمالية في مصر:

يتضح مما سبق أنه قد تم للإنجليز السيطرة الاقتصادية على مصركما تمت لهم السيطرة السياسية، وأمام تصاعد الحركة الوطنية في مصر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والضربات المتلاحقة التي وجهتها إلى الاحتلال العسكري في البلاد كان لابد للرأسمالية الأجنبية أن تتراجع شيئًا فشيئًا وتخفف من قبضتها على المقدرات الاقتصادية للمجتمع وبعد ما كان "إنتاج مصر الزراعي من القطن يخدم بصفه أساسية مصانع القطن في انجلترا، أصبحت مصر جزء من الرأسمالية الأوروبية في مرحلتها الصناعية"(١).

لكن الغالب أن الرأسمالية التي دخلت مصر وبسطت نفوذها فيها هي الرأسمالية المالية وذلك واضح من خلال الأشكال التالية:(٢)

١. الشركات الزراعية والتجارية التي تألفت في مصر ٩٦% من رأسمالها أوروبيًا والباقي مصري موزع بين الخديوي والأتراك وهذا يعني أن نشأة الرأسمالية ترجع إلى أواخر القرن التاسع عشر.
٢. شركات الملاحة وفي مقدمتها شركة قناة السويس.
٣. البنوك ورأسمالها فرنسي بصفة خاصة.
٤. القروض ذات الفوائد العالية.

وبلغ من قوة نفوذ رأس المال الأجنبي في مصر أنه تمكن من عزل إسماعيل عندما أراد الوقوف في مواجهته(٣).

---

١) سامي سليمان محمود، **التعليم والتغير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر**، القاهرة الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص١٧١.
٢) محمد أنيس، **دراسة في المجتمع المصري من الاقتطاع إلى الاشتراكية**، الكاتب، العدد (٥١) يوليو ١٩٦٥م ص ص ٣٩-٥٠.
٣) محمد أنيس، دراسة في المجتمع المصري من الاقتطاع إلى الاشتراكية، **مرجع سابق**، ص٥٩.

ثالثاً: الحياة الاجتماعية:

تعد الحالة الاجتماعية لأي مجتمع انعكاسًا للأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة فيه وقد جاء الانجليز إلى مصر في وقت كانت تنعم فيه باستقرار سياسي ونهضة اقتصادية واستقرار اجتماعي رغم أنه كان هناك انحياز للأقليات الأوربية مع قلة من المصرين الذين تربعوا على رأس الطبقة الاجتماعية في مصر والنظر إلى مصالحهم الخاصة دون النظر إلى "العمال والفلاحين في مصر الذين لم تتغير ظروفهم الاقتصادية وضمانات حريتهم إلا قليلا..."(١)، وبعد قدوم الاحتلال إلى مصر اتبع سياسة تبقى على نظام الطبقات الاجتماعية في مصر.

"ولذلك استهدفت سياسة سلطات الاحتلال الإنجليزي التعليمية السيطرة على الإدارة التعليمية ومحاربة تعليم المصريين وبخاصة التعليم الحديث وتأكيد الفوارق بين الطبقات عن طريق الإبقاء على الثنائية القائمة بين التعليم الشعبي وتعليم الخاصة"(٢) ومن هنا عُرِفَ المجتمع المصري في عهد الاحتلال بالطبقة التي حرص المستعمر على ترسيخها وتثبيت دعائمها فبجانب الجنود الانجليزيين كان المجتمع المصري يتكون من الفئات الآتية:

١. كبار الملاك:

نتيجة لفرض الضرائب الفادحة لجأ الفلاحون إلى الاستدانة هربًا من جمع الضرائب بالكرباج حتى ركبتهم الديون ونزعت أملاك الكثير منهم وكان المرابون كلهم أو معظمهم من الأجانب فتغلغلوا في أملاك الفلاحين.

---

١) محمود عودة ومريم احمد مصطفى، **دراسة لتحليل السوسيولوجى لتاريخ مصر الاجتماعي**، مرجع سابق، ص١١٥.

٢) محمد وجيه الصاوي، **في فلسفة التربية قضايا وأراء**، كلية التربية - جامعة الأزهر، ١٩٩٢م ص٣٩.

وظهرت طبقة كبار الملاك في المجتمع المصري "إثر طغيان سيل الإفرنج وانتقال الملكية إليهم أو اكتسابهم عليها حقوق الرهن التي تجعل حق الملكية في حكم العدم وتجعل المالك في يد الدائن المرتهن أجيرًا وأسيرًا"(١)، وتكونت أيضًا نتيجة استقرار الملكية الفردية للأرض الزراعية، وزادت أهميتها في ظل السياسة الاقتصادية المعتمدة على القطن وحده كمصدر للدخل، وحرصت سلطات الاحتلال على دعم هذه الطبقة "للاستعانة بها على تثبيت أقدامه بالبلاد، وأطلقت عليهم أصحاب المصالح الحقيقية في البلاد"(٢)، وحفظ أفراد هذه الطبقة الجميل للإنجليز، فعملوا على تثبيت الأوضاع المتدهورة لبقية أفراد الشعب، ووقفوا أمام أي خطوة إصلاحية لتعارضها مع مصالحهم.

٢. سواد الشعب المصري

ويتكون من عدد كبير من العمال والفلاحين الذين كانوا يكونون الجمهور الأعظم من الشعب، وهى الطبقة التي كانت مستهدفة من كل الإجراءات المتعسفة التي اتخذتها سلطات الاحتلال فهي التي حُرمت من التعليم نظرًا لما كان يقتضه من مصروفات باهظة تعجز عنها قدراتهم كما أنها كانت تئن تحت وطأة الضرائب الباهظة التي تفرض على أفرادها، ويقول: عبد الرحمن الرافعي عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والضرائب التي تفرض على سواد الشعب، "أنه لم تكن للضرائب قاعدة معلومة ولا قوانين أو لوائح يعرف منها حدود ما يجبى من الآهلين

---

١) عبدا لرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج٢، **مرجع سابق**، ص٢٦٢.

٢) لطيفة محمد سالم، **مصر في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ـ ١٩١٨م**، القاهرة، الهيئة المصرية القامة للكتاب، ص ١٦٢.

ومواعيد الجباية، بل كانت المسألة متروكة لأهواء الحكومة، وكان يكفى كلما أحتاج وزير المالية إلى النقود أن يطلب من كل مدير مبلغًا من المال (لاحتياج الحكومة إليه) فيصدع المدير بالأمر من غير بحث فيما إذا كانت المديرية أدت ما عليها من الضرائب أم لا، فيوزع المال المطلوب على المراكز ويؤمر كل عمدة بتحصيل نصيبه في هذا المطلوب"[١].

ولم تكن الضرائب موزعة على جميع أطياف الشعب المصري توزيعًا عادلًا بل كانت الأهواء تتحكم في أعضاء المتصلين بالخديوي وحاشيته، وإرهاق الفلاحين بفادح الإتاوات لسد العجز في ميزانية الحكومة وحاشية الخديوي لا يتقاضى منها ضرائب.

وساءت أحوال هذه الطبقة فتفشت فيها أمراض الفقر والجهل وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية واستمرت مصر على هذا الوضع إلى "أن هزتها الحرب العالمية الأولى فتعرضت هذه الفئات لظروف اقتصادية واجتماعية أشد قسوة"[٢]، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تنامى الشعور القومي بين أفراد الشعب المصري، وكان لابد من ظهور نهضة اجتماعية تتدرج مع الزمن وساعد على ظهورها نمو الروح الوطنية وانتشار التعليم وتطور الأفكار واتساع المدارك، وتأسست الجمعيات والنوادي وبدأ التفكير في إصلاح حال الفئات المعدومة والعناية بالحالة الصحية للبلاد بصفة عامه وبلغت هذه النهضة ذروتها بإنشاء الجامعة المصرية التي كانت مصعدًا اجتماعيًا ثم من خلاله إحداث تغيرات جذرية في التكوين الطبقي للمجتمع المصري.

---

١) عبدا لرحمن الرافعي، **عصر إسماعيل**، القاهرة، مكتبة النهضة، ج١، ط٢، ١٩٤٨م ص٢٠٩.
٢) لطيفه محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، **مرجع سابق** ، ص ٩٢.

ويعد حسن توفيق العدل أحد رواد الفكر والتنوير الذين قادوا حركة الإصلاح والتعليم مع نهاية القرن التاسع عشر وكتاباته في التربية وتدريسه بدار العلوم بعدما تخرج منها فكل ذلك أدى إلى وجود طبقة من المثقفين في أوساط المجتمع المصري قادت حركة الإصلاح والتمدن ونمو الفكر والوعي لدى سواد الشعب المصري.

٣.المثقفون:

وتضم الأفراد الذين استطاعوا الالتحاق بالتعلم رغم العقبات، وكان هؤلاء قوة ثورية لعبت الدور القيادي في الحركة الوطنية سواء كانت أيام الثورة العرابية أم قادة الإصلاح والتنوير أم الزعماء المناضلين ضد الاحتلال، وأخذ هؤلاء على عاتقهم حركة النهوض الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، والتف حولهم الشعب مؤمنا بوطنيهم الصادقة ورغبتهم الأكيدة في الإصلاح أمثال على مبارك وعبد الله النديم والأفغاني ومحمد عبده ثم مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وغيرهم الكثير، وهؤلاء قادوا حركة الإصلاح الاجتماعي للشعب المصري فعملوا على تخفيف حدة العداء بين الأغنياء والفقراء؛ لأنهم يعلمون أن التماسك المجتمعي لا يأتي إلا بتخفيف حدة العداء بين الفقراء والأغنياء ويكون ذلك "بتوجيههم ليكونوا مصدر خير وسعادة لا مصدر تأخر وكساد"(١) حتى يعم الخير والفائدة على أبناء الوطن ويستطيعوا أن يلحقوا بركب المدنية والتقدم الحضاري آنذاك الوقت.

وحملت هذه الطبقة من المثقفين على عاتقها هم التعليم لأنه يعود على المجتمع بالتماسك والترابط ويحقق الروح الجماعية بين الأفراد ويرفع

---

١) عاطف العراقي، الشيخ محمد عبده بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره (١٨٤٩ـ ١٩٠٥م)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ٢، ١٩٩٧، ص٢٨٦.

المستوى الثقافي والفكري وبالتالي يعود على الوطن بالارتقاء وظهرت في تلك الفترة المناداة بتعليم المرأة "حيث كان من الملاحظ غياب البنات عن مؤسسات التعليم في هذه الفترة وكان الولد هو الذي ينال القدر الأعظم من العناية بالتعليم بينما كانت البنت مستثناه من ذلك في معظم الأوقات وهذا يعكس وضع البنت بصفة عامة في المجتمع في تلك الفترة"(١) وسبق ذلك أن نادي الطهطاوي بتعليم البنات مع الأولاد فقال "ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معًا فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فهذا مما يزيدهن أدبًا وعقلًا ويجعلهن بالمعارف أهلًا..."(٢) وسار قاسم أمين على منوال الطهطاوي وخاصة بعد كتابه تحرير المرأة، والمرأة الجديدة اللذان أثارا ردود فعل واسعة النطاق ما بين مؤيد أرائه ومعارض لها وخاصة حينما أنتقد نساء الطبقات العالية من المجتمع فنرى أن المرأة في الطبقة العالية لم تكن علي المستوى الثقافي المناسب لرجال هذه الطبقة الذين تربوا على حب العلم واستنارت عقولهم بالثقافة دون أن يتبعهم النساء في ذلك(٣)، ويمكن اعتبار حسن توفيق العدل وأحدًا من أبناء هذه الطبقة، فقد تعلم العلوم الدنيوية والشرعية بالإضافة إلى اللغات والكتابات في التربية والتعليم وآداب الرحلات(٤).

---

١)*Issa،Boullata: The Early schooling of Ahmed Amin and marunAbboud، the muslim world، Vol ٦٥،P. ٩٦.*

٢) رفاعة الطهطاوي، **المرشد الأمين للبنات والبنين**، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م ، ص٦٦.

٣) قاسم أمين، **تحرير المرأة**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧م، ص١٦.

٤) راجع الفصل الثالث من البحث.

الطوائف غير المصرية:

وتتكون هذه الطبقة من العناصر الأوربية التي وفدت إلى مصر تحت حماية قوات الاحتلال البريطاني وتغلغلوا في مسالك الحياة الاقتصادية.

"ومن أجلها انتشرت مدارس الإرساليات في العالم الإسلامي ومنها مصر بحجة أنها مدارس لتعليم أبناء الجاليات الوافدة فأصبح في كل قطر العديد من المدارس الأجنبية ووصلت في عام ١٨٨٥م إلى ٩٣ مدرسة بواقع ٨٩١٦ تلميذا ارتفعت في عام ١٨٨٧م إلى ١٩١ مدرسة ٢٢٧٦٤ تلميذًا أي زادت أعداد المدارس والتلاميذ أكثر من الضعف خلال عامين فقط كما ذكرت ذلك بعض الدراسات"(١).

ولقد كان لهذه المدارس خطرها من حيث إسهامها في خلق جيل جديد من أجيال الأمة له ولاء خاص لتبعية هذه المدارس أو تلك، كما أنها كانت مستقلة ومنعزلة عن رقابة الدولة إلى أن تزايد المد الوطني وأصبح هناك إشراف من وزارة المعارف على جميع المدارس الحكومية "وتزايدت الإرساليات مع قدوم الاحتلال البريطاني إلى مصر فبلغ إجمالي الأجانب في مصر عام ١٨٧١م أي قبل قدوم الاحتلال ٧٩٦٨٦ أجنبيًا بينما وصل في عام ١٨٨٢م إلى ٣٧٤٨٣٨ أجنبيًا منهم حوالي ٢٢٤٢٢ أجنبيًا يتمركزون في القاهرة(٢).

١) دراسة طلعت زكري مينا، **الإرسالية الأمريكية ونشاطها التربوي في مصر من منتصف القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٦م**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية _ جامعة أسيوط، ١٩٨٤م، ص١٨٤.

٢) إيمان شوقي الهيتى، **الجاليات الألمانية في مصر ١٨٦٣- ١٩٠٤م**، القاهرة دار الكتب والوثائق المصرية، ٢٠١٤م ، ص٦٨.

ولقد أثر الوافدين الأوربيين في المجتمع المصري بوجه عام والمثقفون منه بوجه خاص وكان العدل مما تأثر بهؤلاء وأكتسب منهم اللغة وخاصة الألمانية وكانت تربطهم علاقات معه دعته في بعض الأحيان لإلقاء قصائد في الألفة بين أبناء وطنه وبين الانجليز على ما سيوضح في الفصل الثالث.

رابعاً: الحياة العلمية والثقافية:

لقد أهتم الخديوي إسماعيل بالحركة العلمية في مصر وعمل على إنشاء بعض المؤسسات العلمية التي تخدم الأبحاث العلمية، ومن أهم المنشآت العلمية التي أسسها الخديوي إسماعيل هي الجمعية الجغرافية الخديوية "وقد تأسست هذه الجمعية عام ١٨٧٥م وكان الهدف من إنشائها هو العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها وارتياد القارة الإفريقية واكتشافها"[١] بل كان يريد إسماعيل أن يصبح لمصر مركز علمي وجغرافي على غرارما يوجد في الدول الأجنبية واكتشاف ما يتعلق بوادي النيل ومنابعه وروافده.

ولمَّا أراد إسماعيل أن يبنى مصر الحديثة على نظام جده محمد على أنشأ مجموعة من المدارس الأميرية بجانب الأزهر؛ وذلك لتثقيف أبناءها على النمط الأوربي وأرسل البعثات إلى أوربا وخاصة فرنسا فكان ذلك بداية لوجود الازدواجية في النظام التعليمي لمصر، ومن أهم رواد الفكر والإصلاح في التعليم في ذلك الوقت على مبارك الذي أطلق عليه "رائد التعليم الشعبي والمصلح التربوي الذي دفعته التجربة الواقعية والخبرة

---

١) إيمان شوقي الهيتى، الجاليات الألمانية في مصر ١٨٦٣- ١٩٠٤م،**مرجع سابق** ، ص٢٠٩.

القاسية إلى الإصلاح مؤمنا بأنه عن طريق التربية لا السياسة يكون التقدم، بل أن الإصلاح السياسي ما لم يرتكز على الإصلاح التعليمي فلا بقاء له ولا قيمة"[1]، وهذا ما كان يحدث في المدارس الأميرية التابعة للحكومة وعلى الجانب الأخر ظهر رواد مصلحون أخذوا على عاتقهم إصلاح التعليم الأزهري، ومنهم الشيخ محمد عبده الذي نادي بإصلاح نظام التعليم والمواد وطريقة الامتحانات.

فأغتنم محمد عبده لقاءه مع الخديوي عباس حلمي الثاني وذكره بمطالبه من الإصلاح على المؤسسات التي ليس للاحتلال ولاية عليها "وهى معاهد الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية فراقه حديث الشيخ وكلفه أن يعود إليه بشرح مستفيض لوجوه الإصلاح المطلوب"[2]، ولما أتى الاحتلال الإنجليزي حرص على دعم ثنائية التعليم في مصر ولكنهم لم يستشعروا الخطر من ناحية الأزهر ولذلك لم يقربوه أما المدارس العامة فقد رأوا فيها الخطر الكامن؛ ولذلك حصروا التعليم في أضيق الحدود وحاربوا الثقافة العربية والروح الوطنية عن طريق إضعاف اللغة العربية والمعلمين.

١. التخبط التعليمي في عهد الاحتلال:

في الوقت الذي أخذ الانجليز يسيطرون فيه على كل نشاط سياسي واقتصادي أخذوا يسيطرون على التعليم ليوجهوه في الطريق الذي يضمن لهم إضعاف البلاد سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، ولم يجد الانجليز أية حاجة

١) سعد مرسى احمد، **تطور الفكر التربوي**، القاهرة، عالم الكتب، ط١١، ١٩٩٢م ،ص٤٣٠.
٢) عباس محمود العقاد، **عبقري الإصلاح والتعليم محمد عبده**، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د٠ت) ص ١٣٩.

إلى نشر التعليم أو وضع أية خطط تعليمية لنشر التعليم بل يمكن القول بأنهم على العكس من ذلك وضعوا الخطط للحد من ازدياد عدد المدارس وعدد المتعلمين وكانوا "يعتقدون أن تعلم القراءة والكتابة فيه الكفاية بالنسبة لسواد الشعب"[١].

ومما يظهر لنا سياسة التخبط في الجانب التعليمي من الاحتلال أننا نجده أحيانًا يهتم بالمراحل الأولية للتعليم وبهمل المرحلة الثانوية والعالمية كما سبق ونجده أحيانًا أخرى يتبع سياسة الهرم المقلوب بأن يهتم بالتعليم الثانوي والجامعي ويهمل التعليم الأولى "حيث تبين أن عدد الأماكن المخصصة للتلاميذ بالمدرسة الثانوية يعتبر كبير بالمقارنة بعدد الأماكن في المرحلة الأولى"[٢].

وكما حرص الانجليز على تضيق الخناق على التعليم في مصرفقد أبطل الاحتلال إيفاد البعثات العلمية إلى الخارج تقريبًا ثم عاد فأرسل عددًا قليلًا من الطلاب، وكان العدل من بين هؤلاء المبعوثين في ذلك الوقت، واقتضت سياسة الاحتلال توجيه البعثات إلى انجلترا بدلًا من فرنسا، وفتحت قنوات التأثير الأوربية على مصر خاصة والعالم العربي بشكل عام، ويذكرها الدكتور سعيد إسماعيل على في ست قنوات:[٣]

١) الإرساليات التبشيرية: لأنهم يعتقدون أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا ويرون العداوة بين الإسلام والغرب دينية بينما هي سياسية.

١) حسن الفقي، التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، **مرجع سابق**، ص١٠٧.

٢) احمد إسماعيل حجى، **التعليم في مصر ماضيه وحاضره ومستقبلية**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م ، ص٧٩.

٣) سعيد إسماعيل على، **الفكر التربوي العربي الحديث**، الكويت، عالم المعرفة، العدد (١١٣) مايو ١٩٨٧م ص ٣٩-٥٤.

٢) دور النشر: ويقصد بها مراكز نشر الثقافة والعلوم الغربية داخل مصر وتتمثل في دور الطباعة والنشر التابعة للاحتلال.

٣) المدارس الأجنبية: وهى تسبق الاحتلال وتمهد له وتطبع تلاميذها بطباعهم حتى يتقبلهم جزء من المجتمع

٤) البعثات: لتعلم على يد أساتذة غربيين في مختلف الفنون في معاهد أكاديمية مخصصة للتعليم والبحث أو كمعلمين لظهور مستشرقين على يد أساتذة شرقيين أمثال العدل حينما أرسل معلمًا للغة العربية في جامعة كمبردج البريطانية.

٥) وسائل الإعلام الممثلة في المبشرين.

٦) الترجمة: وإدخال الكثير من مظاهر الحضارة الغربية إلى بلاد الشرق ومصر وذكر بعض الباحثين "أن بلاد الشرق ومصر أخذوا في الاقتباس من ثقافة الغرب وبمناهج تفكيره وأخذوا بتأليف الكتب ونشر الوعي القومي والاهتمام بالصحافة والتعليم"[١]، وانشترت الثقافة والفكر في أرجاء المجتمع المصري وكان على الشعب أن يختار الثقافة والفكر الذي يناسبه الطريق التي يحتاج إليها، ونتعرض لأهم هذه التيارات الفكرية والعلمية.

٣. التيارات الفكرية والعلمية:

الاتجاه الديني الإسلامي: ويمثله أبناء الأزهر ومن تثقف على طريقتهم الذين اتسموا بالنزعة المحافظة ودعموا الارتباط السياسي بالدولة العثمانية أو بفكرة الجامعة الإسلامية ونبذ كل ما هو غربي وهؤلاء

١) رمزي احمد مصطفى، **الآراء التربوية عند قاسم أمين**، رسالة ماجستير غير منشودة كلية التربية جامعة المنوفية ،١٩٨٩م ، ص٣٧.

١.حاولوا إحياء الثقافة السلفية بكل مظاهرها وإبراز قدرة الدين على مواجهة التيارات الغربية وكان منظور هذا الاتجاه في التربية هو المنظور الديني للتربية فيقولون "فالدين للإنسان هو الشيء الوحيد الذي يمثل بين يدى كل نفس صورة الكمال الحقيقي وغرس بذور محبة الدين في نفس الطفل يجعل وجهته في كل حركاته وسكناته نحو الكمال في كل شيء ويخلق عنده رغبة كاملة في كل ما يراه جميلًا"(١)، ويرجع الفضل إلى أصحاب هذا الاتجاه في المحافظة على عموميات وخصوصيات الثقافة المصرية أمام التيارات الوافدة التي حاولت التبشير في مصر.

٢.الاتجاه العلماني: وكان النقيض من الاتجاه السابق يدعوا إلى النهل من مصادر الثقافة الأوربية ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم "كانوا يعتقدون في تفوق الغرب ويريدون اللحاق به ويرون أن التقدم والمدنية لا يتحققان إلا باقتباس الحضارة الغربية بنظمها عاداتها وتقاليدها وآدابها وعلومها وفنونها"(٢)، وهذا الاختلاف بين الاتجاه العلماني والإسلامي أدى إلى استقطاب ثقافي داخل المجتمع المصري فالعلمانيون يدعون إلى "الفصل بين الدين والدنيا بحيث لا تكون للأول سيطرة على الثانية، وإنما يكون العقل الإنساني وحده هو الموجه"(٣) بينما يرى الإسلاميون أن الدين الإسلامي منهج حياة شامل كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعلى الجانب الأخر يتضمن الاتجاه العلماني في

---

١) محمد عمارة، **قاسم أمين الأعمال الكاملة**، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٩م، ص ١٩٣.

٢) محمد الحسين عبد القادر، **احمد أمين كاتبا وناقدا**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية_ جامعة الأزهر بالقاهرة، ١٩٦٧م ص٤٣.

٣) سعيد إسماعيل على، **ثقافة المقهورين**، القاهرة عالم الكتب، ٢٠٠٨م ، ص١٠٩.

داخله العديد من الأفكار ومن بينها: الليبرالية والاشتراكية، الفرعونية، والعقلانية.

٣.الاتجاه التوفيقي: وهو اتجاه مدرسة المحافظين المجددين ويتمثل في أولئك الذين تلقوا ثقافتهم الأولى في علوم التراث فالتحقوا بالكتاتيب وحفظوا القرآن وتعلموا بالأزهر حتى تمكنوا من علوم التراث وأتقنوها وهيأت لهم ظروفهم الاطلاع على أساليب الفكر الحديث والأخذ بنصيب من الثقافة الأوربية وهؤلاء كانوا تلاميذ للتيارات العقلانية التي تبدأ من فلاسفة الإسلام ولا تنتهي عند المعتزلة أي أن المسلم لا يستحيى من استحسان الحق واقتنائه من أين أتى وممن أتى من الأجناس والأمم البعيدة عنه سواء كانت غربية أو شرقية فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق "فالمسلم يستعين على سبيله بما قال غيره ممن تقدمه، وسواء كان ذلك الغير مشاركًا له أو غير مشارك له في الملة"(١).

وينتمي حسن توفيق العدل إلى هذه المدرسة التي تمتعت بأصالة الثقافة الإسلامية ونهلت من العلوم الشرعية وآمنت بنقل التقدم والمدنية من الدول الغربية بدافع الوطنية وحب المنفعة للدول التي مازالت تعيش في ظلمات الجهل والتخلف، ويعد العدل هو أول من ادخل إلى أدبنا العربي المعاصر كتابة تاريخ الأدب. فقد كان هذا النوع غير معروف في مدارسنا وأبحاثنا ويعتبر العدل أحد رواد دار العلوم سافر إلى أوربا وتعلم علومها فلما عاد إلى مصر حاول أن ينفع بما اقتبسه من علم. فكتب عن

---

١) جابر عصفور، **نحو ثقافة مغايرة**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨م ص٣٠.

البيداجوجيا وهو علم هداية الأطفال وذكر فيه طريقة تهذيبهم وكيفية تربيتهم تربية علمية حديثة مع الحفاظ علـــى الهويـــة الإســـلامية والثقافة العربية كما سوف نوضح في الفصل القادم.

الفصل الثاني

فكر العدل ومؤلفاته

أولاً: مولده وحياته:

الشيخ حسن توفيق بن عبد الرحمن العدل(١٢٧٨ - ١٣٢٢ هـ/ ١٨٦٢ - ١٩٠٤م)[١]

كان مولده في مارس١٨٦٢م بالإسكندرية لأب كان رئيس محكمة في دمياط وتلقى علوم الفقه واللغة العربية علي يد علمائها ثم أنتقل إلي القاهرة ليكمل دراسته بها، ثم التحق بالأزهر وحفظ القرآن وحصل علي أربع أجازات من الشيوخ الكبار وهم (إبراهيم السقا، حسن العدوي، محمد الانبابي، محمد البناني الشنقيطي) وقد حصل علي هذه الأجازات ولم يكن قد تجاوز العشرين من عمره، وبجانب تعليمه بالأزهر التحق بإحدى المدارس الليلية تلقى فيها علوم الجغرافيا والرياضة والتاريخ وتعلم بها الفرنسية التي أجادها فيما بعد وقرأ بها كثير من الآداب والمعارف الفرنسية.

وبعدما أتم دراسته بالأزهر التحق بدار العلوم في القاهرة وتخرج منها عام ١٨٨٧م[٢]، واختير معلم العربية في المدرسة الشرقية ببرلين، فقضى بها أكثر من خمس سنوات، وتخرج على يديه عدد من المستشرقين، وأصدر في برلين مجلة "التوفيق المصري " وعاد إلى مصر فعين مفتشاً في المعارف ثم اختير أستاذ العربية في كمبردج ذهب إليها سنة ١٩٠٣م[٣].

---

١) أنور الجندي، **أعلام لم ينصفهم جيلهم، القاهرة**، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت)، ص ـ ص٢٦، ٢٨.
٢)عبد المنعم محمد سعيد، **رحلة حسن أفندي العدل**، القاهرة، دار الكتب ٢٠٠٨م، ص٩.
٣)خير الدين الزر كلي، **الإعلام**، المكتبة الشاملة، ج٢، ص١٨٦م.

وفاتـــــه:

بينما هو خارج من عمله في كمبردج أصيب بعــارض صـــحي أودى بحياته ومات فجأة في ٣ من يونيو ١٩٠٤م واهتز لموته جميع أركان جامعة كمبردج وحزن عليه زملاؤه وطلابه حزنًا شديدًا، وفي ١٩يونيـــو ١٩٠٤م نشرت صحيفة المؤيد خبر وفاة الشيخ حسن توفيق العدل تحت عنوان "إنما يعرف الفضل من الناس ذووه" ونشرت فيه نص خطـــاب الأســـتاذ بـــراون الأستاذ بجامعة كمبردج إلي مفتى الديار المصرية "الشيخ محمد عبده" ينعى فيه العدل ويشير إلى أن الفقيد صلى عليه وغسله وكفنه وقرأ عليه القرآن عبدالحق حامد مستشار السفارة التركية في لندن[1]، وكتب براون رســـائل أخرى إلى يعقوب باشا أرتين "وكيل المعارف" وأخرى إلي اللـــورد كرومـــر وثالثة إلي كل أصدقاء الفقيد وإلي كل المصريين.

وفي مساء يوم الاثنين ٣٠ مايو ١٩٠٤م أي قبل وفاته بثلاثة أيـــام أجتمع العدل مع طلابه وألقى عليهم درساً بليغاً ينم عـــن وطنيـــة صـــادقة وحنين للوطن مما حمل صديقه ومؤرخ حياته في إنجلترا براون علـــى أن يختم مقاله الذي نشره في المجلة الآسيوية بهذه العبارة "وإننا نحن الـــذين عرفناه وفهمنا صفاته العالية وآماله السامية، نرجو بل نعتقـــد أن النفـــوذ الذي تركه وراءه حيًا ناميًا فعالًا في نفوس الذين تعلموا علي يده الحب

١) محمد احمد السويدي، **رحلة عربي من برلين إلي برلين، رابطة أدباء الشام** بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٢٣م، تاريخ الدخول: ٢٠١٥/٧/١٠م، الموقع http://www.odabasham.net

والولاء والاحترام الذي خلقه فيهم سيؤدي لقومه الخدمة النافعة والغاية الشريفة التي كان يأملها ويرجوها لبلاده

خلقه فيهم سيؤدي لقومه الخدمة النافعة والغاية الشريفة التي كان يأملها ويرجوها لبلاده"[١].

وفي ظهر يوم الثلاثاء ٢٨ من يونيو ١٩٠٤م شيعت جنازته من برلين إلي محطة مصر العمومية، وكانت جنازة عسكرية فاصطفت عساكر سواري الفرسان في ذلك الوقت ثم عساكر البيادة(المشاة) ثم طلبة دار العلوم ثم طلبة عثمان ماهر ثم تلاميذ مدرسة والدة عباس باشا الأول ثم النعش، وتقدم المشيعون حسين فخري باشا ناظر المعارف ويعقوب اريتن وكيلها ثم عائلة الفقيد وأصدقاؤه وسارت الجنازة من محطة مصر فشارع باب الحديد وصولًا إلي عابدين ثم ميدان السيدة زينب حيث أقيمت صلاة الجنازة عليه ثم حمل الفقيد علي الأعناق إلى أن واراه التراب في مدافن السيدة نفيسة[٢].

وكان في جملة من شيع جنازته الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل، وتوفى الشيخ العدل عن عمر يناهز ٤٢ سنة تاركًا مجموعة كبيرة من الكتب التي لم يتم طبعها وتعد نواة لكثير من العلوم الإنسانية في الوقت الحاضر، وبعد وفاته اعتمدت مؤلفاته في علم أصول التربية والتاريخ النقدي في مناهج دار العلوم حتى عام ١٩٤٥م أي ظل فكر العدل التربوي والأدبي يدرس في دار العلوم لما يربو علي نصف قرن من الزمان.

---

١) عبد الحميد صبحي ناصف، **موقع جريدة الحياة، الأزهري الذي قابل بسمارك**، العدد١٨١١٠ بتاريخ ٢٠١٢/١١/٣م، ص١٩تراث، تاريخ الدخول ٢٠١٥/٧/٧م،الموقع:-http://www.langue arabe.fr/spip.php?article١١٢١

٢) عبد المنعم محمد سعيد،رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق**، ص١٣.

ثانياً: رحلاته وانفتاحه على الغرب:

يعد حسن توفيق العدل من أوائل من درس علوم التربية "البيداجوجيا" في ألمانيا ففي سبتمبر ١٨٨٧م اختارته "نظارة المعارف" لتدريس العربية للطلاب الأجانب في برلين، وقضى هناك خمس سنوات مدرسًا للعربية، وفي الوقت نفسه طالبًا لعلم البيداجوجيا، وكان من بين طلابه نخبة من المستشرقين الأوروبيين لمع أكثرهم في ميادين الدبلوماسية والإستشراق والتجارة[١].

ولقد غادر العدل مصر من الإسكندرية متجهًا إلى ألمانيا، ثم إلي لندن ثم فيينا وانتهى به المطاف في برلين قادمًا من فيينا، وكان في استقباله مدير المدرسة الشرقية، الذي عين له مترجمًا يرافقه في الأسابيع الأولى من إقامته البرلينية، إلى أن يبدأ في تعلم اللغة الألمانية[٢]، وفي أكتوبر من سنة ١٩٠٣م وصل إلى إنجلترا لتدريس اللغة العربية في جامعة كامبردج بطلب من الحكومة المصرية فقضى هناك سبعة أشهر، صرفها في التدريس والبحث، وهناك اختير عضوًا في الجمعية الآسيوية الملكية، استثناء من القاعدة التي تمنع عضوية الأجانب في هذه الجمعية العلمية العريقة[٣].

وخلال إقامته الأولى في برلين استقبله إمبراطور ألمانيا وهو بزيه المصري التقليدي، وعلى أثر قصيدة نظمها في مدح الإمبراطور وباللغتين العربية والألمانية، قلده الإمبراطور وسامًا ملكيًا، هذا وقد استمرت رحلته

١) عبد الحميد صبحي ناصف، موقع جريدة الحياة، الأزهري الذي قابل بسمارك، **مرجع سابق**.
٢) محمد احمد السويدي، رحلة عربي من برلين إلي برلين، رابطة أدباء الشام،**مرجع سابق**.
٣) توجد غالبية أعمالها في مكتبة آداب الإسكندرية.

وسياحته في المدن الألمانية والسويسرية لمدة شهر كامل، طاف خلالها عشرات المدن ومئات القرى وكتب عن طبيعتها وناسها ومصانعها وعلومها ومدارسها، وآمن العدل بأهمية نقل الثقافة الغربية والأساليب والمناهج التي توافق مجتمعنا مما يضيف إلي شخصيتنا قوة وحياة[١].

ولم يكن العدل مجرد معلم بل حرص علي تعلم الألمانية في أقل من ستة أشهر، كما حرص على أن يستفيد من كل مشاهداته التربوية والاجتماعية والسياسية وأن يحيل ذلك كله إلى كتابات كتبها بالمصرية، وفي جميع الحالات كان مصريًا نابهًا وسفيرًا لبلاده ومدافعًا عن قضاياها، ويرى الدكتور محمد صابر[٢] عرب أن رحلة حسن العدل إلى ألمانيا وسويسرا نموذج لأدب الرحلات، ليس لأنها قد سجلت بدقة كل ملاحظات الرجل ومشاهداته وانطباعاته، وإنما لما تميزت به من روح مرحة وطرف خفيفة الظل كان طرفًا فيها.

كما يلاحظ على رحلة حسن العدل عنايته الفائقة بالتعليم وحرصه على الاستفادة من تجارب كل البلاد التي زارها لدرجة أنه سافر من ألمانيا إلى إنجلترا وفرنسا حيث أمضى عدة شهور متنقلًا بين المؤسسات التعليمية والثقافية فزار جامعات أكسفورد وكمبردج وايتون، قبل العودة إلى بلاده لكي يقدم خبرته إلى وزارة المعارف المصرية غير أن القدر لم يمهله حتى يعود لينهض ببلاده ويضع قدميها علي ركب الحضارة والمدنية فأصيب بعارض صحي أودى بحياته ومات فجأة في ٣ من يونيو ١٩٠٤م قبل عودته إلى مصر وعاد جثمانه لكي يوارى تحت تراب الوطن فرحمه الله رحمة وأسعه.

---

١) أنور الجندي، **إعلام لم ينصفهم جيلهم، القاهرة**، مرجع سابق، ص ٢٨.
٢) وزير الثقافة المصري الأسبق.

ويشير الدكتور محمد صابر عرب،[1] إلي التشابه بين مهمة رفاعة الطهطاوي في باريس ومهمة حسن العدل في برلين، فالأول ذهب إمامًا وموجهًا لطلاب البعثة المصرية ففاق الجميع علمًا ومعرفة وبقيت كتاباته نورًا وضاء في تاريخ الثقافة المصرية، أما الشيخ حسن العدل فقد اختارته نظارة المعارف معلمًا في مدرسة برلين الشرقية عاصمة بروسيا في ذلك الحين، وأسند إليه الخديوي توفيق مهمة إضافية هي الإشراف على طلاب البعثة التعليمية المصرية في برلين بالإضافة إلى عمله في انجلترا أستاذا للغة العربية وآدابها بجامعة كمبردج لمدة عامين.

ولابد أن ننبه إلي ما أنجزه العدل من الأعمال العلمية والتربوية في رحلته أهمها تاريخ آداب اللغة العربية الذي يعد من أقدم الكتب في تاريخ الأدب العربي، وإلي اهتمامه بتربية الناشئة مستفيدًا من تجربة الألمان فألف كتابًا عن التربية الرياضية وآخر في التربية سماه مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات وكتابًا ثالثًا طبع بعد وفاته هو سياسة الفحول في تثقيف العقول أما أهم ما كتبه فهو رحلة حسن أفندي توفيق عن تجربته في ألمانيا وسويسرا.

ويذكر أن العدل كان يصدر في برلين مجلة "التوفيق المصري" (لم يقف الباحث علي أي عدد منها ولا من سبقه في البحث عنه)[2]، ولم يكتف العدل بمقامه في برلين، بل كان ينتهز فرصة العطلات للسياحة في غيرها

١)في مقدمته لكتاب **رحلة حسن أفندي توفيق العدل (١٨٨٧- ١٨٩٢م)** إعداد عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص١٠.
٢) محمد عبد الجواد، **إعلام النهضة الحديثة**، ط٢، ج٩، القاهرة، دار الكتاب المصري، ص١٣٥٤.

من البلاد والممالك، كرحلته إلى فرنسا، "ولما بــرح بــرلين أمضــى بضعة شهور متنقلًا في أوروبا، وخصوصًا في إنجلترا، بقصد الوقوف على طرق التعليم والتربية في مدارسها الكبرى، فزار جامعات أكسفورد وكمبردج وأيتون وهارو"[١].

وفي الحقيقة لم يكن العدل أول من دون يوميــات وانطباعــات عــن ألمانيا، فقد سبقه اللبناني سليم بســترس فــي العــام ١٨٥٥م وعاصــره المصري محمد أمين فكري، الذي زارها في العام ١٨٨٩م وتبعه آخــرون. لكن العدل تميز عن هؤلاء بأن سياحته انحصرت في ألمانيا وفــي الجــزء الألماني من سويسرا، وعبر مرارًا عــن إعجابــه بالشخصــية الألمانيــة وبشخصية الأمير بسمارك الذي أفرد له فصل كامل في كتابه"رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا"، ويذكر أن العدل حضر جلسة في البرلمــان استمع فيها إلى بسمارك وهو يخطب، وتلقى العدل رســالة مــن بســمارك يشكره على اهتمامه[٢]، وحصل علي الوسام المجيد الخامس من الخــديوي توفيق ١٨٨٧م، ووسام التاج الملكي من إمبراطور ألمانيا[٣].

مثل هذا الرجل والمعلم الرائد جدير بأن نعيد قراءتــه، خاصــة فــي توجهه إلي النشء الجديد واهتمامه بالأساليب التربوية الحديثة وأهمية تعليم البنات وعدم الاقتصار في مجال التعليم علي العلوم الإنســانية والتجريبيــة فقط؛ وإنما لابد أن يواكب هذا كله عناية بالروح والنفس من خلال برامج

---

١) زكي محمد مجاهد، **الإعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر هجرية**، ط٢، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢١٥.

٢) عبد الحميد صبحي، موقع جريدة الحياة، الأزهري الذي قابل بسمارك،**مرجع سابق**، ص١٧.

٣) عبد العزيز سعود البابطين، **معجم شعراء العربية في القرن١٩**، تاريخ الدخول: ٢٠١٤/٩/٢٩م، الموقع http://www.almoajam.org/search_result.php?keyword

رياضية تكون جزءًا أساسيًا من برامج الدراسة، "وتبقي التحية والتقدير لهيئة دار الكتب والوثائق القومية في مشروعها الجليل لإعادة نشر هذا التراث مدروسًا ومحققًا وإتاحته لأبناء هذا الجيل"[١].

شخصيته وأخلاقه:

حينما يقف الباحث محللًا شخصية العدل وأخلاقه من خلال مؤلفاته ومن خلال ما كتبه عنه أصدقاؤه فيجد أنه أمام شخصية فريدة من نوعها في زمانها والحق ما شهدت به الأعداء فيكتب الدكتور برون صديق العدل في إنجلترا وهو ليس عربي ولا مسلم بل عايشه وعرف شخصيته عن قرب فيقول في رسالته التي نعى فيها العدل لمفتي مصر الشيخ محمد عبده" وإننا نحن الذين عرفناه وفهمنا صفاته العالية وآماله السامية، نرجو بل نعتقد أن النفوذ الذي تركه وراءه حيًا ناميًا فعالًا في نفوس الذين تعلموا علي يده الحب والولاء والاحترام الذي خلقه فيهم سيؤدي لقومه الخدمة النافعة والغاية الشريفة التي كان يأملها ويرجوها لبلاده"[٢].

ويعتبر العدل هو"أول من أدخل إلي أدبنا العربي والمعاصر كتابه تاريخ آداب اللغة العربية "فقد كان هذا النوع من الكتابة غير معروف في أبحاثنا ومدارسنا"[٣] وكان لنبوغ العدل وتنوع ثقافته وطموحاته العلمية الفائقة وكونه أديبًا وتربويًا كبيرًا يجمع الخلق الفاضل والأدب البارع والذهن

---

١) فاروق شوشة، **حسن توفيق العدل**، موقع جريدة الأهرام، السنه١٣٣، العدد٤٤٥٥٤، بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٣٠م، تاريخ الزيارة ٢٠١٤/٩/٢٠م.

٢) عبد الحميد صبحي ناصف، موقع جريدة الحياة، الأزهري الذي قابل بسمارك، **مرجع سابق**، ص٩.

٣) أنور الجندي، **إعلام لم ينصفهم جيلهم**، **القاهرة**، مرجع سابق، ص٢٦.

المتوقد النشط كانت أسبابًا كافية لاختياره من قبل نظارة المعارف لكي يسافر إلي ألمانيا بمجرد تخرجه من دار العلوم[١].

أما عن جده واجتهاده: فكان العدل في برلين يجد ويكد ويعمل ليل نهار لتحصيل الدروس، واضعًا نصب عينيه خدمة بلاده وأمته، عاملًا على رفعة شأنها، يختلط بالعظماء والكبراء ويعمل عضوًا في بعض المنتديات العلمية والأدبية، وكان شاعر مناسبات يلتزم شعره وحدة الوزن والقافية ويعبر فيه عن رحلاته ومشاهداته في الشرق والغرب، والتسجيل لأحداث حياته المهمة، ومديح الأعلام والحكام الذين التقاهم، والترحيب بقدومهم وزياراتهم وهو في برلين، خاصة الخديوي عباس حلمي الثاني الذي زارها بعد حادثة فاشودة[٢] في نهاية عام ١٨٩٩م، وفي ٢ يونيه١٩٠٠ كتب مصطفي كامل رسالة يقول فيها "لقد ألمنا كثيرًا سياحة الخديوي في لندن وتودده للاحتلال...

وكان العدل يميل في شعره إلى النزعة التعليمية، وله في ذلك نظم علمية، كما يميل إلى استقراء أحوال التاريخ وتوجيه الأنظار لاستخلاص الحكمة والعبرة، ومنها قصائده في الدعوة إلي الوفاق بين أبناء وطنه والموظفين الإنجليز في مصر[٣].

وفي احتفال جمعية اللغات الشرقية ألقى قصيدة من نظمه نوه فيها بفضل الإمبراطور والإمبراطورية، فكان لها أحسن وقع في نفوس الألمان جميعًا، فاستدعاه الإمبراطور لمقابلته، وبعد أن سأله عن مصر وأهلها طلب

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق**، ص١٠.
٢) محمود حلمي مصطفي، **دراسات في تاريخ مصر السياسي سياسة انجلترا الداخلية من (١٨٨٢-١٩٥٢م)**، أسيوط، مكتبة الطليعة، ١٩٨٥م.ص٣٨
٣) عبد العزيز سعود البابطين، معجم شعراء العربية في القرن١٩،**مرجع سابق.**

إليه أن يسمع قصيدته بالعربية وإن لم يكن يعرف هذه اللغة، لأنه أراد أن يتبين ملامحها وآثارها في إلقاء القصيدة، وفي النهاية قام الإمبراطور وقلده بيده وسام التاج الملكي وسلمه براءته بنفسه(١).

وطنية العدل:

وفي الحقيقة، فإن جو إنجلترا الخانق لم يلائمه، فعاد إلى مصر أستاذاً في دار العلوم، ومفتشاً في نظارة المعارف، وكان العدل في إنجلترا، كما كان في ألمانيا داعية لوطنه ودينه، فكان يشتغل بالمسائل الدينية، فيجتمع بمسلمي هذه البلاد من الإنجليز ويلقنهم أسرار الدين الحنيف، ويعلمهم أحكامه وحكمه ويصلي بهم إمامًا بعد أن يتزين بالملابس الشرقية، ومن يتتبع سيرة العدل ويقرأ مقدمات كتبه وما تركه عن رحلته إلى بلاد الغرب ورحلاته في أوروبا، يرى أنه لم ينس واجبه نحو وطنه ولو في منامه،وتتجلى وطنيته في كل كلمة كان يكتبها وفي كل مكان كان يحل به(٢).

وتتجلى في حبه لوطنه والغيرة عليه واشتياقه له ففي أثناء رحلته إلى برلين زار متحف لمشاهير العالم بأعمالهم ومخترعاتهم فيقول: "وكنت طامع في أن أرى تمثال مصري عمل كذا وكذا أيضًا حتى اخفف مقدار الغيرة مني، فما رأيت، ولا سمعت؛ فزرفت العيون مني بالدموع أسفًا وحميةً وصرت لا أدري موطئ قدمي وما دريت في أي مكان أنا تفكرا واندهاش مما عراني من الأسف على أبناء الجنس"(٣)

---

١) أنور الجندي، **الإعلام المعاصرون في العالم الإسلامي**، القاهرة، الانجلو المصرية ١٩٧٠م، ص ٦٥.
٢) عبد الحميد صبحي ناصف، موقع جريدة الحياة، الأزهري الذي قابل بسمارك ، **مرجع سابق**، ص١٥.
٣) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق**، ص ٧٨.

وهذا يظهر لنا مدى حبه لوطنه وغيرته على جنسه العربي بأن يتمنى أن يكون في وسط مشاهير العالم عربي أو مصري أفاد البشرية بعقليته وخبرته وحينما سأله صاحبه عن سبب دموعه فقال: "رأيت بين تلك التماثيل صورة كصورة أحد أقاربي فتذكرت الوطن والبعد عنه وعن الأهل والأخدان فكان منى ما رأيت"(١)

وكأن لسان حال العدل يقول وقتها مثلما قال شهاب الدين ابن حجر حينما اشتاق إلى مصر بعد رحيله عنها ومفارقته لها:(٢)

متى تتجلى يا أفق مصر بأقمار ... واروي عن اللقيا أحاديث بشار
واهتز كالنشوان من فرح اللقاء ... ولا منه عندي لكاسات خمار
إلى مصر واشوقا لمصر وأهلها ... تشوق للنوى غير مختار
ويا وحشتي يا مصر منك لبلدة ... لداخلها بالأمن بشري من الباري

وتظهر صورة العدل الوطنية في كونه مصري يحب الخير لبلده وأبناء وطنه ولا عجب في ذلك فهو من تربى على مائدة الأزهر، وتعلم العلوم الشرعية به، وهو يعلم أنه لا يؤمن الإنسان حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وحينما ذكر العدل مقولته الشهيرة "سعادة الوطن بحسن تربية الشباب"(٣)عَرَّف الوطن على أنه ليس فقط الأرض التي يسكنها الإنسان فقط بل ادخل ساكنيها والحالة التي هُم عليها.

---

١) **المرجع السابق**، نفس الصفحة

٢) سعيد إسماعيل على، **الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل**، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٦، ص ١١٣.

٣) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق**، ص١١٣.

فيقول في حب الوطن: " فليس معناه حب قطعة أرض فقط بل المراد منه أيضًا ما يعم القاطنين به وأحوالهم بدليل أن المقصود من الحديث ما ينشأ عن حب الوطن، وهو إيصال المنفعة، وتوطيد دعائم السعادة به: "إن المحب إذا أحب حبيبه تلقاه يبذل فيه ما لم يبذل"[١]

وعن وطنيته يتحدث الدكتور محمد صابر عرب فيقول:[٢] "لم يكن إلا رجل غاية في الوطنية مقدرًا أهمية ما يقوم به من أعمال، واثقًا من أنه يقوم بوظيفته باعتباره ممثلًا لوطنه، ورسولًا من قبل أمته، لذا فقد بقى حتى آخر لحظة وفيًا لعاداته وتقاليده، حريصًا على أن يقدم كل تجربته بمعناها الكبير لأبناء جلدته".

وبالوقوف علي حياة العدل نجدها نموذج فريدًا للشخصية المصرية المحبة للعلم الشغوفة به التي تتحمل كل المعاناة في البعد عن الأوطان والديار في سبيل تحقيق خدمة لهذا الوطن مع الاشتياق الكامل والحنين التام إلي العودة إليه ظافرًا بكل الخير ليفيد وطنه ومجتمعه، وهكذا كان العدل، وهكذا يجب أن نربي أبنائنا.

ثالثا: العدل والإستشراق:

نشأة الإستشراق:

لا يوجد دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة للإستشراق فالمصادر التي تعرضت لهذا الموضوع تختلف في تحديدها لبداية

١) **المرجع السابق**، نفس الصفحة.
٢) وزير الثقافي المصري الأسبق، في مقدمة كتاب رحلة حسن افتدي توفيق العدل، **مرجع سابق** ص١٧.

الإستشراق فمن الباحثين من يرى أنه "بدأ بمحاولات فردية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي[١] ومنهم من يرى أنه بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي" أو ربما قبل ذلك بقليل"[٢]، ومنهم من يرى أنه "بدأ منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م حينما قدِم عدد كبير من العلماء في جميع فروع المعرفة مع نابليون، والذي اصطحب معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة"[٣].

ومن خلال النظر في الدراسات والبحوث نجد أن بداية نشأة الإستشراق من الفاتيكان لأن رجال الدين بها كانوا يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا إبان عهد الإصلاح الديني، وكانوا بحاجة إلى التعمق في الدراسة العبرانية والعربية وغيرهما من الثقافات الشرقية التي تمثل مهد الحضارة الإنسانية، وذلك لإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح.

بداية الإستشراق:

ظهر الإستشراق مع بداية تأسيس الدولة الإسلامية وظهور الإسلام كقوة بين الفرس والروم، وما أن أطل القرن الحادي عشر الميلادي حتى شهد أكبر صراع بين المسلمين وبين المسيحين الذين شنوا حربًا صليبية شرسة على المسلمين تهدف إلى الاستيلاء على أماكنهم المقدسة وتدميرهم

١) مصطفى السباعي، **الإستشراق والمستشرقون**، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ص١٤.
٢) محمد البهي، **الفكر الإسلامي الحديث**، ط٦، بيروت، دار الفكر، ص٣٢.
٣) على الخربوطي، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عدد ١١١ مطابع الأهرام التعليمية، ١٩٧٠م.

وإبادتهم، والسيطرة على أراضيهم وأرسلوا حملاتهم الصليبية لـذلك إلا أنها باءت بالفشل، وبانتهاء الحروب الصليبية تغير أسـلوب المجابهـة للإسلام وأصبحت هناك الحروب الفكرية التي تعتمد على التشويه والتشكيك في محاولة لتنفير الناس من اعتناق الدين وبالتالي وقف تقدمه وانتشاره(١).

ولقد تحمل المستشرقون وأعوانهم مهمة تحقيق هذا الهدف، وذلـك عن طريق دراسة الإسلام فكرًا وثقافةً وحضارةً ثم الكتابة عن هـذا الـدين وإظهاره في قالب يبرز المفهوم الغربي ويخفي ما عداه من المفاهيم، ومن هنا تبدوا خطورة عمل المستشرقين وأبحاثهم ومن هنا أيضًا تبدوا ضرورة اليقظة والانتباه منّا نحن المسلمين الذين يجب علينا أن نتبع أبحاث الغربيين التي تمتلئ بها الصحف والمجلات والكتب يوميًا، ونتقبل ونشكر ونشجع ما كان صحيحًا، ونرفض وندحض ما كان باطلًا كاذبًا(٢).

أنواع المستشرقين:

وإذ أردنا الموضوعية والإنصاف في أمر المستشرقين الذين درسـوا العربية على يد العلماء العرب الذين أبهرتهم الحضارة الغربية أمثال العـدل وغيره مما درَّسوا العربية في الجامعات الأوروبية أو جاءوا إلى بلاد الشرق لدراسة علومهم ومعرفة أحوالهم فنجدهم بين صنفين:

الأول منهم: من تخصص في التشكيك في الإسلام وأصوله (القـرآن الكريم والسنة النبوية) وفي دعوة النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) وعالمية رسالته،ومن هؤلاء المستشرقين "وليم موير" الذي يقول "إن فكرة عموم الرسالة جاءت

---

١) محمد فتح الله الزيادي، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، ليبيا، المنشاة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م، ص١٢.

٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية**، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، ج١،(د.ت) ص١٠.

فيما بعد وإن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض أنه فكر فيها فقد كان تفكيره تفكيرًا غامضًا، فإن عالمه الذي كان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها، وأن محمد لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات إلا للعرب دون غيرهم"[١]، ويقول المستشرق "كيتاني" لم يتخط محمد بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعوا أمم العالم في ذلك الوقت إلى هذا الدين[٢].

والنوع الثاني منهم:وهو الذي اتخذ الموضوعية له دليلًا ولم ينقم على الإسلام وأهله ولم يغطي التعصب عينه فلم يقف هؤلاء عند الطبع والنشر عن الإسلام، ولكن حاولوا أن يكتشفوا معالم الحياة العقلية في الإسلام وأرخوا لها جملةً وتفصيلاً فكتبوا عن الفلسفة والكلام والمتكلمين والتصوف والمتصوفين يشرحون الآراء والمذاهب أو يترجمون للأشخاص والمدارس، ويكون هذا الإستشراق ليس موضوعًا في قفص الاتهام بل العكس إن التنويه بجهود رجاله يتعدى حدود الموضوعية والاعتراف بالجميل، ولو لم يقيض الله لفلاسفة الإسلام جماعة من المستشرقين وقفوا عليهم بعض بحوثهم ودراساتهم لا صبحنا اليوم ونحن لا نعلم من أمرهم شيئًا يذكر[٣].

ولقد ساهم العدل في نشر الإستشراق بتدريسه للغة العربية في ألمانيا لفترة خمس سنوات (١٨٨٧_١٨٩٢م) تخرج على يديه كثير من المستشرقين الذين نهلوا من علومه الشرقية والإسلامية بكونه رجل عربي

١) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، ج١، ط٩، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٥م، ص ١٦٩.
٢) شوقي أبو خليل، **الإسلام في قفص الاتهام**، ط٣، دمشق، ما دار الفكر، ١٩٧٧م، ص ٠٤٩
٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **مرجع سابق**، ص ٣١٤

مسلم شرقي بالإضافة إلى كونه أزهري، ورغم انبهار العدل بالحضارة الغربية والتقدم والرقي والمدنية التي يعيشونها كان تلاميذه المستشـــرقون ينظرون إلي الحضارة الشرقية (الإسلام) أيضًا بانبهار فهي في فترة زمنية وجيزة بلغ انتشارها وفق تعاليم الإسلام من الصين شرقًا إلى مضيق جبــل طارق ليدخل أوروبا غربًا[١].

ومن الأسباب الرئيسية لاهتمام المستشرقين بالإسلام هو تنفيذ رغبة الكنيسة الملحة في الحيلولة بين الشعوب النصرانية والإسلام، وذلـــك عــن طريق تشويه الإسلام وحجب محاسنه لإقناع قومهم بعــدم صـــلاحيته لهــم كنظام حياة، وقد ظهرت هذه الرغبة في أعقاب الحروب الصـــليبية وعــودة المحاربين إلى أوروبا يحملون صورة مشــرقة لمعاملـــة المســلمين لهــم، وسماحة الدين الذي يعتقدون به [٢]، وهذا أيضًا جعــل البــاحثين يجعلـــون المستشرقين فرقًا ثلاثة:

١. فريق لم يملك ناحية اللغة فأخطأ في نشر الكتب وفي فهــم النصـــوص ولكنه حفل بأمور شكلية لا فائدة منها.
٢. وفريق أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للـــدين فوجهـــوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم أو مـــا يســـعون إليـــه، ومـــن المؤسف أن يسخر هؤلاء من عقائد الناس أو الطعن في ديـــنهم بغيـــر حق.
٣. وفريق أوتي سعة العلم والتمكن من العربية والإخـــلاص فـــي البحـــث والتحري والإنصاف [٣].

---

١) صابر طعيمه، **تحديات أمام العروبة والاسلام**، بيروت، دار الجبل، ١٩٧٦، ص ٤٧.
٢) على محمد جريشة واخرون، **اساليب الغزو الفكري للإسلام**،القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٧م ص ٥٢.
٣) صلاح الدين المنجد، **المنتقي من دراسات المستشرقين**، بيروت، دار الكتاب الجديد، ج١، ط٢، ١٩٧٦م ص ١.

دوافع المستشرقين:

١. الدافع الديني:

ونشأ لتشويه صورة الإسلام، وتوجيه المطاعن إلي النبي(صلى الله عليه وسلم) والدس في علوم المسلمين وتراثهم وظهر هذا النوع على يد بعض الرهبان الذين تثقفوا في الأندلس ونهلوا من معارفها وعلومها،"وتسخرهم الكنيسة لتشويه صورة الإسلام والمجتمع الإسلامي في الغرب، ويعتبر هذا الأمر من أخطر الآثار السلبية للإستشراق[١]، وللأسف الشديد فإن هذه الروح العدائية في الكتابة عن الإسلام قد ظلت مصاحبة للإستشراق" طوال مراحله وبقيت حتى الآن أحقاد كامنة لم تطفئها الأيام تفرز سمومها وأفكارًا عدائية تخريبية ضد الإسلام والمسلمين[٢].

وبهذا يتضح خطورة الدافع الديني عند المستشرقين ولا بد أن يكون في الأمة المخلصين من علماء الدين الذين يتصدون لأي سهم يوجه إلى الدين الإسلامي من خلال هؤلاء المستشرقين.

٢. الدافع الاستعماري:

بعد فشل الحملات الصليبية على العالم الإسلامي لم ييئسن المستشرقين ولم يركنوا إلى الراحة بل أخذوا يتحينون الفرصة لاستعمار بلاد المسلمين فكرياً وسياسياً واقتصاديا، ولمَّا تم للغرب الاستيلاء على بلاد المسلمين إثر الحرب العالمية الأولى، بدأ المستعمرون في تشجيع الدراسات الإستشراقية نظرًا لحاجتهم الملحة إلى فهم أوضاع المسلمين في البلاد التي

١) محمد خليفة حسن، **أثار الفكر الاستشرافي في المجتمعات الإسلامية**، القاهرة، عين للدارسات والبحوث ١٩٩٧م، ص١٩.
٢) إسماعيل على محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**، القاهرة، (د.ن) ط٣ ، ٢٠٠٠م، ص٢٩.

استعمروها بهدف الانتفاع بخيراتها، وتدمير مقوماتها التي أعطتها القدرة على التماسك والصمود في وجه الاستعمار[١].

٣. الدافع الاقتصادي:

ويظهر ذلك في تشجيع المستعمرين للدراسات الإستشراقية لغزو بلاد المسلمين اقتصاديًا؛ بهدف الاستيلاء على ثرواتها الطبيعية ومؤسساتها الاقتصادية، وصناعاته المحلية حتى تكون البلاد الإسلامية ميدان استهلاك لما تنتجه الأيدي الغربية، وشجعوا الدراسات الإستشراقية حتى تكشف لهم طبيعة العقلية العربية وكيفية التعامل معها[٢].

٤. الدافع السياسي:

كان للإستشراق في البداية موقف عقائدي وفكري معادٍ للإسلام ومع مرور الوقت اكتسب أبعاد أخرى جديدة وخطيرة ولا سيما في جوانبه السياسية والثقافية والفكرية منذ الحروب الصليبية حتى اليوم[٣]، ولكن هذا الموقف في جوهره النابع من العداوة في العقيدة ليس ببعيد فهو موقف الكافرين إنكار وتكذيب رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن لتشكيك المسلمين في دينهم ومحاولة ردهم عنه، وأكد ذلك ما كتبه "يوحنا الدمشقي" في بداية القرن الثاني الهجري من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى في تلك الفترة[٤].

---

١) أحمد عبد الرحيم السايح، **الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٦م، ص ٣٨.
٢) عبد الرحمن حسن الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة** ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م، ص ٩٣.
٣) محمد بن سعيد السرجاني، **الأثر الاستشراقي في موقف محمد اركون من القرآن الكريم**، (د.ت) (د.ن) ص٥.
٤) أحمد فرج، **الاستشراقي (الذرائع، النشأة، المحتوى)**، دار طريق للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص٤٨.

الدافع العلمي:

هناك قلة قليلة من المستشرقين الذين أقبلوا على دراسة العلوم العربية بدافع علمي محض بغية الاستفادة من تراث وحضارة هذه الأمة وإفادة أقوامهم بها، وهؤلاء من تربوا على يدي العلماء المسلمين الذين وَصّلُوا للغرب حضارة الإسلام السمحاء التي ليس فيها غلو ولا تفريط أمثال الشيخ حسن توفيق العدل وسبقه الأفغاني ومحمد عبده والطهطاوي.

ويرجع السبب أيضًا لأن هؤلاء المستشرقين اقبلوا على البحث بروح علمية بعيدة عن الأهواء السياسية والتعصبات القومية والدينية، فجاءت مؤلفاتهم مصبوغة بصبغة الحقيقة العلمية، ويشكر لهم جهودهم في حفظ المخطوطات الإسلامية وتصنيفها، وقد ذكر "فوادسزكين[١]" عددًا من المخطوطات المتعلقة بعلوم القرآن والتفسير المحفوظة في المكتبات الأوروبية[٢]، وجاءت مؤلفاتهم تثبت بكل وضوح للعالم الغربي حقيقة هذا الدين وأصالة هذه الحضارة، وأثبتت في المقابل زيف وافتراء بقية المستشرقين وحقدهم.

---

١) يغطي كتاب سزكين الفترة الزمنية من بدء الإسلام حتى حوالي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م ليؤرخ للعلماء المسلمين ومنجزاتهم العلمية مع ترجمة لكل مؤلف وبيان أسماء مؤلفاته، وأماكن وجودها في مكتبات العالم المخطوط منها، وأسماء ناشري المطبوع منها،مع بيان ما تعلق بهذه المؤلفات من شروح ومختصرات وتعقبات وردود وذيول ونظم...إلخ مرتبا ذلك ترتيبا زمنيا يورد فيه اسم الشخصية ثم أثارها على النحو المذكور ويعرض كتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين دراسة:لعلوم القرآن الكريم،وعلم الحديث ,والتدوين التاريخي، والفقه، والعقائد،والتصوف،والشعر العربي، واللغة العربية والنحو والبلاغة والنثر الفني والعروض والأدب والفلسفة والمنطق وعلم النفس والأخلاق والسياسة والاجتماع والطب والكيمياء والنبات والفلاحة والرياضيات والفلك وعلم أحكام النجوم والآثار العلوية.

٢) فواد سيزكين،**تاريخ التراث العربي**، ترجمة محمود فهمي حجازي وآخرون، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١م.

يقول "كارل بروكمان[1]"لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمد خَدّاعٍ مُزَور وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا...."[2].

أهداف الإستشراق:

من خلال الدوافع سابقة الذكر يمكن أن نحدد بناءً عليها أهداف المستشرقين الموجودين في كثير من بلدان العالم الذين سخروا كل جهودهم بل وأفنوا أعمارهم في دراسة وتحليل حضارة غريبة عنهم بالتعاون مع الدوائر الاستعمارية التي تغدق عليهم الأموال وتمدهم بكل الإمكانيات لتحقيق تلك الأهداف:[3]

١. محاولة إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام كدين، وعن الشرق كحضارة، وعن العربية كتراث و قومية بشكل عام، وخدمة للكنيسة وللحركة التبشيرية بشكل خاص.
٢. تشكيك المسلمين في كتابهم ونبيهم وتراثهم حتى يتم فصلهم عن دينهم، وتفتيت وحدتهم، لأن في تمسكهم بهذا الدين وحدة وقوه تهدد الغرب، ومن شأنها أن تؤثر في مجرى حضارة الغرب الزائفة.

---

١) راجع أيضا **كتاب تاريخ الأدب العربي** ، لكارل بروكمان، تحقيق عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، ط٥، دار المعارف، ١٩٧٧م.
٢) محمد كرد على، **الإسلام والحضارة العربية**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٣، (د.ت) ص ٦٥.
٣) محمد فتح الزيادي، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، مرجع سابق ص ٨٩.

٣. التشكيك في رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وذلك واضح في مؤلفاتهم الذين يحاولون إبعاد صفة النبوة عن رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) ويفسرون بعض مظاهر الوحي التي كان يراها الصحابة على النبي (صلى الله عليه وسلم) عند نزول الوحي بأنها نوع من الصرع أو التخيلات الذهنية أو يرجعونها إلى أمراض نفسية قديمة[١].

٤. التشكيك في دستور الإسلام المعجزة الخالدة الباقية (القرآن الكريم) يقولون أنها راجعة لذكاء محمد (صلى الله عليه وسلم) وعبقرتيه وقوة بيانه[٢].

٥. التشكيك في صحة السنة النبوية، وذلك لما تمثله من دعامة متينة في صرح الشريعة الإسلامية لكونها المصدر الثاني من مصادر التشريع ويستندون على ما دخل من تحريف وتدليس في رواية الحديث متناسين علماء الحديث ومجهوداتهم في ذلك الشأن.

٦. التشكيك في جوانب الإسلام العلمية والحضارية، فيرون أن الفقه الإسلامي مستمد من الفقه الروماني، ويرون أن اللغة العربية غير قادرة على مسايرة التطور العلمي حتى تظل الأمة العربية عالة على المصطلحات الغربية.

وسائل الاستشراق:

هناك العديد من الوسائل التي يستخدمها المستشرقون، وكلها تهدف إلي تدمير حضارات الشرق، والعمل علي هدم قيم الإسلام خاصة حتى يكون لهم التقدم والسبق في كل المجلات وتتساوي في الانحطاط الأخلاقي معًا، وأهم هذه الوسائل هي:

---

١) عبد الحليم محمود، **أوروبا الإسلام**، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، (د.ت) ص ١٢٦.
٢) عرفان عبد الحميد، **المستشرقون والإسلام**، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٩م، ص ١٧.

تأليف الكتب في الموضوعات التي تتحدث عن الإسلام والمسلمين معتمدين في ذلك علي إلمامهم البسيط باللغة العربية مما أوقعهم في الأخطاء المقصودة والغير مقصودة.

١. إصدار المجلات العلمية التي تحوي الكثير من البحوث حول الإسلام وحول الشرق عمومًا أشهرها (مجلة الجبهة الأسيوية الملكية) بلندن (الجمعية الشرقية الأمريكية) (جمعية الدراسات الشرقية) بولاية أوهايو (مجلة العالم الإسلامي) التي أنشأها عميد التبشير المسيحي العالمي "صمويل زويمر" سنة ١٩١١م[١].
٢. أمداد الإرساليات التبشيرية بما تحتاج إليه من الخبراء المستشرقين الذين يساهمون بخبرتهم في هذا المجال، ومن الصعب علينا أن نفصل بين المستشرقين والمبشرين لأن المستشرقين عونًا وسندًا للمبشرين ويقومون برسم الخطط لهم أضف إلى ذلك أن مصدر التمويل لكليهما واحد وهو الكنيسة.
٣. إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ومحاولة توثيق علاقاتهم بالجامعات العربية بحيث نجد مِنَّا من يأخذ رسالة ماجستيرأو دكتوراه في أصول الدين الإسلامي من الجامعات الغربية وعلى يد مستشرقين "وهم لا يسمحون بتدخل أي أحد من خارج دينهم فيما يتعلق بأتفه الأمور لديهم"[٢].
٤. نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد العربية والإسلامية، واستطاعوا بالإغراءات المادية والعلاقات الدبلوماسية الوصول إلى ذلك.

---

١) محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، **مرجع سابق** ص ٩٧.
٢) عمر عودة الخطيب، **لمحات في الثقافة الإسلامية**، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧م، ص ٢٧١.

٥. قسم الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية ودائمًا ما يشرف عليه مستشرق، ولا يعطون الشهادات العلمية إلا لمن يعتنق فكرهم فهذا طالب يكتب في رسالته أن الإسلام أعطى الحرية الكاملة للمرأة وهذا لا يعجب أستاذه فأسقطه في رسالته وتعلل قائلًا "إن هذا الطالب يقول أن الإسلام يمنح المرأة كذا، وقرر الإسلام للمرأة كذا فهل هو ناطق رسمي باسم الإسلام؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتى يقول هذا الكلام[١].

٦. بالإضافة إلى إنشاء الموسوعة الإسلامية على شبكة الإنترنت وهذا العمل جاء نتيجة تخلى القادرين من المسلمين عن كتابة هذا العمل المهم ورغم أن هذه الموسوعة إلى الآن لا تزال مرجع لكثير من المثقفين إلا أنها تحمل من سموم المستشرقين ما تحمل.

٧. عقد المؤتمرات الإستشراقية التي يدرسون فيها كيفية تحسين خططهم وتطويرها وفق مستجدات الأمور والأحداث.

وبرغم كل هذه الوسائل والأهداف والغايات التي اتخذت لتشويه الإسلام والمسلمين فإن المعرفة الإسلامية التي نقلها الإستشراق إلى الغرب كان لها دور كبير في تطوير الفكر الغربي وتعديل مسيرته في بعض الأحيان، وبخاصة قبل عصر النهضة الأوروبية فيرجع الفضل للمستشرقين في تطوير علوم الغرب وإدخال الغرب في مرحلة النهضة العلمية والتقدم الصناعي والتكنولوجي الذي لا يزال يعيشه الغرب حاليًا[٢].

---

١) مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي** ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٦م، ص١٣.

٢) محمد خليفة حسن، **أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية**، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧م، ص ١٣١.

رابعا: منهج العدل في البحث:

إذا أردنا أن نعرف طريقة العدل في البحث وجمع المعلومات فلابد أن يسبق ذلك الاطلاع على حياته ومؤلفاته حتى تظهر لنا الصورة واضحة لا لبس فيها للوقوف على منهج العدل في تأليفه لكتبه وطريقته للوصول إلى المعرفة فنجد أنه في البداية من أوائل الرواد الذين احتكوا بالغرب بعد رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ _ ١٨٧٣م) ونقلوا صورة الغرب وحضارته إلى بلاد الشرق في العصر الحديث، وسافر العدل إلى أوروبا بعد أن اختارته نظارة المعارف المصرية معلماً للغة العربية وآدابها في مدرسة برلين الشرقية عاصمة بروسيا وقتئذ وقد اسند إليه الخديوي توفيق إضافة إلى هذه المهمة القيام بالإشراف على طلاب البعثة التعليمية المصرية في برلين إضافة إلى عمله في انجلترا التي أقام فيها عامين أستاذ للغة العربية وآدابها بجامعة كمبردج[١].

حينما سافر العدل إلى برلين كان لديه من الرؤية الواعية للذات، والمعرفة بالإسلام، والاعتزاز به فقد حصل على أربعة إجازات في القرآن الكريم ولم يكن أتم العشرين من عمره، فهذه التربية الإسلامية الواعية جعلته لا ينبهر مثل غيره، بالحضارة الغربية إلي الحد الذي يجعله يستنسخها كما هي ويعيد توجيهها إلى بلاد الشرق دون مراعاة لقيم البلاد وحضارة الإسلام الأمر الذي جعل العدل ينظر إلى الحضارة الغربية نظرة واعية مدركة لمعايير الأخذ والرفض وفق منهج الإسلام الذي تربى عليه

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص١٥.

كما سبقه الطهطاوي في ذلك برفضه إلى كل ما هو غربي يخالف الشريعة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة واشرف التحية"[١].

وفى ذلك الوقت رفض العدل الفلسفة الوضعية الغربية التي تقف بالمعارف عند العقل والتجربة وحدهما مخالفًا بذلك فلاسفة التنوير في اعتمادهم أصالة العقل، واشترط دليل الشرع مع العقل والتجربة، فلا عبرة عنده بمعرفة تخالف بما جاء به الشرع الحنيف ومع ذلك أعطى العدل قضية العقل والتجريب مساحة واسعة من ذهنه مقتفيًا أثار من سبقه من النخبة المثقفة "أمثال حسن العطار، والشيخ المهدى والجبرتي، والطهطاوي، والشباسى والفلكي وغيرهم كثيرون[٢].

ومع ذلك لم يخرج فكر العدل ولا منهجه عن روح الشريعة الإسلامية في عصر توالت موجات الاحتكاك والاتصال بالغرب سواء بفعل استعماره للبلاد الإسلامية أو البعثات العلمية إليه وغيرها.

وذكرت بعض الدراسات[٣]أنهاتهم الكثير من المفكرين أمثال العدل بالأطروحات الغربية العلمانية "أمثال قاسم أمين الذي دعا إليه تغريب المرأة، وعلى عبد الرازق الذي تبنى الطرح العلماني المتأثر بالنمط الغربي في علاقة الدين بالدولة، وأحمد لطفي السيد الذي دعا إلى العصبية للقومية المصرية امتداد للفرعونية، وسلامة موسى وويليم ويلكوكس ولويس عوض الذين دعوا إلى استخدام العامية بدل من الفصحى.

---

١) رفاعة الطهطاوي، **تخليص الابريز في تلخيص باريز ضمن أصول الفكر العربي عند رفاعة الطهطاوي**، دراسة وتحقيق محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م، ص١٤١.

٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل، **مرجع سابق** ص ٩.

٣) دراسة عصام السيد محمود، **منهج رفاعة الطهطاوي ومدرسته في الإصلاح بين الأصول الإسلامية والأفكار العلمانية**، رسالة دكتوراه منشورة، مكتبة دار الحكمة، القاهرة (د.ت) ص٤.

وإذا أردنا الإنصاف في التعرف على منهجية البحث عن العدل وغيره من رواد التنوير والفكر والثقافة لابد وأن نطلع على ما كتبوه أولًا ثم نقارن ما تنطق به مصنفاتهم بما يشاع عنهم بالخروج في النهاية بحكم أقرب إلى الصواب عن حقيقة المـنهج الفكـري لهـؤلاء الإعـلام ويتعهـد بعـض الكتاب[1]مهاجمة الكثير من رواد الفكر والتنوير سابقة الـذكر ربمـا لعـدم الاستناد إلى دراسات أكاديمية موضوعية تتمتع بقدر من الأمانـة العلميـة، أومسايرة للشائع والمعروف عن هؤلاء الرواد، بل لابد من التعـرف علـى حقيقة مناهجهم بين الأصول الإسلامية والأفكار العلمانية حتى يزال الخلـل المعرفي والمنهجي في تعاملنا مع أولئك الرواد.

وكان منهج العدل في البحث عن المعرفة أنه لا يصدق منها الخرافات ولا الأهواء التي ليس لها دليل واضح يقبله العقل بل يصدق كل ماله برهان واضح وفق السنن الكونية في الأرض ويظهر ذلك حينما قصوا عليه قصـة يعتقدون بها وهى أن رجل بخيل أمتنع بماله في وقت شدة الناس فسلط الله على غلاله الفئران وأصبحت حتى تسقط في مائدة طعامه بـل أنهـا كانـت تخطف من يده لقمة العيش، فبني برج في جزيرة فحدث له مثـل السـابق فيعلق العدل على ذلك:

١) انظر على سبيل المثال: لويس عوض، **تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، الجزيتين الأول والثاني**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٤، ١٩٨٧م، ص٢ وما بعدها، ص ٢٦٨ وما بعدها،وانظر أيضا: هالة مصطفى، **الإسلام السياسي في مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف**، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ١٩٩٢م، ص٢٧.

ويقول "وحينما سمعت القصة وما ذكر أنفًا علمت يقينًا أن شواطئ نهر الراين كانت الوطن الثاني لخرافات العذري وأخذني العجب من هذه الخزعبلات وأمثالها التي ملأت العالم شرقًا وغربًا، وقامت دليلاً على شدة العقل الإنساني إلى التصديق وحبه المفرط لما كان غريبًا أو عجيبًا من الأمور والخوارق والعادات"[1].

وهكذا أطلق عليها العدل خرافات وخزعبلات لأنها لا تستند إلى دليل أو إلى سنن الحياة الكونية ولا يقبلها إلا عقل لم يؤت حظه من العلم والثقافة؛بل أنه تعجب من إدراك الأوروبيين لذلك فيقول "وليس هذا بأعظم من عجبي من سرعة انتباه أهل أوروبا في هذا العصر الحالي، وتيقظهم وميلهم إلى حقائق الأشياء، وعدم اعتبارهم لمثل هذه الخرافات و إن كان فيهم أولى جهالة وطباع بسيطة كباقي الأمم"[2].

ونجد في منهج العدل وأسلوبه روح فتية جذابة تهز النفس وتأخذ بالعقل بالإضافة إلى عاطفة وجدانية أمثال أزهريين آخرين شاركوه في هذه الصفات مثل طه حسين والزيات، وزكي مبارك وغيرهم"[3]، بعيدًا عن المنهج العقيم والأسلوب الجاف أمثال "أحمد أمين الأزهري الذي كانت له بصمات تربوية وعاش في الفترة التي كان فيها العدل كما نصت علي ذلك بعض الدراسات"[4].

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق**، ص ٣٣٧.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق**، ص ٣٣٧.
٣) انو الجندي، **أضواء على حياة الأدباء المعاصرين**، القاهرة، دار الإعلام للطبع والنشر، ١٩٥٦، ص١١.
٤) دراسة عصام عطية عبد الفتاح، الآراء التربوية في كتابات أحمد أمين،**رسالة ماجستير**، جامعة قناة السويس، كلية التربية، ٢٠٠٠م،ص ٥٤.

وبذلك يكون العدل من علماء الأزهر الذي جمع في صفاته ومنهجه بين العلم والأدب، والشعر والفن، وأتخذ من العقل دليلًا وبرهان على صحة ما توصل إليه من العلم، وترك بصمة في مجالات كثيرة من العلوم التربوية والأدبية وتميز فيها.

وكان العدل يستدل على المعارف بالقرآن الكريم والسنة النبوية وهما أهم مصادر التشريع الإسلامي، والعدل كغيره من العلماء الذين يقدمون الاستدلال بالقرآن الكريم ثم السنة النبوية ودائمًا ما يعزز الاستدلال بأحوال الصحابة والتابعين ليستدل على صحة أرائه، ولا تخلوا مؤلفات العدل من العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية وأحوال الصحابة بالإضافة إلى ذلك كتب الآداب الإسلامية فيقول "هذا عدا التقيدات التي أخذتها من أفواه علماء التربية، ومن التجارب التي شاهدها بعائلات أغلب العواصم الأوروبية، ومن كتب الآداب الإسلامية والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم"[1].ويستدل العدل بقوله تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ١١] [2]على وجوب التعرف على غايات العلوم المختلفة بجانب تخصصه حتى لا ينتقص من قدر العلوم الأخرى فيقول: "وينبغي لمن يريد أن ينصب نفسه معلمًا في فن من الفنون أن لا يدع الفنون الأخرى دون أن يطلع على مقاصدها وغاياتها، فإن العلوم متعاونة ومرتبط بعضها ببعض، وحتى لا يلاحظها بعين العداوة[3]"ويستدل العدل على الرياضة المختلفة بالأحاديث

---

١) حسن توفيق العدل، **مرشد العائلات في تربية البنين والبنات**، القاهرة، الطبعة الأميرية، ١٨٩٧م، ص٥.
٢) سورة الاحقاف، أية(١١).
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج٢، **مرجع سابق**، ص٣٤.

النبوية الشريفة فيقول[1] ذكر سلمة بن الاكوع أن رسـول الله(صلى الله عليه وسلم) خرج علي قوم من اسلم يتناضلون بالسوق فقال: "ارموا بني إسماعيل فأن أباكم كان راميًا"[2] ويقول العدل[3] قال (صلى الله عليه وسلم)"حب الوطن من الإيمان"[4] بل ويؤصل العدل على آراءه ببعض أحوال الصحابة، والتابعين فيقول: " كتـب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة ابـن الجـراح أن علمـوا أولادكم العوم ومقاتليكم الرمي"[5]، وكتب إلى الأمصار أيضًا يأمرهم بتعليـم الأولاد العوم (السباحة) والفروسية وكان أمراء المؤمنين يعتنون بالألعـاب البدنية"[6].

وبذلك يتضح لنا أن العدل اتخذ منهجه في البحث التنـوع مـا بـين التأصيل بالقرآن والسنة وأحوال الصحابة والتابعين وبين العقل والتجربـة وهذا يدل على عمق معرفته وغزارة اطلاعه وحكمه وأقواله مـع بلاغتهـا وعزوبتها وسهولة ألفاظها حتى تقام الحجة ويتضح الدليل على كل من يقرأ إليه ويتبصر بما يريده ويقتنع بكلامه.

خامساً: مؤلفات حسن توفيق العدل:

تنوعت مؤلفات العدل ما بين شعر، ونثر، فلـه مؤلفـات علميـة عـدة منها:كتاب"البيداجوجيا" بقسميه النظري والعلمي (١٨٨٢ – ١٨٩١م)، ويعد هذا

---

١) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص ١٢.
٢) **صحيح البخاري**، ج١٠، باب التحريض علي الرمي، (٢٨٩٩، ٣٥٠٧، ٣٣٧٣) ص٢٠.
٣) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق** ص ١١٣.
٤) قال السخاوي لم أقف عليه، ومعناه صحيح، المقاصد الحسنة (٣٨٦) سمعت اعرابياً يقول إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلي تحننه إلى وطنه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه، ولما اشتاق النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة محل مولده ومنشئه أنزل الله عليه قوله " إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ "(القصص٨٥) أي مكة.
٥) صحيح ابن حبان (٦٠٣٧).
٦) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص ١٣.

الكتاب من أهم الكتب التي وضعت الأصول الفلسفية لعلم التربية الحديثة في مصر علي النظام الأوربي بل يعد العدل من أوائل التربويين المسلمين العرب الذين كتبوا كتابات في وصف التربية في بلاد الغرب وكان ذلك أثناء سفر العدل إلى برلين لإتمام دراسته العلمية فانبهر بالحضارة الغربية، "ووجد أن التربية بها جيدة الطريقة والتعليم حميد النتيجة فأخذ في زيارة مدارسهم لاستكشاف أحوال المعلمين والمتعلمين وكيفية التعليم والتعلم لديهم ثم عزز ذلك بتأليف كتاب في علم البيداجوجيا"[(١)].

ثم كتاب"الحركات الرياضية"١٨٩٥م[(٢)]، وكتاب"مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات"١٨٩٧م[(٣)]، وكتاب رحله حسن أفندي توفيق العدل الذي يشمل شقين الأول: الرحلة إلي برلين، والثاني: يسمى رسائل البشري في السياحة بألمانيا وسويسرا[(٤)]، وكتاب أصول الكلمات العامية[(٥)]، بالإضافة إلي المقامة العدلية والمقالة العذلية[(٦)].

- **كتاب البيداجوجيا[(٧)]**

ويتكون كتاب البيداجوجيا من جزئيين جزء يمثل الإطار النظري حول التربية، يتحدث فيه عن الجسم، والنفس، والإحساس، والإرادة، والأخلاق،

١) **البيداجوجيا** : كلمه يونانية مكونه من كلمتين أحداهما بيد ومعناها هنا"الأطفال"، والأخرى أجوجيا ومعناها"هداية" فيكون المعنى **هداية الأطفال**. وقد وضعوا هذه الكلمة على علم **"التربية الإنسانية"** ويبحث عن النواميس الطبيعية والنظرية التي يجب إتباعها في تربية النشء، مقدمة الكتاب .

٢) بأمر من **يعقوب ارتين باشا** وكيل المعارف العمومية في مصر وطبع علي نفقة وزارة المعارف المصرية بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق وهذا ما جاء في مقدمة الكتاب.

٣) عبد الحميد صبحي ناصف، موقع جريدة الحياة، الأزهري الذي قابل بسمارك، **مرجع سابق.**

٤) **دراسة**: محمد صابر عرب، إعداد عبد المنعم محمد سعيد.

٥) ويتكون الكتاب من رسالتين، وطبع علي نفقة **"محمد افندي عثمان"** مطبعة والدة عباس الاول، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م) غلاف الكتاب.

٦) وطبعت بتصريح من والده بعد وفاته علي نفقة محمد افندي عثمان بنفس المطبعة والسنه.

٧) نسخة واحدة بدار الكتب المصرية

أما القسم الثاني فيتناول فيه فن طرق التعليم والتعلم، وفن التربية، وصفات المعلم لأنه يعلم أنه اقرب الناس بعد الوالدين للأطفال لذا كان تأثيره عظيمًا في عقولهم وفي تكوين شخصيتهم(١)، ويتناول أيضًا المدرسة واحتياجاتها.

الجزء الأول: يسمى البيداجوجيا العلمية، وهذا الكتاب قررت نظارة المعارف العمومية تدريسه بالمدارس الأميرية بناء على قرار اللجنة الصادر في ١٤ديسمبر سنة ١٨٩٠م، واحتفظت النظارة بحق الطبع لها وأفتُتِحَ هذا الكتاب بالإهداء:

أهدى الكتاب لسادتي .:. وأنا أخ لهم حميم

فيه لقد وافيتهم .:. وأفيه بالنبأ العظيم

يتبينون به مطالع .:. حكمة الباري الحكيم

والله يهدى من يشاء .:. إلى صراط مستقيم

ثم وجه العدل الاهتمام بمكانة التربية وكيف أن الأمم الغربية أعدت لها وخططت، ولم تترك التربية فيها إلى محض الصدفة أو العادة فتبنَّوا البحث العلمي ووازنوا بين الجانب العملي والنظري فيقول "أدمنوا البحث والتنقيب على نوامِيسها التي اتبعتها الأمم الخالية عمليها ونظريها وعززوا بحثهم هذا بالتجربة والاختبار حتى باتت لهم واضحة الطريق واهتدوا إلى تأسيس قواعد وقوانين لها. "(٢)، وكان ينظر العدل علي أن جسم الإنسان له حدود مكانية إما

١) علي الجمبلاطي وابو الفتوح التوانسي، **دراسات مقارنة في التربية الاسلامية**، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣م،ص٨٢.

٢) حسن توفيق العدل، **البيداجوجيا العلمية**، ج١، مطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، الطبعة الأولى، ١٨٩١م، نسخة واحدة بدار الكتب المصرية، ص٣.

العقل والفكر والتربية تتخطي هذه الحدود والحواجز[1]، ولذلك عمل علي نقل طرق التربية الحديثة إلي بلاده ورسم لها الطريق التي تسير عليه وفق قوانين واضحة.

وبهذه القوانين أُلفت الكتب ودرِّست حتى أتت بثمارها فيقول "حتى أصبح بها المربى أديبًا، والناشئ نجيبًا، والمعلمُ ماهرًا، والتلميذُ شاطرًا"[2]، وكان دافع تأليف الكتاب إيفاء بحقوق الوطنية وقيامًا بواجب الإنسانية، وأخذ يترجم أشهر الكتب المعتمد عليها في مدارسهم، ومن أشهر الكتب التي أعتمد عليها في ترجمته كتاب "شومان الألماني" لشموله وحسن ترتيبه، وبذلك يكون هدف علم البيداجوجيا هو توصيل الإنسان إلى غاية الكمال حتى يكون نافعًا لنفسه ووطنه، وهذا يتفق مع كل ما تنادى به أساليب التربية الحديثة من إعداد الإنسان النافع الصالح لنفسه ومجتمعه، وإذا كنا نريد النهوض بالتربية لابد من بناء أساس نظري فلسفي يقوم عليه العلم ويعزز الإطار النظري الفلسفي إطار عملي تطبيقي محدد الأهداف وواضح المعالم.

وهذا بالفعل ما قام به العدل في تأليف كتاب "البيداجوجيا العلمية" فجعل منها الجزء الأول إطار فلسفي تقوم عليه التربية وجعل الجزء الثاني إطار عملي تطبيقي للجزء الاول، ووضع لها الأهداف التربوية التي يراد حصولها في سلوك الإنسان والفرد، وفي ممارسات واتجاهات المجتمع

---

١) محمد لبيب النجيحي، في مقدمة كتاب **الطبيعة البشرية والسلوك الانساني** لجون ديوى، القاهرة، مؤسسة الخانجي ١٩٦٣م، ص٢.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**،ص٣.

المحلي أو المجتمعات الإنسانية بشكل عام. فهـي تصـف الصـفات العقلية والنفسية والشخصية التي يتمتع بها الفرد المثقف تثقيفاً عاليًا، وهي تصف أيضًا الاتجاهات، والخصائص الاجتماعية التي يتصف بها المجتمع الراقي المتحضر[1].

ويعد هذا الكتاب موسوعة شاملة في شتى مجالات التربية والتعليم على حد سواء، ويكون للعدل السبق في وضع قواعد وأسس الكثير من العلوم الحديثة التي أصبح التنظير لها سائد في مجتمعاتنا العربية بينما يغيب جانب التطبيق في كثير منها، ولكن يُميز هذا الكتاب في وضع الجانب النظري في الجزء الأول منه ويسمى "البيداجوجيا العلمية" مع الجانب التطبيقي في الجزء الثاني منه ويسمى "البيداجوجيا العملية" وفي هذا الكتاب بشقيه يوجه العدل القائمين على التربية إلى مسؤولياتهم، وكيفية تنفيذ هذه المسؤوليات على أرض الواقع.

الجزء الثاني: يسمى البيداجوجيا العملية: ويوضح لنا العدل الهدف من هذا الجزء هو البحث عن الوسائط التي تتخذ وتستعمل في أخذ الناشئ بحسب مراتب نشأته وعن كيفية استخدامها، ويبين لنا كيف نبلغ المقصود من التربية والتعليم بلوغًا بغاية البساطة والسرعة، وكيف نستعمل المواد لذلك وكيف يلزم أن يكون المعلم حتى نبلغ ذلك البلوغ، ويقسم العدل هذا الجزء من الكتاب إلي ثلاثة تراجم لكل ترجمة عدة أبواب ولكل باب عدة

١) ماجد عرسان الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة**، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص١٨.

فصول فالترجمة الأولى: في فن طرق التعليم، والثانية: في فن طرق التربية، والثالثة: في المدرسة واحتياجاتها وسوف نتناول كل فن في مكانه من البحث.

- **كتاب رحلة حسن أفندي توفيق العدل(١٨٨٧م – ١٨٩٣م)**[١]

يضم هذا الكتاب مؤلفين له الأول: الرحلة إلي برلين، والثاني: رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا، وقد قدم له الدكتور محمد صابر عرب بدراسة وافية والكتاب من إعداد عبد المنعم محمد سعيد وقد صدر الكتاب ضمن سلسلة من أدب الرحلات التي يصدرها المجلس الأعلى للثقافة في مصر معتمد علي النسخة الوحيدة بدار الكتب المصرية ونظرًا لما في الكتاب من قطع وطمس فقد قام المعد للكتاب بوضع علامة ثلاث نقاط بين قوسين [...] للكلمة الناقصة ووضع [...،...] للكلمتين والنقاط المتعددة للسطر الغير واضح والتزم أيضًا ببداية فقرات الكتاب كما خطها المؤلف نفسه ولم يزد فيها إلا علامات الترقيم[٢]

وتناول المؤلف الأول من الكتاب "الرحلة إلى برلين" ثلاثة عشر جزء أفرد في كل جزء ما شاهده في رحلته بالإضافة إلى توجيهاته بحكم عمله التي تصب كلها في الثقافة والتربية ونوجز ملخص لها:

---

١)عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق** ، ص٨.

٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق** ، ص ٢١.

الجزء الأول: تحدث فيه عن ذهابه إلى برلين بداية من اختياره من قبل وزارة المعارف المصرية، واحتفال مدرسة دار العلوم المصرية وتوديعها له باختصاصه هذا الأمر، وإلقائه للعديد من القصائد[1] أثناء ترحاله محدثًا بها نفسه حتى وصوله إلى ألمانيا.

الجزء الثاني: بدأ يصف به بعض المدن الألمانية وحكى مقابلته أنجال الخديوي توفيق في فينا، ثم وصفه مدينة برلين، والتعليم في المدن الألمانية خاتمًا هذا الجزء بالحديث عن الجيش الألماني.

الجزء الثالث: وتحدث العدل فيها عن ممالك البوروسيا آن ذاك الوقت واصفًا سياستها، متحدثًا عن المنفعة عنده.

الجزء الرابع: ويعتبر هذا الجزء من أهم الأجزاء في الكتاب تناول فيه حب الوطن والتربية السياسية والتربية في مجتمعات الفرس وتربية النفس والتربية المنزلية والأساليب المتبعة في التربية.

الجزء الخامس: وتناول فيه التربية المدرسية المعلم، المتعلم وبناء المدارس والتربية الأخلاقية والتربية السياسية والتربية البدنية.

الجزء السادس: ويتناول المناهج المدرسية وصفات المعلم والعائد من التعليم وإلزامية التعليم وطرق تعميم التعليم.

---

١) راجع ملحقات البحث، قصيده في وداع مصر للعدل .

الجزء السابع: وهذا الجزء خصه العدل بترجمة الأمير بسمارك الذي كـان معجب به وبأعماله في ألمانيا.

الجزء الثامن: وخصه للحروب التي دارت بين كل من فرنسا وألمانيا بقيادة (نابليون، وبسمارك).

الجزء التاسع: وذكر فيه طريقة الصلح التي تمت بين فرنسا وألمانيا ثم اختمها بالإشارة إلى أحوال بسمارك الشخصية.

الجزء العاشر: وهو يختص بوصف مدينة برلين، أحوالها، حدودها، فصول السنة، علومها.

الجزء الحادي عشر: ويكمل فيه ما سبق عن برلين من مشاهدات وتنظيم فيها (المواصلات، الأسواق، المحلات، البريد)

الجزء الثاني عشر: وهو أيضًا تابع لما سبقه متحدثًا عن الآثار في برلين (تماثيل، الأحجار اليونانية القديمة، النقود الإسلامية) تاريخ صناعة التصوير في برلين.

الجزء الثالث عشر: تحدث فيه عن المكتبة المملوكية ببرلين وبداية التدوين في الإسلام، والمؤلفات العربية التي تدرس في ألمانيا، وطريقة التعليم في بلاد أوروبا. وبذلك ينتهي القسم الأول من الكتاب جمع فيه العدل إطلالة واسعة على الثقافة الغربية بهدف أن يرفع بها شأن التربية العربية ويفيد بها أبناء وطنه حتى يتقدموا أمثال الأمة الغربية.

القسم الثاني من هذا الكتاب:

فيشمل كتاب "رسائل البشري في السياحة بألمانيا وسويسرا"[1]أثنى في مقدمته على الخديوي توفيق، وتعرض فيه إلى أحوال المجتمع الألماني فتحدث عن طريقه الزواج في المجتمع الألماني وأنكرها عليهم نظرًا لارتباط الفتاة بالشاب قبل الزواج، ثم تحدث عن الحروب الرومانية والألمانية، ثم التعليم في قرى ألمانيا، وتحدث عن زياراته للمدارس وما شاهد بها ثم أختتم هذا الجزء بذكر من سبقه إلى بلاد أوروبا في مثل مهمته والحق بالكتاب بعض الخرائط الألمانية، وبذلك تنتهي رحلة حسن توفيق العدل بالإضافة إلى الحياة الثقافية والعلمية التي انفرد بها عن سابقيه بفصاحة ألفاظه وعذوبة منطقه وأسلوبه الذي لا يمله أحد بفائدة لا يختلف عليها الكثير من قرائه فجزاه الله عن رحلته خير الجزاء ونفع به وبها.

- **كتاب الحركات البدنية الرياضية:**

سبب تأليف هذا الكتاب جاء في مقدمته لما كان سعادة الهمام الفاضل يعقوب ارتين وكيل المعارف العمومية ممن يحرصون علي تعميم الفوائد فقد طلب من العدل أن يترجم إحدى الكتب الألمانية في حركات الرياضة البدنية خدمة للإنسانية وهدية للوطنية فقبل العدل ذلك الطلب ويقول العدل "عمدت إلى كتاب الدكتور شريبر أحد مشاهير الأطباء بمدينة ليبسيك بمملكة صكصونيا فألقيته جامعًا لأهم الحركات الرياضية شارحًا فوائدها البدنية،وقد

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص٣١٥.

اخترت ترجمته لشهرته بين الخاص والعام بألمانيا حيث أنه طبع نحو المائة والأربعين إلف نسخة وذلك في بضع سنين لا تتجاوز العقد الأول من الإعداد"(١).

واقتصر العدل في ترجمته لكتاب الدكتور شريبر على شرح الحركات ونقل الصورة أمام كل حركة، ووضع العدل مقدمة لهذا الكتاب من عنده تشير إلي أهمية التربية البدنية لكل الأجيال الصغار والكبار الشباب والرجال الذكور والإناث، وظهر حال العدل العالم المتواضع بعلمه الذي ينسب الفضل لأهله ويحفظ لكل واحد قدره فيقول: "والله أرجو أن ينال عملي هذا من إخواني حسن القبول إنه خير مرجوٍّ ومسؤول رافعًا اكف الضراعة والابتهال ببقاء ملكنا الأفخم وعزيز قطرنا الأكرم عباس حلمي الثاني قوَّى الله دولته وأيد شوكته آمين"(٢).

وبعدما تناول الكتاب سبب تأليفه له واعتماده على ترجمة لكتاب أحد مشاهير ألمانيا وذكر العدل أهمية الرياضة البدنية على العموم وألقى نظرة تاريخية على أهمية هذه الرياضة وفائدتها للجسم وأشار إلى أنها مبدأ إسلامي أصيل كما يشير إلى ذلك الدكتور سعيد إسماعيل على عندما تحدث عن بناء القوة الجسدية وبعدما أورد حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"(٣).

---

١) حسن توفيق العدل، **الحركات الرياضية البدنية**، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، الطبعة الأولي، ١٨٠٥م، ص٥.

٢) حسن توفيق العدل، **الحركات الرياضية البدنية**، **مرجع سابق**، ص٦.

٣) **صحيح مسلم**، ج١٣، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، (٢٦٦٤) ص١٢٤.

فيقول هذه "حقيقة يقررها الإسلام على لسان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حاثا أبناءه على أن يكونوا ذوي قوة، والقوة لها مظاهرها المتعددة ومنها هذا الجسد الذي هو الكينونة المادية للإنسان، وهو الوعاء الذي يحمل شخصية بكل ما فيها من عوالم القيم والاتجاهات والميول والمهارات والمعارف والمعلومات"(١).

وتناول العدل أثر الرياضة على القدماء المصريين وقدماء اليونان وأثينا وعند العرب مستشهدًا ببعض آيات القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ثم أخذ في التفصيل عن الرياضة عند الألمان وخاصة الرياضة داخل المدارس والجمعيات الأهلية عندهم ثم تناول الرياضة عند الإنجليز وأثنى عليهم بقوله "وأما أمة الإنجليز فيتعهدون أجسامهم بكثير من الألعاب والحركات وقد اشتهروا وفاقوا أغلب أمم أوروبا في السباحة وسباق الخيل والزوارق ولعب الكرة بجميع أصنافها(٢).

ثم ينتقل العدل في هذا الكتاب إلي فوائد الحركات الرياضية على البدن وكيف أنها تقوى أعضاء الجسم، ومن إيمان العدل بالرياضية جعلها واجب وحق للأبناء على الآباء وأولياء الأمور منذ مرحلة الطفولة المبكرة فيقول "وعلى أولياء الأمور أن يأخذوهم بتلك الحركات وأنواع الرياضيات منذ نعومة أظفارهم ليفرحوا بالحياة ويسروا بالمعيشة"(٣).

وعرَّج العدل على بعض التنبيهات في استعمال الحركات الرياضية بعد أن قسمها وفق فوائدها فحركات تقي من الدوران والدوخة وأخرى

---

١) سعيد إسماعيل على، **التربية الوالدية رؤية إسلاميه**، القاهرة دراسات إسلاميه سلسلة يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجزء الأول العدد ١٣٢، يوليو ٢٠٠٦، ص ١٠٦.

٢) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص ٢١.

٣) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص ٢٩.

تقوي الكتفين والزراعيين والصدر وتزيد الرئتين قوة في التنفس وهكذا مع وجود صورة توضح كيفية أداء هذه الحركة والعدد المناسب لكل حركة من هذه الحركات سواء كان في الأسبوع الأول من التمارين أم بعد أسبوعين من بداية التمارين أو ثمانية أسابيع لكل مرحلة العدد المناسب لها.

ولقد اعتبر العدل الأنشطة الحركية التي يحرك فيها الأطفال أجسادهم متعة حقيقية وأيضا وسيلة للتعبير عن الذات في أثناء نمو القدرة على التوافق العضلي العصبي بل لابد وأن يتعلم كل طفل ما يناسبه وفق قدراته وميوله فكل متعلم ينزل منزلته ويوضع في المكان المناسب له ويوجه إلى "ما يناسب إمكاناته العقلية والجسمية من جهة وميوله وطموحاته من جهة أخرى،"وليس من الحكمة والإنصاف أن ينزل الأذكياء منزلة الأغبياء أو يخاطب الأغبياء وضعاف العقول بلغة الأذكياء"(١).

ويعد كتاب الحركات الرياضية من أهم الكتب التي تعتبر عماد التربية الرياضية الموجودة في الوقت الراهن بل لا يقتصر نفعها على الرياضة فقط بل شمولية التكوين الإنساني فكريًا، وجسديًا، ومعنويًا، بل ويعد أيضًا من أشمل الكتب التي جمعت الحركات الرياضية وفوائدها في كتاب واحد وبالطريقة (الصورة) التي تمارس بها كل رياضة بل وما يناسب المراحل العمرية المختلفة من أطفال، وفي سن الشباب، والشيوخ وما يناسب المرأة منها حتى في فترات الحمل والرضاعة والحيض وهذا إن دل فإنما يدل على

---

١) سعيد اسماعيل القاضي، **التربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٤م، ص٢٧٥.

اتساع فكر وغزارة علمه وتنوع معارفه، وقد ختم هذا الكتاب بالحمد والثناء على الله"(١).

"قد تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع هذا الكتاب" وهذا يدل على شخصية العالم المسلم الذي يرجع الفضل والتوفيق لله وحده ثم يذكر المطبعة التي طبع بها وعلى نفقة نظارة المعارف ويوجه الشكر لوكيل المعارف ثم للخديوي عباس باشا حلمي الثاني مع الدعاء له بالثبات والرفعة ويؤرخ بالتاريخ الهجري في "ربيع الثاني ١٣١٣ هـ على صاحبها أفضل الصلاة وازكي التحية" وهذا موافق سبتمبر ١٨٩٥م أي بعد قضائه خمس سنوات في مدرسة برلين الشرقية (١٨٨٧: ١٨٩٢م) معلم للغة العربية بها(٢).

- **كتاب مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات:(٣)**

ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي تناولت التربية الجسمية منذ الحمل إلى سن البلوغ بل ويعد من الكتب التي وضعت القوانين للتربية في هذه المرحلة العمرية من حياة الإنسان ويقول هو أيضًا عن ذلك: "ولما منَّ الله على بدراسة فنون التربية والتعليم في المدارس الكلية بمدينة برلين عاصمة إمبراطورية ألمانيا وأخذِها عن فحول علماء التربية بتلك البلاد وكان من جملة ذلك تربية الأطفال الجسمية في العائلات رأيت من الواجب على أن أضع هذا الكتاب لعائلاتنا الشرقية "جامعًا لأهم النواميس التي يجب أن يعرفها الأمهات والآباء لتكون دستورًا لهم في تربية أبنائهم"(٤).

---

١) حسن توفيق العدل، حركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص ١٠٠.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق** ص ١٥.
٣) حسن توفيق العدل، **مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات**، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٨٩٧م، ص ٤.
٤) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات ، **مرجع سابق**، ص ٥.

ولقد قسم العدل هذا الكتاب إلى خمسة أبواب في كل باب مجموعة من الفصول أكتفي بذكر عناوينها ليعلم القارئ مدى عمق تأليفه في هذا الكتاب.

الباب الأول: الطفل وهو جنين ويشمل فصول (في طعام الحامل-ملابسها- نظافتها-حركتها الجسمية-نومها- اطمئنان نفسيتها).

الباب الثاني: الطفل المولود حديثًا وفصوله (استقبال المولود-الرضاعة وقواعدها-المرضعات-الرضاعة الصناعية-تسنين الأطفال- فطام الطفل).

الباب الثالث: "الطفل في السنتين الأوليين، ويشمل فصول (تغذية الطفل- استحمامه ونظافته-ملابسه المناسبة-في نومه وفراشه-بكاء الأطفال-جلوسهم ووقوفهم ومشيهم).

الباب الرابع: الطفل من السنة الثالثة إلى السابعة ويشمل فصول (التغذية المناسبة-نظافة الجسم والملابس-تعهد شعر الطفل-نوم الطفل- لعب الطفل-تقويم جسم الطفل-تبديل أسنانه- تعهد الحواس الخمسة له).

الباب الخامس: الطفل من السنة الثامنة إلى سن البلوغ ويشمل فصول (التغذية -الغسل والاستحمام والسباحة-استنشاق الهواء الجيد وتحمل الظواهر الجوية-تقويم أجسام الأطفال بالرياضة البدنية اعتدال الجسم).

وإذا نظرنا إلى فصول هذا الكتاب نجدها فصلت في كل مرحلة عمرية ما يناسبها ويصلح من شأنها جسميًا وعقليًا بالإضافة إلى توجيه العدل في كل ما سبق إلى ما يصلح منه للبنين والبنات على حد سواء وفق قيم وعادات المجتمع الشرقي.

كتاب أصول الكلمات العامية:[1]

ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أصلت إلى معاني الكلمات العامية التي يتعامل بها الناس فيما بينهم في الحياة اليومية، ويذكر العدل الكلمة العامية المتداولة ثم يذكر أصل هذه الكلمة في اللغة ويذكر استعماله، بطريقة أخرى يفهمها القارئ، وقد رتبت الكلمات العامية في هذا الكتاب وفق ترتيب حروف اللغة العربية وأتت هذه الكلمات على رسالتين متفرقتين مجموعتين في هذا الكتاب وفق الترتيب السابق ولنضرب مثال على ذلك من حرف الألف كلمة "إخص" يقولون هذه الكلمة في معرض اللوم لمن فعل فعلٍ غير مناسب فيقولون (إخص عليك) وأصلها إخسأ ففي اللسان يقال خساء الكلب يخسؤه فخسأ أو انخسأ بمعنى طردته قال الشاعر:

كالكلب إن قيل له إخسأ انخسأ[2]

ومع تأصيل العدل للقول العامي بما جاء في لسان العرب نجده أيضًا أنه يستدل ببعض آيات القرآن الكريم على القول العامي كما استدل على القول السابق بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٠٨][3]

• سياسة الفحول في تثقيف العقول:

وطبع هذا الكتاب بعد وفاته عام ١٩١٠م جمع فيها من الحكم والأمثال، وثمرات عقول الرجال، وقسمه إلي ثلاثة أقسام: الأول علي نمط قيل وقال، والثاني: حكم وأمثال شعرية، والثالث: حكم ونصائح نثرية (ولم ينشر القسم الثالث في هذا الكتاب)، وكان الهدف منها تثقيف العقول

---

١) حسن توفيق العدل، **أصول الكلمات العامية**، القاهرة، مطبعة والدة عباس الأول، ط٢، ١٩٠٧م.
٢) حسن توفيق العدل، أصول الكلمات العامية،**مرجع سابق**، ص ٦.
٣) سورة المؤمنون الآية (١٠٨).

وتهذيب الأخلاق، وقدم لها بمقدمة شرح فيها العقل وأقسامه وكيفية نموه وجودة حدسه، وأعقب ذلك بفصل في كيفية تثقيف عقل الإنسان من أول نشأته إلي أن يصير كامل العقل، وقد أشار فيه إلي الخديوي توفيق، ووكيل المعارف،وذكر دار العلوم التي شيدت قصور عقله، وأرقته إلي سلم فضله، وكما هي عادته يختم كلامه بقوله وبالله التوفيق[١].

- **المقامة العدلية والمقالة العذلية:[٢]**

وهي عبارة عن قصيدة شعرية أحيانًا تأخذ وضع القصيدة أو الحكاية سردًا وأحيانًا تكون منظمة في قالب شعري ملتزم بالوزن والقافية، وهذه القصيدة طبعت بتصريح من والد حسن توفيق العدل بعد وفاته وعلى نفقة صاحب المكتبة السُنية، وذكر في مقدمة القصيدة "أن المؤلف جرى على عادة الشعراء الذين يضعون الألفاظ اللغوية في قالب ظريف، وتكون عبارة عن حكاية يؤلفونها بطريقة ظريفة ومترابطة حتى يسهل حفظها ومراجعتها"[٣].

ويصور فيها العدل أنه حينما كان شابًا وأول شيء يصنعه مع بداية النهار أنه يشرب الخمر، وسار قاصدًا حديقة للنزهة فقابلته فتاتان جميلتان كالبدر فسألهما إلى أين تسيران فقالت إلى المنتزه هلم معنا وأخذ يسرد ما دار بينهما وإلقائه الشعر عليهما، ويصفه بأسلوب غاية في الروعة والبلاغة حتى جاء الوداع ولحظة الفراق مع غياب الشمس فقال: "الوداع

١) انظر مقدمة الكتاب.
٢) حسن توفيق العدل، **المقامة العدلية والمقامة العذلية**، القاهرة، مطبعه والدة عباس الاول، ١٩٠٧م.
٣) مقدمة القصيدة.

يا عشاق فودعتنا الهيفاء والدمع يزري بالأنواء وانسابت من الباب حتى توارت بالحجاب"[1].

• **أرجوزة في آداب الدعاء:**[2]

للدعاء آداب ينبغي على الداعي مراعاتها حتى يتقبل الله تعالى دعاءه، بل حفلت كتب العلماء بهذه الآداب ولكن تفرد العدل في وضعها في قالب شعري يسهل حفظها ويقول محقق هذه المخطوطة "ومن بين تلك المصنفات أرجوزة مفيدة سهلة الأسلوب ميسرة العبارات وقفت عليها ضمن مخطوطات المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف المصرية تحت رقم (١٠١٢) نظمها الأستاذ حسن توفيق عبد الرحمن العدل"[3]

وانتشرت هذه الأرجوزة لعزوبة ألفاظها وسهولة حفظها بين أوساط المتعلمين وأصبحت منتشرة على المواقع العلمية[4]

ويبدأ العدل الأرجوزة بالتواضع بأنه عبد فقير إلى الله ثم الثناء على الله والسلام على رسوله ويسرد آداب الدعاء والأوقات التي يستحب فيها بأسلوب عذب وألفاظ فصيحة ثم يختتم أيضًا بالصلاة على النبي والآل ثم الصحب ما نشر النظم لنا رحيقه وطلع البدر على الحديقة.

---

١) نهاية القصيدة.
٢) مجاله الوعي الإسلامي، **أرجوزة في آداب الدعاء لحسن توفيق العدل**، الأزهري الشافعي، تحقيق طالع محمد عبد الفتاح، الكويت، العدد (٥٦٤) يوليو ٢٠١٢م، تاريخ الدخول ٢٠١٥/٧/١٠ WWW.ALWAEI.COM
٣) **المرجع السابق.**
٤) موقع الالوكة الشرعية أرجوزة في آداب الدعاء لحسن توفيق العدل، تاريخ الدخول ٢٠١٦/٢/١م. WWW.ALUKAH.NET.

القصائد الشعرية:[1]

يعد الشاعر والأديب حسن توفيق العدل من شعراء المناسبات الـذين يلتزم شعرهم بوحدة الوزن والقافية وعبر بقصائده وشعره عـن رحلاتـه ومشاهداته في الشرق والغرب، وسجل به أيضًا الأحداث المهمة في حياته، وأخذت قصائده وأشعاره جانبا من مدح الأعلام والحكام الذين التقـى بهـم أمثال بسمارك والخديوي عباس حلمي الثاني[2].

وقصيدته في زيارة أنجاله في برلين، ويميل العدل في شعره وقصائده إلى النزعة التعليمية التي ينشد منها إفادة وطنه من تقدم الغـرب، ويميـل أيضًا إلى استقراء التاريخ وتوجيه الأنظار لاستخلاص الحكمة والعبرة منها ويؤخذ عليه في قصائده ويشعره الدعوة إلى الوفاق بين أبناء وطنه وبـين الاحتلال الانجليزي الموجود في مصر في تلك الفترة.

- **كتاب تاريخ آداب اللغة العربية:**

كانت دراسة الأدب العربي في القرن التاسع عشر سائرة علي طريقة "المبرد" وكان المدرسون ينحون نحو المرصفي في وسيلته الأدبية، والشيخ حمزة في مواهبه الفتحية، وهي عبارة عن دراسات مبعثرة، تتعرض للشعر تارة وللنثر أخرى، وتلمح للتاريخ تارة وتميل للقصص آخـري "وأول مـن تنبه لتاريخ آداب اللغة العربية المرحوم علي مبارك باشا مؤسس دار العلوم فعهد إلي تدريس آداب اللغة العربية إلي الشيخ "حمزة فتح الله" بالمحاضرة فيه علي ما جاء في كتابه "المواهب الفتحية" ثم عهد إلي فقيد الأدب

---

١) توجد غالبية إشعاره في كتابة الرحلة إلى برلين، ورسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا، بالإضافة إلى بعض المخطوطات الشعرية في دار الكتب المصرية.

٢)عبد المنعم محمد سعيد،رحلة حسن أفندي العدل،**مرجع سابق**، ص٧.

المرحوم حسن أفندي توفيق العدل بعد عودته من ألمانيا وإنهاء دراسته بها، واطلع هناك علي مصنفاتهم في آداب لغتهم وحسن تنسيقها وترتيب مباحثها فأخذ في تأليف كتاب يجمع إلي رقة الأدب جمال الترتيب، فأصاب حاجة كانت في أنفس الأدباء"(١)

فإليه يرجع الفضل في تدريس تاريخ آداب اللغة العربية علي الصورة التي يدرس بها الآن فهو لذلك يعد مبتكر لهذا النوع من الدراسة،وذلك لما رأي منهج الألمان في دراسة هذا الأدب غير هذا المنهج المتبع بمصر ونقل طريقة "بروكمان" في تنظيم دراسة الأدب وتاريخه وتقسيمه إلي عصور وسار من خلفه علي هذا المنهج إلى الآن.

وكتب العدل مذكرته في تاريخ آداب اللغة العربية لتلاميذه بدار العلوم فكانت نواة لما ألف بعدها، وصورة مصغرة لما تلاها من الكتب والموسوعات فكانت النبراس الأدبي الذي أضاء السبيل والذي أخذ بيد أساتذة الأدب العربي في مصر وفي غيرها فساروا على نهجه واقتفوا أثره في ذلك (٢).

وعندما رحل العدل مبعوثًا لتعليم اللغة العربية في جامعة كمبردج وخلف مذكرته في تاريخ آداب اللغة العربية أراد المرحوم أمين سامي باشا ناظر مدرسة "دار العلوم" طبعها على نفقة النظارة كما فعل في مؤلفاته السابقة وكتب إليه في انجلترا أن يرسل إليه كتاب جامع في آداب اللغة العربية فأجابه قبل وفاته بنحو أسبوعين في ٢٠ مايو ١٩٠٤م، بأنه لم

١) علام سلامه، **مذكرات آداب اللغة العربية**، مدرسة بدار العلوم، (د.ن، د.ت) ص٣٣.
٢) محمد عبد الجواد، **أثار المرحوم حسن توفيق العدل**، القاهرة، صحيفة دار العلوم ، ١٩٤٧،ص ص ٣٦:٢٢.

ينتهي بعد منها، وأنه سوف يرسلها العام القادم ولكن الأجل لم يمهله فمات في ٣يونيو ١٩٠٤م وحال بينه وبين ظهور كتابه الجديد ولكن الوزارة طبعت رسالته الصغيرة ووزعتها على الطلبة[١].

• **مؤلفات أخرى:**

يوجد العديد من المؤلفات التي قام الشيخ حسن توفيق العدل بتأليفها وغالبية أعماله طبعة حجرية أو مخطوطات بدار الكتب المصرية وبذل الباحث قصاره جهده في الحصول عليها إلا أنه لم يوفق في ذلك؛ لأنها لم تطبع بعد منها منظومة في النحو وأخري في الحساب، وتاريخ اليونان والرومان، وتاريخ مماليك أوربا إلي سنة ١٨٩٠م وحياة العرب قبل الإسلام[٢]، ورواية ليلي ابنة لكيز، ووصايا الآباء للأبناء إلخ[٣].

هذا وإن التراث الذي خلفه العدل من المؤلفات المطبوعة وغير المطبوعة ينم عن رغبة في إعلاء شأن وطنه، وأنه كان يود لو أصبحت مصر وأهلها كما كان يشاهد في أوروبا، وكان يحث أبناء وطنه علي محاكاة الغربيين في مدارسهم ومعاهدهم، وطرق تعليمهم وتربيتهم[٤].

هذه هي حياة الشيخ المرحوم حسن توفيق العدل حياة بنيت على تقديس العلم والجد والاجتهاد منذ مولده مرورًا بانفتاحه علي المجتمع الغربي ومحاولة اللحاق بركب المدنية والتقدم ودوره في تخريج عدد من

---

١) رسالة من المستربون إلي اللورد كرومر، **جريدة المؤيد تحت عنوان إنما يعرف الفضل من الناس ذووه**، بتاريخ ١١ يونيو ١٩٠٤م.

٢) محمد عبد الجواد، **آثار المرحوم حسن توفيق العدل، مرجع سابق**، ص٣٠.

٣) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**،ص٩٢.

٤) حسن توفيق العدل، أصول الكلمات العامية، **مرجع سابق**، ص٤٧.

المستشرقين على يديه واقفين علي منهجه التربوي وأهـــم مؤلفاتـــه باعتباره علم من أعلام التربية المغمورين في مصر.

وللوقوف علي فكر العدل التربوي لابد من دراسة الأصول الفلســفية عنده فهي التي ينبع منها فكرته، ويقتبس منها منهجه وطريقتـــه، فنظـــرة العدل إلي الطبيعة الإنسانية ومكوناتها، وطبيعة الكون، وحـــدود المعرفـــة وأنواعها ترسم الملامح العامة والقواعد التي سار عليها فكره ومؤلفاته من بعده وهو ما نتناوله في الصفحات القادمة بإذن الله.

الفصل الثالث
الأصول الفلسفية لفكر العدل التربوي

تمهيد:

يتناول هذا الفصل فلسفة التعليم وأهدافه في فكر حسن توفيق العدل ويشمل ذلك أهداف التربية عنده باعتبار أن تحديد الأهداف ينبغي أن يكون البداية لأي عمل لتوضيح الطريق الذي يسير فيه الإنسان وتوضيح الوسائل والطرق التي تكفل الوصول بهذه الأهداف إلى المستوى المطلوب كما يشمل الفصل على نظرة العدل إلى الطبيعة الإنسانية باعتبار أن دراسة الطبيعة الإنسانية هي المدخل لدراسة الفكر التربوي فالإنسان هو موضوع التربية ومحورها باعتبار أن التربية أصبحت فناً ومهنة فلذلك يحتاج المدرس إلى معرفة خصائص ومكونات الأفراد المسؤول عن تشكيلهم.

ويتضمن الفصل أيضًا طبيعة الكون فنظرة العالِم إلى الكون والحياة الدنيا واعتقاده في الآخرة من عدمها يشكل ركيزة أساسية في فكره وفلسفته ثم يتعرض الفصل في النهاية إلى المعرفة عند العدل وحدودها ووسائلها وأنواعها "حيث أن المعرفة عملية أساسية في النمو الإنساني ومن هنا يجب أن تصبح جزءًا من أية فلسفة تربوية سليمة"[1]، ولنقدم تفصيلًا مما جملناه فنقول:

---

١) **فيليب ٠هـ٠ فنكيس**، **فلسفة التربية**،ترجمة محمد لبيب النجيحي، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر(د٠ت)، ص٤٦٨.

أهداف التربية عند العدل:

تتطلب الأهمية التي تحتلها الأهداف في توجيه نشاط الأفـــراد وعمـــل المؤسسات وحياة المجتمع كله تحديدًا ووضوحًا لها مـــن جانـــب الأفـــراد والعاملين في المؤسسات ومن جانـــب الساســـة والمفكـــرين والمخططـــين وغيرهم. فالمفكرون والفلاسفة والمصلحون يبحثون دائمًـــا فـــي أوضـــاع المجتمع ويحاولون البحث عن أفضل صورة للمستقبل؛ ولهذا كان تركيزهم على الأهداف وعلى ما ترتبط بها من قيم واتجاهات وما تطلبه من وســـائل ومن بينها التربية.

فالهدف من التربية من وجهة نظر العدل أنها لا يقصد منهـــا ســـوى إعداد الناشئ وتجهيزه بتثقيف عقله وتقوية إرادته لأن ينفذ إرادة الحكـــيم جل شأنه في جميع أحواله؛ ولذلك لابد وأن تبعث التربية في الناشئ فطنـــة بجميع الأحوال والنسب التي يمكن أن يوجه إليها إرادته فيما بعـــد، "وذلـــك عن طريق تربية تصورات الفرد وإدراكه إلى الحقائق والاهتمام بموضوعات العلم"[١].

بل يمكن القول أن تحديد محتوى التعليم واختيار وسائله وتقـــويم نتائجـــه لابد له من تحديد أهداف واضحة[٢]، والسلطات التعليمية تحـــرص دائمًـــا علـــى توجيه النشاط التربوي في إطار من الأهداف القوميـــة فتعلنهـــا فـــي القـــوانين واللوائح حتى يلتزم بها العاملون في كل موقع من مواقع العمل التربوي، وتقـــع مسئولية تنفيذ هذه الأهداف على الوحدات التعليمية من مدارس ومعاهد

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية،ج٢، **مرجع سابق**، ص٤.

٢) *John .Brubacher: modern philosophies of Education, New york, the Macmillan company, ١٩٤٩,p. ٩٥.*

ومؤسسات تعليمية بل المعلم في فصله مع تلاميذه في حاجة إلى تحديد هدف وقياس مدى تقدمه مع تلاميذه نحو هذا الهدف ثم يقوم بتغذية راجعة بعد الوقوف على نقاط القوة فيثبتها ونقاط الضعف فيعالجها، ولا يفرق العدل بين التربية والتعليم من حيث الهدف فينظر إليهما على أنها متفقين من حيث الهدف والغاية فيقول: "والغاية المطلوبة من كليهما واحدة وهى الكمال في نوع الإنسان وبذلك تعلم أن افتراقهما في أفراد الأمة يعد نقصًا في كمالهم وباعثًا لانحطاط جامعتهم..."[١].

غير أن العدل يفرق بين الأهداف العامة للتربية والأهداف الخاصة.

أولاً: الأهداف العامة للتربية:

المقصود منها إعداد الإنسان الصالح الكامل النافع في شتى مجالات الحياة ويكون ذلك عن طريق الأسرة باعتبارها أول مؤسسة تربوية قبل المدرسة والجامعة فيقول: "إن أشد ما تمس إليه الحاجة في تربية الناشئ في هذا الدور هو تعويده (أي الطفل) على ما يفيده مع إبداء النصائح والحكم والأسباب عند اللزوم[٢].

والهدف بصفة عامة هو ذلك الذي يراد أحداثه في الظروف المحيطة بالإنسان والهدف التربوي هو ما ينشد تحقيقه من العملية التربوية في الإنسان من تنمية في جميع نواحي الشخصية البشرية وهو المحصلة النهائية للتربية التي يمر بها الإنسان[٣] وبقدر وضوح هذه الأهداف التربوية

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية،ج٢، **مرجع سابق**، ص١١٣.

٢) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق** ، ص٨٧.

٣) محمود السيد سلطان، **الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام**، القاهرة دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٢٤.

يتحقق الترابط بين مكونات العملية التربوية حتى تسير حركة العمل التربوي في إيقاع سليم وقد ارتبطت أهداف التربية بآراء الفلاسفة عن الطبيعة البشرية، وكذلك تأثرت بالعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة لكل مجتمع على خلاف الأخر.

ويتمثل الهدف العام للتربية عند العدل في المخرجات المنتظرة أو النتائج المرجوة التي ينبغي تحقيقها من خلال القيام بعمليات التعليم والتعلم وخاصة في المراحل العمرية الأولى للإنسان بل تجاوز ذلك الحد في مؤلفاته وجعل هدف التربية الاهتمام بالطفل وهو في بطن أمه من الشهور الأولى للحمل[١]، ويمكن أن نلخص أهداف التربية عند العدل في هدفين أساسين يمكن أن تندرج تحت كل منهما أهداف فرعية:

الهدف الأول: ربط الطفل بثقافة أمته: فان الطفل لا تتفتح قواه إلا في جو ثقافته القومية وتربته الاجتماعية الأصيلة فعملية التنشئة الاجتماعية واحدة من أهم المهام الأساسية للطفل ويبنى عليها أي نظام تربوي؛ ولذلك يمكن القول "أنه من الأساسيات الهامة لنشأة أي نظام تعليمي أن يكون مدركًا لظروف المجتمع والتغيرات الحاصلة فيه"[٢] حتى نبنى إنسانًا متكامل الجوانب ينتمي لوطنه وعنده القدرة على النهوض به.

الهدف الثاني: الاستجابة لحاجات نمو الطفل: والعمل على تفتيح إمكانياته إلى أقصى حد تسمح به إمكانياته، ولا يخفى ما لهذا الهدف من

---

١) ألف كتاب "**مرشد العائلات إلى التربية البنين والبنات**" ابتداء من فتره الحمل وحتى بلوغ الطفل سن الثامنة من عمرة.

٢) *Raliph.W. Tyler: **Purposes of our schools**, Bulletin of Association of secondary school. Principals, ١٩٦٨, ٥٢. From: Allanc Ornstein, W. Eugene Hedley: Educational Foundotion Ideas and Issues, Donld E. orlosky, P. ٣٠٧.*

شأن عظيم فهو شامل يتضمن أهداف فرعية كثيرة تدخل في إطار الأهداف الخاصة والسلوكية التي تتضمنها التربية وتهدف إلى أن تمد الفرد بكل ما من شأنه أن ينمى شخصيته في الاتجاهات المرغوب فيها وفق مقتضيات العصر والاستفادة من تجارب الآخرين في ذلك المضمار فيقول العدل في ذلك "مقتصراً على ذكر كيفية سيرهم في التعليم والتعلم وذكر علومهم وصنائعهم وآدابهم ليس إلا، ومعرفة أخلاقهم وطباعهم للمتبصر في أشيائهم العلمية والعملية"(١).

وبذلك تظهر لنا الغايات التربوية عند العدل فهي تتعلق بالغايات القومية العامة وما يتصل بها من الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، فهي القيم الاجتماعية التي تحدد نوع التربية المطلوبة، وتوجه كل عمل تربوي، وتُشَقْ من فلسفة المجتمع، وتترجم هذه الغايات على شكل محتوى تعليمي، لتجسد فيما بعد من قبل المعلمين وتوضع هذه الغايات من قبل السلطات العليا في المجتمع وتوضع بشكل مبادئ وتعليمات بعيدًا عن التفاصيل والجزئيات.

وإذا كانت التربية تشتق أهدافها من المجتمع وتوجد حيث وجد المجتمع متماشية مع روح العصر فنقول إذاً أنه لا يوجد "هدف واحد للتربية في أي مجتمع أو عصر بل هناك عديد من الأهداف المتداخلة إلا أن أحدها يكون أكثر ظهورًا ووضوحًا من غيره من الأهداف"(٢)، وهذا ما يتفق أيضًا مع أهداف التربية عند العدل فهناك الأهداف العامة سابقة الذكر ونتحدث عن النوع الثاني.

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل (١٨٨٧-١٨٩٢م) **مرجع سابق**، ص ٢٨.
٢) نادية جمال الدين، **فلسفة التربية عند إخوان الصفا**، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٨٣م، ص٢٨١.

ثانياً: الأهداف الخاصة للتربية:

الأهداف الخاصة للتربية تعبر عن النتائج المنتظرة من جملة فاعليات تربوية من أجل الوصول إلى الغايات والأهداف العامة، فالهدف الخاص هو إعلان عن المقاصد التربوية التي تصف تعلم واحد أو أكثر من النتائج المرجوة من التعلم؛ ولذلك يضع العدل ثلاثة أهداف للتعليم هي:

١. أن يحرك التعليم ميول الأطفال ويبقي على شغفهم به على الدوام وأن انقضى زمن التعليم، ويبعث في الناشئ ارتياح يدفعه زمنًا بعد آخر إلي تجديده وإعادته (التعلم الذاتي).

٢. ربط التعليم بسوق العمل وهذا سر تقدم الدول والقضاء علي البطالة في أي مجتمع متقدم، ويذكر ذلك فيقول "ليس الغرض من الناشئ مطلق العلم بل العمل حتى يقدر علي استخدام ما علمه في مقتضيات أحواله المعيشية"(١).

٣. تقديم العلم بصورة مترابطة حتى تبعث في الطالب قدرة على توسيع نطاق ما حصل عليه والتعمق فيه.

ويمكن أن نجمل الأهداف الخاصة للتربية عند العدل في النقاط الآتية:

١. في المجال الحسى (الحركي):

والمقصود بالأهداف في هذا المجال تطوير المهارات الحركية للطفل المتعلقة بالعضلات الكبيرة المسؤولة عن التوازن، والعضلات الصغيرة التي سيساعد نموها فيما بعد على الكتابة والقيام بالأعمال الدقيقة، وفى الوقت المعاصر نجد اهتمامًا متزايدًا نحو التربية الرياضية وخاصة في مراحل رياض الأطفال، "فتحتل الأنشطة الحركية أكثر من نصف مناهج رياض

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية،ج٢، **مرجع سابق**، ص٤.

الأطفال، وتنفذ يومياً من خلال التمارين الرياضية والرقص الإيقاعي، والقفز والتسلق وغيرها"[1]، ولذلك نجد أن العدل اهتم اهتمامًا كبيرًا بالتربية الرياضية حتى أنه ألف فيه كتابًا[2] أصَّل فيه استخدام الرياضة في الحضارات السابقة أمثال اليونان والرومان والفراعنة وغيرهم.

٢.في المجال العقلي:

والمقصود بها الأهداف التي تنمى القدرات العقلية للطفل من خلال تنمية الإدراك الحسي، وتنشيط فكره وخياله وانتباهه، وذلك من خلال وضع أهداف خاصة لكل مادة علمية، ويقسم العدل العلوم إلى عشرة لكل منها هدف تريد أن تحققه وهي:[3]

علم الدين: وما يلحق به من الاعتقاد الديني والعلم الديني، والعمل الديني ويذكر العدل أن الغرض من "تعليم التعاليم الدينية أن نعود الناشئة على العمل بمقتضى الأوامر والنواهي المقدسة عملًا أليًا فقط بل الغرض أن نبعث فيهم شعورًا أدبيًا مداره هو الاعتقاد القلبي وحكم الفكر اللذان يدفعان ذميم الأخلاق ويجلبان حسنها"[4].

علم اللغة الوطنية: والهدف منه تعلم القراءة والكتابة والتهجي والقواعد النحوية والإنشاء.

---

١) أسماء جريس الياس وسلو محمد على، **اتجاهات حديثة في تصميم وتطوير المناهج في رياض الأطفال**، الأردن، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ص٥٩.

٢) سماه " **الحركات الرياضية البدنية**" وذكر فيه ما يناسب كل مرحلة عمرية من هذه الحركات بالإضافة إلي فوائد هذه الحركات.

٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**،ص٦.

٤) **المرجع السابق**، ص٦.

علم التاريخ: ويهدف إلى بناء الإطار الفكري للتلميذ واكتساب خبرات الماضي ويبعث علي الحمية والانتماء لوطنه.

علم الجغرافيا: ويهدف إلى دراسة المدن والحضارات وأسباب الرقي والتقدم لأي دولة في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

علم الطبيعيات: والهدف منها رؤية إبداع الخالق عز وجل الذي أبدع المخلوقات بنظرة تخيلية أو فكريه.

علم الحساب، والهندسة، والرسم: والهدف منهم تقوية تصور الإنسان للأشياء ومعرفة قوامها، وتربي الذوق السليم لديهم والإحساس بمحاسن الأشياء، وتصورها وحسن عرضها.

فن الأعمال اليدوية والرياضة البدنية: والهدف منهم تدريب اليد على سرعة الحركة والعين على حدة البصر، وإعداد جيل سريع الفهم قوي البصيرة سليم الجسم خالي من الأمراض.

ويضع العدل لكل علم من هذه العلوم طريقة التعليم المناسبة الخاصة به والوسائل المناسبة له "ودور المعلم وكيفية التواصل مع التلاميذ داخل حجرة الدراسة[1]، ويهدف بذلك "تخريج القارئ الذي يقرأ بفهم والكاتب الذي يكتب عن علم، والمفكر الذي يفكر عن أصالة"[2].

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية،ج٢، **مرجع سابق**،، ص١١٢.

٢) السيد أبو الفضل عوض، **الأزهر قلعة الإسلام وحصن اللغة العربية**، القاهرة، مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، السنة٧٢، الجزء الثاني، ١٩٩٩م، ص٢١٨.

ولذلك نرى أن الأهداف الخاصة للتربية عند العدل تقتصر على كل علم على حدة وما الغاية منه، وما الطريقة التي يجب إتباعها حتى نصل إلى غاية كل العلوم مع الأخذ بجميع الجوانب الحسية والعقلية في الاعتبار، وكل هذه الأهداف ترمى لتحقيق الأهداف العامة وإعداد المواطن الصالح النافع لنفسه ووطنه.

الطبيعة الإنسانية في فكر العدل التربوي:

يمثل موضوع الطبيعة الإنسانية أهمية كبرى بالنسبة للمشتغلين في ميدان التربية وذلك لأن الإنسان هو موضوع التربية ومحورها؛ لذلك كان من الضروري البحث عن طبيعة الإنسان عند العدل والكشف عن قواه ومتطلباته وملكاته وميوله وقيمه والفطري والمكتسب فيه وأثر الوراثة والبيئة وغيرها مما يشكل لنا طبيعة الإنسان عند العدل وبالتالي الوقوف على فكره التربوي.

ونكون محقين حينما نقول "كل مفهوم تربوي وكل فعل تربوي وراءه تصور معين للطبيعة الإنسانية"(١) وعلى هذا فإن الفهم الصحيح لطبيعة العملية التربوية عند أي مفكر من المفكرين لا يمكن أن يكتمل دون تصور سليم لمفهوم الذات الإنسانية، ويرتبط هذا التصور ارتباطًا وثيقًا بعقيدة معينة أو فلسفة وضعية محددة وكل منهما تهدف إلى تشكيل إنسان ايديولوجيا بطريقتها الخاصة ويرتبط بها كل إنسان مؤمن بفكر تلك الفلسفة فكريًا وعمليًا.

---

١) سيد إبراهيم الجيار، **التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية**، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٧٨م،ص٤٩.

وإذا أردنا أن نحدد الطبيعة الإنسانية فنجد أنها من الصعوبة بمكان تحديدها وإيجاد مفهوم لها ولكن نقصد بها فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، ومن هنا فإن معرفة طبيعة الإنسان من الأشياء التي يجب أن تكون دقيقة ومؤكدة، فالإنسان في الحقيقة صنع بقدرة الله وعلمه وعظمته التي يعجز البشر عن إدراكها، ويقف عاجزًا حينما يفكر في طبيعته.

لذلك "تتطلب فلسفة التربية تفكيرًا في الطبيعة الإنسانية، لا لأن التربية تعنى بنمو الأفراد فحسب، ولكن أيضًا لأن فهم الإنسان هو مفتاح كل خبرة قد يفكر فيها الإنسان كمرآة للعالم"(١) والهدف من التفكر في طبيعة الإنسان تربيته وإعداده ليكون إنسانًا نافعًا كما يشير العدل لذلك "وموضوعها الإنسان من حيث كونه مخلوقًا أدبيًا ومقصود توصل الإنسان إلى غاية الكمال حتى يكون نافعًا لنفسه وللهيئة الاجتماعية(٢).

ونظرًا لهذه الأهمية "فقد كان الاهتمام بالبحث في الطبيعة الإنسانية واضحًا لدى الفلاسفة وغيرهم وكانت النظرات مختلفة في طبيعة الإنسان وكان اختلاف وجهات النظر التي تدور حول قضايا متعددة ومن ثم ظهرت مفاهيم كثيرة للطبيعة الإنسانية"(٣).

ونظر إليها الفلاسفة والمفكرون من زوايا متعددة، فهناك من تصور الطبيعة الإنسانية على أنها شيء واحد ثابت في جميع الأزمنة والعصور وأن الإنسان حيثما وجد هو الإنسان، بينما هناك من نادي بأن الطبيعة الإنسانية تختلف باختلاف الأفراد أنفسهم وباختلاف استعداداتهم وقدراتهم

---

١) فيليب٠ هـ٠ **فنكيس، فلسفة التربية،مرجع سابق**، ص٦٩٨.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥.
٣) عبد البديع عبد العزيز، **التربية والتعليم عند بن الجوزي**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠، ص٥٩.

ولهذا فإن وضوح وجهات النظر المختلفة التي عالجت طبيعة الفرد ينبغي أن تكون البداية الأساسية لكل من يتصدى لتوجيه أي عمل تربوي، "فتقوم الفلسفة التربوية على فهم سليم للطبيعة الإنسانية التي يتناولها التربويون بالتهذيب والتشكيل وقد اتصفت بمطاوعة ومرونة تتيحان لهم تحقيق هذا الهدف"[1]،

ويفيدنا تكوين هذا المفهوم العلمي السليم عن طبيعة الفرد في تكوين الأساس لمراجعة جوانب العملية التربوية كلها وتحديد دورها في الثقافة التي يعيش فيها الناشئون وخلاصة القول في موضوع الطبيعة الإنسانية أنه يحتل مكانة كبرى في الفكر التربوي والدراسات التربوية ويتمثل أهمية لكل من يعمل في هذا المجال لما لها من دور هام في فهم الإنسان محور العملية التعليمية وهدفها في نفس الوقت،وبالتالي تحديد علاقته وقيمه في مجتمعه وتأثره به وتأثيره فيه.

وإذا نظرنا إلى الطبيعة الإنسانية عند العدل نجد أنها احتلت مكانة كبيرة واستحوذت على فكره واهتماماته فنجد أنه تطرق إلى أدق التفاصيل فيها ونتناولها من زاوية عديدة نتطرق لها في النقاط الآتية تحت عنوان:

نظرة الفلسفات المختلفة للطبيعة الإنسانية:

اختلفت وجهه النظر إلى الإنسان بين الفلاسفة والفلسفات المختلفة في مكونات الإنسان هل هو جسم وروح معا يؤثر كل منهما في الأخرأم أنه جسد وروح كل منهما منفصل عن الآخر أم أنه كيان متكامل تؤثر بعض جوانبه في بعض، وتعددت آراء الفلسفات المختلفة في ذلك وسوف نلقى

---

١) محمد لبيب النجيحي، مقدمة كتاب **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**، لجون ديوي، القاهرة، مؤسسة الخانجي، ١٩٦٣م، ص١٨.

نظرة على وجه نظر بعض هذه الفلسفات المختلفة.

نظرة الفلسفة المثالية للطبيعة الإنسانية:

أعلت الفلسفة المثالية من مكانة العقل بينما نظرت إلى الجسم بشيء من الازدراء ورغم ذلك أكدت على ثنائية الطبيعة البشرية "فالإنسان له جسم له حدود مكانية أما العقل فليست له هذه الحدود بل هو أقرب إلى الروح منه إلى شيء آخر"(١).

وقد سادت هذه النظرة التي تقلل من أهمية الجسم على التفكير المسيحي الذي أعتبر أن الجسم وعاء للروح وأن هذه الطبيعة المادية لجسمه هي التي تجعل الإنسان أقرب إلى الشر والخطيئة، بينما الروح، لابد لها أن تتطهر من هذا الشر عن طريق الخلاص، وقد ترتب على هذه النظرة الثنائية مجموعة من المشكلات التربوية مصدرها تعارض مطالب كلُ من الجسم والعقل.

"فالتلميذ في الفصل مثلًا يفرض عليه المعلم قيودًا لحركة جسمه ونشاطه البدني من أجل حفظ النظام الذي يساعد على تعلم العقل، يضاف إلى ذلك أن هذه النظرة الثنائية تطرح مشكلات أخرى مثل كيف يتعلم العقل؟ وماذا يتعلم؟ وهل يمكن ترجمة هذا التعليم إلى سلوك حركي؟ وكيفي؟"(٢)

ويرى أصحاب هذه الفلسفة أيضًا أن الأشياء موجودة طالما أدركت حسيًا بمعنى ليس موجود سوى ما يدرك حسيًا فالأشياء التي تدركها الحواس موجودة مثال أنا موجود بالغرفة فالأشياء موجودة وحينما أفارقها

١) محمد لبيب النجيحي، مقدمة في فلسفة التربية، **مرجع سابق**. ص٩٥.
٢) محمد منير مرسى، **فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م، ص١٣٤.

فهي ليست موجودة وحينما أغلق عيني يختفي العالم وهكذا وأصلحوا ذلك بشرط أن لا يكون أحد يدرك تلك الأشياء حسيًا في اللحظة ذاتها.

نقد النظرية المثالية: من خلال العرض السابق نستطيع أن نقــول أن المثالية ليس لها واقع ملموس إلا في وجهة نظر أصحابها ويمكن أن نقول أنها "مجرد هلاوس وأحلام ولو كان كل ما نخبره عبارة عن أفكار خاصة بنا فكيف لنا أن نميز الواقع من الخيال؟ والأحلام من اليقظة، وإنها تؤدى إلــى أن كل شيء موجود في عقلي وأن كل شيء غير ذلك هــو مــن اخــتلاق خيالي"[1]، ومن خلال ذلك يظهر لنا عدم جدوى الفلســفة المثاليــة وأنهــا تضارب العقل السليم وتجعل الإنسان دائمًا يرى العالم من نسج خياله فقط.

نظره الفلسفة الواقعية للطبيعة الإنسانية:

تفترض هذه الفلسفة أن أسباب خبرتنا الحسية هي الأشياء المادية في العالم الخارجي، وأن هناك بالفعل عالمًا خارجيًا موجود سواء كان موجودًا في خيالنا أم لا، كما تفترض "أن المعتقدات التي نتبناها من خلال أعضــائنا الحسية هي معتقدات صحيحة في العمــوم أي (لا تعتقــد بالغيبيــات ولا السمعيات) وهذا هو سبب أن مستقبلات حواسنا صارت على ما هي عليــه بعد التطور والانتقاء الطبيعيين"[2] ومن السابق نجد أن الفلســفة الواقعيــة قارنت بين وحدة الطبيعة الإنسانية وجعلتها وحدة متكاملة وأعطت الحواس أهمية بالغة وجعلتها مصدر المعرفة.

---

١) نيغيل واربور تون، **الفلسفة الأسس**، ترجمة محمد عثمان، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩، ص١٦٨.

٢) **المرجع السابق**، ص١٧٤.

والنقد الذي يوجه لها: أنها لا تأخذ في الحسبان بصورة مقنعة الطبيعة الفعلية لعملية المشاهدة أي السمة النوعية للنظر، وهى تختزل خبرة الإدراك الحسي في صورة من صور جمع المعلومات وكذلك النظر إلى وحدة الطبيعة الإنسانية وتكامل مكوناتها؛ "فكل متكامل لا يتكون من جسم يضاف إليه عقل، ولكن الطبيعة الإنسانية أبعد من ذلك، فالكل أكثر من مجموع أجزائه أي أن الطبيعة الإنسانية هي أكثر من مجرد إحساسات جسمية وتكوينات عقلية[1].

نظرة الإسلام للطبيعة الإنسانية:

نظر لها نظرة تكامل وشمول فالإنسان يتكون من روح وجسد فلم يعتني الإسلام بجانب دون الأخر بل أصبح هناك أمر في الإسلام يدعو للتفكر والتدبر وإعمال العقل وكان الإسلام ينظر إلى طبيعية الإنسان بأنه روح قال **تعالى**: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2]

وهذه الروح تمثل الجزء المعنوي في الإنسان أي غير مدركة ومحسوسة لكن توجد أثارها كما لا نرى الكهرباء ولكن ندرك أثارها وهى أيضًا الجزء الإلهي في الإنسان وإذا خرجت هذه الروح من الجسد تتوقف حياته المادية والحركية ولا يصبح له أي وزن ولا قيمة.

ويعترف الإسلام بأن الإنسان مكون من جزء مادي وهو الجسد وجزء غير مادي وهو الروح قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [سورة ص: الآية ٧١] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [سورة ص: الآية ٧٢]

١) محمد لبيب النجيحي، مقدمة في فلسفة التربية، **مرجع سابق**، ص٢٦.
٢)سورة **الاسراء**، اية (٨٥).

وهذه الآيات تتضمن الجانب المادي للإنسان وهو الجسد والجانب المعنوي له وهو الروح، واهتم الإسلام بالروح وجعل لها غذاء مثل الجسد وجعل غذاءها العبادات من صلاة وصيام وقراءة قرآن فنجد ارتياح شديد وفرح يغمر الإنسان حينما يؤدى هذه العبادات.

وقد أهتم الإسلام أيضًا بالجسد ولم ينظر إليه بازدراء أمثال بعض الفلسفات الأخرى بل جعل القرآن القوة الجسدية فضل يهبه الله لمن يشاء من عبادة قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٤٧]

وأكدت أيضًا السنة النبوية على الاهتمام بالجسد أيضًا فقال (صلى الله عليه وسلم): "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احرص عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ"(١).

ولكن هذا الاهتمام لا يؤدى بالإنسان إلى الإفراط في الشهوات بل عليه أن يضبط نفسه ويوجه طاقاته إلى ما فيه مصلحته ومصلحه أمته "فاستخدام الإنسان لطاقاته كلها يحدث توازنًا بين مادياته ومعنوياته ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية يحدث أنواعًا من الشذوذ على النحو الذي نراه في المجتمعات الحديثة، فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة في منهج التربية الإسلامية"(٢).

---

١) صحيح مسلم، باب الأمر بالقوة وترك العجز، ج١٢،(٢٦٦٤) ص١٤٢.
٢) على القاضي، **أضواء على التربية في الإسلام**، القاهرة، دار الأنصار، ١٩٧٩م ، ص ٢٩.

الخلاصة: نجد أن التربية الإسلامية اهتمت بجميع جوانب الإنسان لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة فنظرت إلى جميع جوانب الشخصية الإنسانية في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والاجتماع، والعقل، ونظرت للإنسان بشمولية جنسه بغض النظر عن دينه وعرقه وفي ذلك "بيان أن الإنسان هو المحور الذي تتركز حوله العملية التربوية: ولم نقل الإنسان المسلم لأننا نريد أن نرى المسلم على ما استسلم له وهو الإسلام ونربي غير المسلم على الإسلام بالتوجيه والنصح والإرشاد"(١).

وتكون الغاية والهدف من التربية الإسلامية سعادة الإنسان في الدارين الدنيا والآخرة على خلاف الفلسفات القائمة على الحياة والدنيا مثل التربية الرأسمالية والشيوعية وغيرها من الفلسفات القائمة على الرهبنة وازدراء الدنيا بعدم العمل فيها، وكلاهما مناقضان لمنهج الإسلام.

وإذا نظرنا إلى الفلسفة الإسلامية "تجد الدين الإسلامي دين وسط لا يحرم الجسم من إشباع حاجته وإنما يدعوه إلى التوسط والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط (٢) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٢٩]

مكونات الطبيعة الإنسانية عند العدل:

نتيجة لتربية العدل الشرقية والإسلامية فكانت الطبيعة الإنسانية عنده تنطلق من المنظور الإسلامي الذي يرى أن الإنسان يتكون من مجموعة من الجوانب لابد من الاعتناء بها دون أن يغلب جانب على جانب آخر وهى:

---

١) خالد بن حامد الحازمى، **أصول التربية الإسلامية**، السعودية، دار عالم الكتب، ٢٠٠٠م، ص١٩ .
٢) محمد سيف الدين فهمى، **النظرية التربوية وأصولها الفلسفية**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م، ص٦٧.

أولًا: الجسم:

اهتم العدل بجسم الإنسان واعتنى به؛ لأنه هو الهيكل الـذي يشـكل الإنسان ويرسم واقعه ويحدد ملامحه، ويوضح لنا سر الاهتمـام بالجسـم؛ فيقول: "وعلم الجسم بهذين الاعتبارين يُعتبـر أساسًـا للتربيـة الجسـمية المقصود منها حفظ الجسم ونموه، وكذلك للتربية العقلية من حيث أن الجسم هو الآلة للنفس والعقل"(١)، ومن خلال التنشئة الاجتماعية نجـد أن هنـاك طرقًا كثيرة وعديدة تعمل على ترسيخ مفهومنا لصـورة الجسـم المثـالي، "وذلك عن طريق وضع توقعات غير واقعية لكل من الجنسين ومـن خـلال التدريبات التي يتم تقديمها لنا من خلال عائلتنا وزملائنا ووسـائل الإعـلام المختلفة تتكون صورة الجسم"(٢).

ومن أمعن الفكر وجد أن النفس تتأثر بأحوال الجسم وانفعالاته أكثـر من تأثره بأحوالها، وأن سلامتها متوقفة على سلامته والعكس، "وقد ضرب الأقدمون مثلهم في ذلك حيث قالوا العقل الحكيم في الجسم السليم فلا تكـاد ترى من ضعفاء الجسم قوة النفس ومضاء العقل ودوام العمـل"(٣)، وبـذلك يتفق العدل مع الكثير من معاصريه الذين يروا "أن الإنسان لا يستقيم أمره إلا باستقامة جسمه وأن سلامة الشخصية تتوقف على قوة البنية وأن القوة الجسمية مطلب هام للتربية الحربية التي دعا إليها الأمة لمواجهة التحديات العالمية التي كانت تواجهها"(٤).

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١،**مرجع سابق**، ص٥.

٢) كريم زكى حسام الدين، **الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م، ص٤.

٣) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضة البدنية ، **مرجع سابق** ص٧.

٤) احمد أمين، **فيضي الخاطر**، ط ٧، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢، ص ٢١٢.

وللحفاظ علي الجسم وضع العدل بعض المقومات التي يقوم عليها وتكسبه قوة وتجعله خالي من الأمراض هي:(١)

١. تناول الطعام: وهناك آداب لتناول الطعام حث عليها الإسلام ذكرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديثه: "يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"(٢)، ولكن يشترط في هذا الطعام أن يكون من الأنواع المناسبة للجسم، ويكون سهل الهضم وخاصة عند الأطفال، ويبدأ تناول الطعام من مرحلة المهد للطفل بداية بالرضاعة؛ لأنها أفضل أنواع الغذاء للطفل ثم بعدها بزمن يجبر على الأطعمة السهلة شيئًا فشيئًا حتى يتعود عليها، ويراعى كذلك عدم تناول الأطعمة والأشربة التي ترخى الجسم، وعدم بذل مجهود قبل الأكل وبعده بزمن يسير.

٢. النظافة الشخصية، ونظافة المسكن للطفل: ويؤكد العدل على أن يكون محل الأطفال نظيفًا صالح للسكنة سواء كان في المنزل أو داخل المؤسسات التعليمية لما لهما من ألأثر على صحة الطفل الجسمية والعلمية. كما يؤكد على النظافة الشخصية وخاصة الغُسل والاستحمام معللاً ذلك بقوله: "ببذل جهدهم في الغُسل والاستحمام حتى يقوى أعضاءهم على الأعمال وتكون أبعد من الأمراض"(٣)، ولا تخفى أهمية النظافة الشخصية بالنسبة لصحة الإنسان والحفاظ عليه من الأمراض.

٣. النوم والحركة للطفل: ربط العدل بين مقدار النوم والعمر فالطفل يحتاج إلى النوم أكثر من الأكبر منه سنًا، وهذا ما يؤكده الأطباء

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٦.
٢) **صحيح البخاري**، ج١٦، باب التسمية علي الطعام والأكل، (٥٣٧٦) ص٤٧٠.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٧.

والمتخصصون كذلك نهى عن ممارسة الأعمال الجسمية، والعقلية قبل النوم؛ لأن ذلك يعكر صفوه ويوقظه بسرعة، ويؤثر ذلك أيضًا على أعصابه، وينادى أيضًا بتقوية الجسم عن طريق التمرينات الرياضية لما لها الأثر على الأعمال العقلية والجسمية، ويوازن الطفل بين هذه التمرينات وبين الراحة.

وبذلك العرض تتضح لنا الأهمية البالغة للجسم عند العدل وكيف أنه اهتم به من مأكل وملبس ومسكن حتى يكون الجسد المثالي الذى يحوى نفسًا زكيةً وعقلًا واعيًا، ويكون إنسانًا كاملًا نافعًا لنفسه وغيره، ويذهب العدل إلى التعمق الفلسفي لجسم الإنسان محددًا الحركات التي يقوم بها الجسم واقفًا على تفسير صورة الجسم "وهى تلك الصورة اللاشعورية أو ذلك النموذج اللاشعوري الذي يحمله المرء لشخصيات الطفولة ويوجه إدراكاته تجاه الآخرين(1)، ويرى بعض الباحثين(2) "أن صورة الجسم في علاقتها بالواقع تمثل جوهر الطاقة النفسية في تكوين الشخصية"، ويذكر العدل الحركات التي تؤثر في الجسم ولها علاقة به وهي:(3)

حركات اضطرارية: تتولد عن التأثيرات الحاصلة عن التفاعل في مراكز مجموع الأعصاب كمجموع أعصاب الدماغ وأعصاب الظهر بدون عمل وإرادة للنفس. مثال ذلك حركة الدم والتنفس والسعال والعطاس والتثاؤب.

---

1) فرج عبد القادر طه، **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص٢٥٣.

2) غزال عبد القادر يحياوى، **علاقة النشاط البدني الرياضي بصورة الجسم وأثرها على تقدير الذات لدى الطلبة الجامعيين**، رسالة ماجستير منشورة، معهد التربية البدنية والرياضية جامعة حسيبة بن بو على الجزائر ٢٠٠٩م، ص١٢.

3) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٩.

حركات شبيهة بالاضطرارية: تتولد نتيجة لأشياء مختلفة قد تكـــون ظاهرة مثل: الضحك عند روية شيء غريب أو نفسية كحركة الدم في الوجه عند الحياء أو حركة هروبه عند الخوف.

حركات مصاحبة لحركات أخرى مقصودة: كحركة الجسم عند المتكلم، والتمشي والعودة عنده أيضًا، ولا يمنع المتعلم من هذه الحركات المصاحبة؛ لأنها ربما تعطى له ثقة ويستمر خلالها في إرسال الحديث وحضور الـــذهن مثال ذلك حينما تقرأ القرآن نجد هناك حركة أثناء القراءة ربما تعطى نـــوع من الطمأنينة للقارئ.

حركات اعتاد عليها الجسم: كتحريك الأرجل عند التفكير أو الهـــرش في الرأس عند التحير، وهذه الحركات وإن كانت اختيارية فالتمرن عليهـــا يجعلها اضطرارية.

ومن هنا يظهر لنا اهتمام العدل البالغ بالجسم ويضع دورلكـــل مـــن التربية بوجه عام، والتدريب والمران بشكل خاص في التحكم في حركـــات جسم الإنسان في المواقف التعليمية المختلفة، ويؤكد هذا قوله: "وكمـــا أن الحركات الاختيارية تصير بكثرة التعود والتمـــرن كالاضـــطرارية، وكـــذلك الاضطرارية تصير بكثرة التمرن اختيارية كبكاء المشخصين فـــي مراحـــل التشخيص، وكالمرآة التي تحث النساء على البكاء (الندابة)[1].

ثانيًا: العقـــل:

لقد ميز الخالق سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل فالنباتات تحرك نفسها ولكنها لا تدرى إلى أين تمضى والحيوانات تدرك إلى أين تمضى ولكنها لا

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص١٠.

تعرف السبب والبشر يدركون ويقفون على علة الأشياء والملّكة التي تؤدى ذلك تسمى "العقل أو الفكر؛ لأننا بواسطتها نتعرف على علل الأشياء وما من قوة حسية تستطيع أن تؤدى هذه الوظيفة فاللسان مثلًا يدلنا على أن البحر مالح ولكنه لا يفسر لنا علة ملوحته، والعقل كذلك يمكننا من إدراك ماهية الأشياء وهو أمر لا تستطيع الحواس القيام بــه ولا ملكــة الخيــال ذاتها"(١)، ومن المعلوم أن الإنسان مخلوق أدبي وقواه العقليــة والأدبيــة لا يمكن نموها إلا بفعل متميز عن الفعل الذي يؤثر فــي بنيتــه أي يجــب أن يكتسب الفرد المعلومات عن طريق التعليم وذلك لتوســيع مداركــه فيقــول العدل: "أن الإنسان مخلوق أدبي.. وقد تقدم لنا غير مــرة إقامــة البرهــان على وجوب أخذ الأبناء بالتربية العملية وبما أن العلوم هي نواميس تضبط حدود العقل وترشد إلى تحسين الأعمال بسهولة" (٢)، وتظهر مكانــه العقــل عند العدل في كونه الوعاء الذي لأبدا أن يكون مملوءًا بالعلم حتــى يهــدى صاحبه إلى سواء السبيل نتيجة لما اكتسبه من العلوم المختلفة.

ولا يخفى على عاقل أن ما يعيشه العالم من صراع ما هو إلا نتيجــة قصور في الفكر وتعصب للرأي وعدم انفتاح على الثقافات والعلوم الأخرى وهذا ما يعانيه المصنع العربي الإسلامي فأصبح "العقــل المســلم والفكــر المسلم حبيس منهج وعلم جزئي وصفي غير قادر في كثير من الحالات على النماء وملاحقة الواقع والمتغيرات في أوضاع النفوس والكائنات والبيئــات المختلفة وتفاعلاتها وحاجاتها وإمكاناتها ومتطلباتها في الزمان والمكان"(٣).

---

١) احمد إبراهيم احمد، **مختارات من الفكر التربوي المعاصر**، ج١، دمياط، مكتبة ناسي، ٢٠٠٨م، ص٩١.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحله حسن أفندي توفيق العدل(١٨٨٧ _ ١٨٩٢م)، **مرجع سابق**، ص١٦١.
٣) عبد الحميد احمد أبو سليمان، **أزمة العقل المسلم**، بحث منشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (د٠ت)، ص٩٢.

وما ذلك إلا بالبعد عن استخدام العقل وطلب العلم والانغلاق الثقافي وعدم الأخذ بأسباب التقدم والازدهار كما ينص على ذلك منهج الإسلام بل يمكن أن نقول: "بين السعادة والشقاء لحظة من لحظات الفكر، وبين الفشل والنجاح لمحة من لمحات التفكير، بين الأقدام والأحجام دفعة من دفعات الإرادة، وبين الوعي والجنون خطفة من خطفات العقل"(١).

اختلاف العقول عند العدل:

قضت الحكمة الإلهية بأن يجعل للإنسان السلطان الأكبر على الأرض وعلى باقي المخلوقات بما وهبه العقل والتدبير، ورغم ذلك نجد أن الناس متفاوتون في عقولهم وتفكيرهم وثقافاتهم وتلك سنة الله الذي رفع الناس درجات فوق بعض، ويشير العدل لذلك فيقول "وجعل العقل في أفراد ذلك النوع مختلف الدرجة بالقوة والضعف فتراه في شخص أزيد منه في آخر"(٢) بل ويتعجب العدل من تقدم الحضارة الغربية متسائلًا هل يوجد لديهم سحر حتى وصلوا إلى هذا التقدم الهائل ولكنه يرجع فيجيب على نفسه "كلا إنما لديهم العقل الذي صرفوه فيما خُلق لأجله وجعلوا له السلطان الأكبر عليهم، وان دانوا له وانقادوا؛ فشملهم بعدله، وغمرهم بهاطل جوده"(٣).

العمليات العقلية عند العدل:

نظرًا لعقلية العدل العلمية واتساع معارفه وتنوع ثقافته نجده يتطرق إلى العمليات العقلية شارحًا لها ومبينًا معانيها ودورها في التنشئة، ولا يقف

---

١) عباس المسيرى، **العقل المتحرر تدريب وتركيز وتأمل**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م، ص٤.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحله حسن افندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص١١٥.
٣) **المرجع السابق**، ص١٤١.

الباحث عند ذكر العمليات العقلية مجرد الناقل بل يتدخل بصلب موضوع البحث وهو الفكر التربوي عند العدل فيقف شارحًا ومستفيدًا بفكر العدل التربوي بعد أكثر من قرن من الزمان ليؤصل لتطبيق معاصر واستفادة جادة من فكر علم من أعلام التربية ونبدأ بـ:

- التفكير: وهو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة، ويذكر أحد الباحثين(١)معناه الواسع فيقول: "أنه عملية عقلية يحاول فيها الفرد الوصول إلى استنتاج ما بناء على أسباب منطقية تبدو واضحة له"، أي عملية عقلية تسير من الأمور المعلومة للوصول إلى النتائج المجهولة.

ويضع العدل شروط للتفكير الجيد فيقول: "هو ما كان سهل الإدراك مأمونًا عليه في الرجوع ثابت لا تذهبه طول المدة مستعد لاستعماله دائمًا يقيل ويجدد كثير من التصورات(٢)، ونعتمد عليه في العملية التعليمية عن طريق عرض التصورات المعلومة أمام التلاميذ ثم نطرح عليهم أسئلة تنمي التفكير لديهم حتى نصل بهم الي النتائج المرادة بفهم ووعي.

حالات التفكير عند العدل:

١. التفكير الألى: وربما نقول عنه أنه التفكير الشائع الذي يحدث حينما يري الشخص شيء مألوف له يتكرر أمامه بشكل مستمر"ويكون بحسب

---

١) خالد بن ناهس محمد، **فاعلية برنامج مقترح لتنمية مهارات التفكير الاستدلالي لدي عينه من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض**، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية_ جامعة الملك سعود، ٢٠٠١م ، ص٨.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق** ، ص١٤.

الارتباط الظاهري للتصورات، وهذا النوع يجدد بواسطة كثرة التكرار لتصورات واضحة قوية، ومثال ذلك الكلمات المفردة، والأسماء، والأعداد فإن تعلم ذلك لا يتطلب إلا انطباع صورتها الألية، وتقوية ارتباط ذلك عن طريق التكرار والإعادة"[١].

ويمكن لنا أن نستخدم هذا النوع من التفكير في العملية التعليمية، وذلك بتعليم الأطفال أسماء الأشياء، والأرقام الحسابية في ربط الاسم بصورة الشيء المراد تعليمه، وذكر الرقم مع كتابته حتى ترتبط الأشياء بمسمياتها لدى المتعلم ويزيد من ذلك الارتباط التكرار، والإعادة، "فالتكرار فيه من البيان الذي يزيد المعاني عمقًا وتجددًا وإيقاعًا فالتكرار في السمع يؤدي إلي بقاء الأثر"[٢]، وربما وضعناها في منظومة شعرية يسهل معها الحفظ والارتباط.

٢. التفكير ألاختراعي (الابتكاري): وهذا النوع من التفكير يسعى في الوصول إليه كل من المعلم خاصة، والمؤسسات التربوية عامة، والغاية منه جعل المتعلم يواجه كل أمور حياته بتصورات، وأفكار جديدة غير مألوفة، وليس مجرد الحفظ، والاستظهار وتكرار الطرق السابقة،والتقليد الذي يضر أكثر مما ينفع في كثير من نواحي الحياة، "ولكن يجب أن يكون التفكير الابتكاري يستند إلى أساس علمي تابعًا لقاموس التماثل أو

---

١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

٢) محمد الأمين خلادي، **الخطاب النبوي وفاعلية البيان والتكرار**، بحث منشور مجلة كلية التربية – جامعة إدرار بالجزائر، العدد(١٧)، ٢٠١٠م، ص٢٨.

٣. التضاد مثلًا أو استخدام وسائط مصطنعة وإشارات لحفظ شيء معين كما هو مبتكر في وضع أسماء كواكب في منظومة شعرية لحفظها مثل:

زُحل مُشترى مريخ معي شمسه فزهــرة لعطــارد الأقمــار"[١].

وتساعد هذه الطريقة في عملية التعلم، وبقاء أثره وتنميــة التفكيــر الابتكاري لدى الأطفال، وخاصة في الإعــداد، والأســماء، والمنظومــات، والمتون وغيرها، ولكن يجب التنبيه على: أن الإفراط في اســتخدام هــذه الطريقة يُخرج العملية التعليمية عن جديتها، ويجعل المتعلم ينظر إلى ذلــك على أنها مجرد العاب وتسلية، وتقل أهمية الموضوعات في نظره، ويُصدِّق ذلك المقولة الشهيرة "أي شيء ذاد عن حده انقلب إلى ضده".

٤. التفكير الحكيم: ويعرفه العدل "بأنه يكــون حســب الارتبــاط البــاطني للتصورات وينظر إلى حكمة الأشياء"[٢] أي أنه لا ينبغي التعلم والحفــظ عن ظهر قلب بدون فهم المعاني، والحكيم هو الذي يضع الشــيء فــي موضعه؛ ولذلك ينبغي مساعدة تفكير المتعلم بعرض كثير من التصورات لتكون له مادة وزاد ينفق منها، ويستدعيها في المواقف المختلفة ويضع كل شيء في مكانه المناسب.

- التــــذكر: وهو القدرة على استرجاع الخبرات السابقة، ولذلك فإن التعليم يعتمد على ما نستطيع تذكره في الوقت الحاضر، كما أن الــتعلم والتــذكر عمليتان يؤدي كل منهما إلى الآخر. "فنحن لا نستطيع أن نتعلم شيئًا دون

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق** ، ص١٤.
٢) المرجع السابق ، ص١٥.

- استعادة ما يرتبط بالموقف التعليمي من خبرات ماضية، كما أن التعلم لا يكتسب معناه إذا لم نكن قادرين على تذكر ما تعلمناه لنستخدمه في مواقف مقبلة"[1].

ويذكر العدل وظيفة التذكر فيقول: أن "التذكر يؤدى ما يؤديه التفكر من تجديد التصورات بدون تغيير في موضوعها، ويزيد عليه بأنه يربط الفكر مع التصورات كأنه يشعر بها في زمن محدد كأن ترى أنساناً كان صاحب لك قديمًا فتتذكر معيشتك وأحوالك التي كانت معه"[2]، وبذلك يربط العدل بين التذكر والتفكر من حيث المهام غير أن التذكر يحدث دمج وعلاقة ترابط بين الفكر والتصورات المراد تذكرها حينما يتعرض الفرد لموقف معين.

ومن الحالات التي يتعرض لها العقل النسيان وهو ضد التذكر ويقول العدل: أنه"لا يوجد نسيان مطلق لدى الإنسان ولكن يحدث لعدة أسباب فكبار السن يحدث لهم النسيان بحكم ضعف ميلهم للأشياء، والشباب يرجع إلى تشتت أفكارهم بكثير من التصورات"[3]، ولذلك يمكن أن نتلاشى النسيان بإزالة أسبابه عن طريق توجيه الشباب إلى أهداف معينة، ومحددة، وخاصة أثناء العملية التعليمية فهي الأولى أن تكون محددة الأهداف، واضحة الملامح، وبالنسبة إلى الكبار فعن طريق زيادة الدافعية نحو الأشياء، وتعليمهم وفق ميولهم واتجاهاتهم.

---

١) مصطفى رجب، **مقال في بوابة الشرق، بعنوان التذكر والنسيان**، منشور بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠م، تاريخ الدخول ٢٠١٥/٥/١٠م، الموقع: www.al_sharq.com

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق** ، ص١٥.

٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

التــخيل: وله أهمية كبيرة في العملية التعليميــة، وخاصـــة فـــي تنميــة التفكير، وتصورات الأشياء، ولذلك حينما يكون الإنسان شغوف بموضــوع مــا نجده يتخيله سواء كان ذلك في اليقظة (أحلام اليقظة) أو فـــي المنـــام (الرؤيــا والأحلام) وعملية التخيل تلعب دورًا محوريًا في التربية، وخاصة في تعليم بعض المواد التي يصعب الانتقال إليها فيقرب المعلم الصورة عن طريق التخيل العلمـــي الذي يتبع الأسلوب المنطقي "حتى لا يمتلئ العقل من خلال التعامل والمحادثـــات اليومية بنظريات مغلوطة وتخيلات عقيمة"[1].

وكلما كان الموضوع ذا أهمية كبيرة للمتعلم، وأستحوذ على تفكيــره ذاد ذلك من تخيلاته، وتصوراته للموضوع، والمعلم النبيه هو الذي يستطيع أن يشغل المتعلم بموضوع درسه وينمى لدية التخيل والتفكير الإبداعي.

ويذكر العدل ثلاث حالات للقوة المخيلة:[2]

1. **التخيل التحضيري: وهو الذي نفصل فيه بعض التصورات عــن مكانهــا وزمانها ونضعها في مكان وزمان آخرين أو نخص المقصود منها عــن غيرها، ونجعل هذه التصورات تحضر، وتستعد دائمًا للفكر، ونضع الكثير منها تحت تعريف واحد.**
2. **التخيل البديعي: وهو أن تشوب تصورات جديدة بين أخــرى مختلطــة، ونضعها في قالب منتظم، ومن أعمالها في هذه الحالة تقويــة مواضــيع الحكايات، ووضع الأقوال الحكيمة في قالب قصصي وخلاف ذلك.**

١)سيتسوارت هاميشر، **سلسلة أبحاث عصر العقل (فلاسفة القرن السابع عشر)**، ترجمة ناظم طحان، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، ص٢١.
٢)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق** ، ص١٥.

٣. التخيل المختلط: وهو الذي يحدث بواسطة التخيل التحضيري والبديعي تصورات مختلفة لها كتخيله حيوانات تتكلم أو أخري عظيمة الجسم كالغول مثلًا.

ويعطى العدل اهتمام كبير لهذه القوة المخيلة للطفل، وكيف يكون لها الدور في توسيع دائرة معارفه فيقول: "ولنعلم أن القوة المخيلة لها أهمية كبرى في تربية عقل الناشئة حيث تجعل الأشياء الغير محسوسة لهم في قالب المشاهدة وعالم الظهور، وتوسع دائرة التصورات، وتساعد المعلمين على طبع صور الأشياء في ذهن المتعلمين حينما نصف لهم شيئًا غريبًا وبعيدًا عن نظرهم بواسطة الكلام أو بعرض صورته"(١).

ويجب التنبيه على أن تكون القوة المخيلة عند تعليمها للأطفال محددة وواضحة؛ لأن القوة المخيلة المطروح لها الزمام تصل بالإنسان إلى غير المطلوب منها لاختلاط الخرافات بالحقائق معًا، وتترك العقل يتيه في طريق الضلال، وهو الذي له السلطان الأكبر علَى الإرادة؛ ولذلك يجب أن ينتبه المعلم عند تعليمه القوة المخيلة عند الأطفال بأن يضبطها ويوضحها لهم، ويكون ذلك عن طريق ألعاب موضوعة للتفكير قصدًا أو عن طريق الحكايات، والقصص، والأمثال مع تعويدهم على التدقيق في تأمل الأشياء من جهة صورها، وتعاريفها، وفوائدها، وعدم الاستناد إلى الخرافات عند التأمل في هذه الأشياء.

- الانتباه: وينحصر في الشعور بالمحسوسات والمتصورات الحاصلة في النفس في مركز واحد، ويقسم العدل الانتباه إلي "اضطراري و اختياري"

---

١) المرجع السابق، ص١٦.

فالاضطراري: يوجد بالفطرة في الطفل ويختلف قوةً وضعفًا بحسب اختلاف المؤثرات من القوة، والطول، والمدة، والكثرة أو الندرة أو اليقظة أو السرعة إلى غير ذلك.

والاختياري: وهو مرتبط بالإرادة، ويلزم بعثه في الأطفال بواسطة التعلم، والمقصود به ترقب الإنسان لأحوال نفسه، وهو لابد منه، ويكون ذلك بعد حصول الإنسان على درجة عالية من الآداب؛ لأنه يلجم الهوى، ويحفظ من الشهوات ويكمل النفس.

ولتنمية الانتباه عند الأطفال: في المرحلة الابتدائية لا ينظر إلا إلى الانتباه الاضطراري الفطري عند الطفل، ولذلك يلزم أن يجتنب المعلم ما يشتت به أفكار الأطفال أو يصل بهم إلى حد التساوي في الانتباه، وهو أن يشعر بعدم الاكتراث من آثار الأشياء كالطفل الذي تشتت فكره فتساوى لديه التعليم وعدمه، "ولتنمية الانتباه لابد أن تكون الأشياء المعروفة عليه مفردة، ووحيدة على قدر الإمكان، وأن تكون غير معلومة لهم مع تطبيقها وربطها بما يعلمونه، وأن تُعرض عليهم التصورات قوية وليس في آن واحد، وأن يكون التعليم جاذبًا لسرورهم، ومحركًا لإرادتهم، وجالبًا لشغفهم"(١).

---

١) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العلمية، **مرجع سابق**، ص١٩.

ثالثًا: النفس:

جاءت نظرة الإسلام للنفس علي أنها المكنون الذي به تكون سر الحياة، فجاءت العديد من الآيات تذكر النفس وبعدها مباشرة حرمة التعدي عليها ومنعها من الحياة التي وهبها الله أمثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥١]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٣]

وعرض الإسلام للنفس البشرية ثلاث حالات ذكرت في القرآن وهي النفس الأمارة بالسوء، وهي التي تتبع الشهوات، والنفس اللوامة التي تلوم صاحبها علي أفعال الزلل والمعاصي، والنفس المطمئنة وهي التي وصلت إلي أعلي درجات الإيمان، ولذلك ربط الإسلام بين النفس والجسم فلا توجد نفس بدون جسد صالح لبقائها ولا يوجد جسد بدون نفس تحركه.

وينطلق مفهوم النفس عند العدل من وجهة النظر الإسلامية التي تربط بين النفس والجسد فجعل كل منهما يوثر في الآخر وقال: إن سلامة النفس متوقفة على سلامة الجسم والعكس، وضرب مثالًا علي ذلك وقال: "العقل الحكيم في الجسم السليم"(١)، فلا تكاد ترى من ضعفاء الجسم قوة النفس وإضاءة العقل ودوام العمل ويشير إلى أنه من انصاع إلى الثبات والسكون وأجاب داعي الكسل والخمول عاش حليف الأمراض لا يفرح بوجوده ولا يجد لذة لحياته فإن لذة الحياة كما قيل هي ثمرة العمل(٢).

---

١) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق** ، ص٧.
٢)**المرجع السابق**، ص٧.

علاقة النفس بالجسم: قد فطن إليها الإنسان منذ القدم وربط بين أعضاء جسمه وبين مشاعره وانفعالاته وأفكاره، ونرى مثالًا واضحًا لذلك في الرابط القوي بين حالات الذهن وحالات القلب فيما يذكره الطبيب الأمريكي هوارد قائلًا: "إن من يعاني خيبة الأمل يقول كسر قلبي، ومن يفرح يقول كاد قلبي يقفز من بين ضلوعي ومن يشعر بالفرح يقول كاد قلبي يقع في رجلي، ويقول أحدهم للآخر قلبي معك دلالة علي التعاطف أو يهب قلبه لمن يحب"(١).

الفرق بين النفس والجسم عند العدل:

فرَّق العدل بين النفس والجسم فيقول: "أن الحركات الظاهرة سببها الجسم بينما الحركات الباطنة سببها النفس، ولذلك نجد أن النفس مغايرة للجسم ورغم ذلك فهي ترتبط به حيث نجدها تصف أحواله كالقوة، والضعف، والصحة، والمرض وكذلك الجسم أيضًا مرتبط بها، ويصف أحوالها أيضًا كالفرح، والحزن، وخلافهما"(٢)، وإذا أردنا أن نطبق ذلك التقسيم على التربية نجد أننا بحاجة إلى التوازن بين الجسم والنفس من قبل المعلم مع تلاميذه، والمناهج الدراسية، والتعامل مع المتعلم بجميع جوانبه النفسية، والجسمية، والعقلية، وتجنب الطرق التقليدية التي تعمل على صب المعلومات للمتعلم دون النظر إلى سماته الشخصية، والعقلية،والجسمية، حتى أصبح التعليم في نظر الكثير لا جدوى منه.

---

١)كريم زكي حسام الدين، **الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل**، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٠م، ص١٤٦.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**،ص٨.

ويجمع العدل أحيانًا بين الروح والنفس ويحذر مـن إصـابة الـنفس بالاضطرابات التي تؤثر علي الصحة صراعًا بين غرائز الإنسان من ناحيـة ومعايير المجتمع من ناحية أخري كما أثبتت ذلك بعض الدراسات النفسية[١] فيقولون: "إن الفرد يعاني صراعًا عصبيًا بين نوازعه وغرائزه من ناحيـة ومعايير المجتمع من ناحية أخري، ربما أن الفرد عاجز عن مواجهة هـذا الصراع الشديد داخله وغير قادر على فضه".

وهذا ما يشير إليه العدل من تأثير الاضطرابات النفسية علـى الفـرد وخاصة المرأة الحامل فيقول: "ليس اعتناء الحامل بجسمها بأقل اعتبارًا من اعتنائها بروحها وإحساساتها النفسية فالنفس المضطربة تحدث اضطرابًا في نفس الجنين ولذلك يحسن بالحامل أن تبتعد عـن الاضـطرابات النفسـية كالغضب والخوف والفزع والغيرة والفرح والحزن الشديد وغير ذلـك ممـا يؤثر علي الأعصاب ويغير صفاء الدم"[٢].

وبذلك يحذر العدل من خطورة تلك الاضطرابات التـي تغيـر الحالـة النفسية للفرد، ويشير العدل علي الأم الحامل حينما تواجه هذه الاضطرابات التي تؤدي إلي أمراض جسمية ونفسية معاً، وتشير إحدى الدراسات[٣] إلـى أنه حينما لا يستطيع الفرد صرف التوتر "بطريقة ايجابية فإنه يعـود إلـي الشخص نفسه مما يؤدي في النهاية إلي تغيرات عضـوية فـي الأنسـجة وأجهزة الجسم ووظائفه وبهذا تنشـأ الأمـراض النفسجسـمية المسـماة بالاضطرابات السيكوسوماتية".

---

١) دراسة حنان عبد اللطيف عبد الله، **بعض الاضطرابات النفسية لدي طلبة ذوي صعوبات التعلم في مدارس التعليم الأساسي**، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب – جامعة نزوي عمان، ٢٠١١م، ص ٦٢.

٢) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**، ص ١٣.

٣) دراسة أمل سليمان تركي، **أساليب مواجهة الضغوط عند الصحيحات والمصابات بالاضطرابات النفسجسمية "السيكوسوماتية" دراسة مقارنة**، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية – جامعة الملك سعود، ٢٠٠٤م، ص٥٠.

فيقول "ولهذا يجب أن تكون للحامل إرادة صارمة وحكم قوي علي نفسها فتأخذها بالتفريج والتفريح ولا تتبع أهواءها ولتتقي الله وتتوكل عليه في جميع أمورها ولتعلم أن انفعالاتها النفسية أشد سريانًا إلي الجنين من غذائه الذي يسري له"(١)، وهكذا يضع العدل الحلول المناسبة لتغلب الأم الحامل علي انفعالاتها والاضطرابات النفسية التي تحدث لها حتى لا يتأثر الجنين بهذه الانفعالات، وحتى لا يواجه الفرد هذه الاضطرابات "يأخذ عهدًا على نفسه بأن لا يترك أحد يتحكم في حياته، وأن يمسك بزمام الأمور، وأعلم أنك وحدك تختار الطريقة التي تمارس بها حياتك"(٢)، وما حياة الإنسان إلا من صنع أفكاره سعادة وشقاء.

رابعًا: الجبر والاختيار:

من المسائل المحيرة للعقول مسألة الجبر والاختيار هل الإنسان مخير أم مسير فإذا كان الإنسان مخير فإنه لم يختر نفسه ولا من يكون أبيه وأمه ولم يختر البيئة التي ولد فيها ولا الدين الذي تربي عليه منذ الصغر. أما إذا كان الإنسان مسير ومجبر علي أفعاله فكيف يحاسبه الله علي عمل ليس للإنسان أي اختيار فيه وهو يقول ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف: الآية ٤٩] **وهذه الإشكالية العقلية حيرت الكثير من العلماء والفلاسفة وأدت إلي ظهور المذاهب المختلفة في صدر الإسلام وهي "الجبرية، والقدرية، والمعتزلة، والأشاعرة"(٣).**

١) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**، ص ١٤.
٢) إبراهيم الفقي، **الثقة والاعتزاز**، القاهرة، مكتبة فري، ٢٠٠٧م، ص ٦.
٣) محمد يوسف موسي، **القرآن والفلسفة**، ط ٤، دار المعارف، ١٩٥٨م، ص ١١٧.

فالله جل وعلي هو الذي خلق هذا الكون في نظام دقيق بديع تسير فيه النجوم والكواكب ويتعاقب الليل والنهار وكل يجري لمستقر له دون حدوث خلل يؤدي إلي تعطيل هذه النواميس الكونية والإبداعات الربانية، والله خلق الإنسان وكرمه وفضله علي كثير من المخلوقات وجعله خليفة في الأرض وخيره في أعماله وإتباعه طريق الخير أو الشر وهذا ما أدي بالعلماء إلي الاختلاف.

فريق يرى أن الإنسان مجبر في أعماله وليس له دخل ولا إرادة فيما يفعل إنما كتبت عليه أزلًا وهي تصدر عن إرادة الله دون تدخل الإنسان فيها وقال ذلك الجهم بن صفوان فقال "فالإنسان مجبر في أفعاله فلا قدرة لديه ولا اختيار وأن الله هو الذي قدر عليه أفعاله"[1]، وإذا كان الله قدر عليه أفعاله نعم، فإن الله علم بعلمه الأزلي أنه سوف يكون ما نختار فإرادته وفق علمه فكان ما أراد الله.

بينما يري فريق أخر أن الإنسان يقدر أعمال نفسه بعمله، ويوجدها بقدرته، ولا دخل لإرادة الله وقدرته في وجودها فهم ينادون "بسلطة الإنسان على جميع أفعاله، واستقلاله المطلق، فالإنسان مخير وله حرية الإرادة وهؤلاء سموا القدرية"[2].

بينما فريق ثالث يرى أن الإنسان مجبر أحيانًا ومخير أخري أي أنه ليس مجبرًا إجبارًا تامًا ولا حرًا مطلقًا وهذه نظرة أغلب علماء المسلمين وهي نظرة أكثر واقعية وشمولية فالإنسان حر ومجبر في نفس الوقت؛ "فهو مسير فيما رزقه الله من مواهب وإمكانيات ومال وبنين وصحة، ومن حياة وموت، وهو

١) محمد علي أبو ريان، **تاريخ الفكر الفلسفي**، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٤م، ص ١٤٦.
٢) عصام عطية عبد الفتاح، **مرجع سابق**، ص ٧٤.

مخير في أن يسلك أي طريق يختار في حياته"[1]، وهذه النظرية هي أقرب للتصديق وللعقل بل هي نظرية شمولية الإسلام وتكامله الذي جاء ليحرر العباد من رق العبودية إلي حرية الإسلام وكفل حرية الاعتقاد في قوله:﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: الآية ٦] وحرية الإنسان فيما يصنع ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⁽١٠⁾﴾ [سورة البلد: الآية ١٠]، ولكن هناك من الأشياء ما يعجز الإنسان عن معرفته أو الإلمام بأسبابه نظرًا لأن قدراته محدودة بينما قدرات الله تعالي غير محدودة، "وهنا يدرك الإنسان أنه مسير مع أن الحقيقة أن هناك تكاملًا بين الحرية والحتمية، فالحتمية تنظيم للحرية وتهذيب لها، وهكذا يتضح لنا أن الفكر الإسلامي هو الفكر الوحيد الذي وضع الإنسان في مكانه الصحيح"[2].

وإذا بحثنا عن موقف العدل بين هذه الآراء فنجد أنه تبنى وجهة النظر المنبثقة من مبادئ الإسلام فيقول: "إلا أنه لا يزال في حاجة إلي تقويم إرادته، وهديها إلي سبيل الخير فإنها وإن كانت حرة يبدو أن اختيارها واسع جامع وكثير وسبل مختلفة يصل بعضها للخير وبعضها للشر علي أن الإرادة لا تزال أيضًا غرضًا للنفس فتغالطها في اختيارها وتريها الحسن قبيحًا والقبيح حسن"[3].

وفي ضوء ما سبق يمكن القول أن الشيخ حسن توفيق وقف موقفًا وسطًا في قضية الجبر والاختيار فالإنسان يعيش بين الجبر والاختيار؛ لأننا قد أوتينا جانبًا محدودًا من الاختيار والحرية للتمتع بها إلى حد مناسب.

---

١) عبد الغني النوري وعبد الغني عبود، **نحو فلسفة عربية للتربية**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٦م، ص١٠٥.
٢) محمد منير الغضبان، **من معين التربية الإسلامية**، الكويت، دار الأرقم، ١٩٨٠م، ص٢٥.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، **مرجع سابق**، ص ٧٥.

طبيعة الكون عند العدل:

يصور لنا القرآن الكريم الكون على أنه جملة من المشاهدات المخلوقة أبدعها الله ﷻ في انتظام، وتناسق لتحقيق أغراضه وهي أن يتدبر الإنسان الكون، ويتأمل مدى دقته وتناسق نواحيه وأجزائه، ليتوصل من ذلك إلى الإيمان بالله بما يشمله من مفهوم واسع لمعني الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر وغيرها مستعملاً الإنسان عقله في التدبر والتفكر في مخلوقات الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦٤]

وهناك الكثير من الآيات التي تدعو الإنسان إلي التدبر والتفكر في هذا الكون حتى يصل الإنسان إلي ربه بطبيعته وبقدراته التي أودعها الله فيه حتى لو ترك طفلاً في مكان منعزل حتى يكبر فسوف يستطيع بعقله وإمكاناته التي أودعها الله فيه التوصل إلي معني الإلوهية ويشير العدل إلي ذلك فيقول: "إن التعرف علي الإلوهية لا يحتاج إلي مرشد خارجي بل هو حاصل بالفطرة والطبيعة وذلك أننا لو تركنا طفلًا صغيرًا في بيداء مثلًا وفرضنا بقاءه ونموه حتى يكبر وينشأ فبحكمه ما وضعه الله فيه من العقل والفكر لا محالة يعمل أفكاره بالطبع في تعرف الفرق بينه وبين الكون الذي

أحاط به من الأشجار والمياه والحيوانات والسماء والكواكب إلي غير ذلك"[1]، من التدبر في الكون المحيط به، ويدرك منه ما يتسع لـــه إدراكـــه وعلمه ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: الآيـة ١٩٠] ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة آل عمران: الآيـة ١٩١] وهذا ما يذكره العدل فيقول "ثم إذا عرف الفرق يأخذ في التفكـــر فـــي معرفة السبب حتى تشرق عليه معني الإلوهية لاسيما إذا عزز ذلك شعوره بأنه من ذلك قياسًا ينتج منه وجود صانع قادر قد خلق هذا الكون ويراه"[2]، بل أنه يدرك أن كل ما في الكون مسخر لخدمته ومصلحته تمكينًا لـــه فـــي الأرض ليجد علي قدر تفكيره واطلاعه دواء لمصائبه وحلًا لمشكلاته وفائدة لحياته ومن ثمَّ علي الإنسان أن يقبل علي الكون تفهمًا له واســتفادة منـــه وأن كل ما في الكون مسخر له ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٩] وهذا هـــو المعنـــي الأول لطبيعة الكون وإدراك الإلوهية عند العدل.

أما المعني الثاني عنده فيقول فيه: "أن مدلول الإلوهية صعب الإدراك وأن فكر الإنسان قاصر عن التعرف به، تعلم اختلاف الأمم السابقة في إدراكها فمنهم من جعل مدلوله الشمس ومنهم الأصـــنام ومـــنهم النـــار وغيـــرهم حيوانـــات مخصوصة إلي غير ذلك"[3] من الشتات الفكري والهرج العقائدي السائد رغم

١) حسن توفيق العدل، البيولوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص ٤٧.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق** ، ص ٤٨.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق** ، ص٤٧.

التطور الكبير في وسائل المعرفة والاتصال فالمسلمون بحق هم أول من جمع بين حرية الفكر واستقامة الدين، وأنه يقوم "أساسًا علي التوحيد وسيادة الإنسان للكون تحت حكم الله وفيه تترابط كل القيم وتتكامل ولا يتجزأ وفق نظرة الشمول التي تشمل طابع الروح وطابع المادة فهو مزيج بين الروح والمادة، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة"(١).

ويفرق العدل بين معرفة الإنسان بفطرته إلي وجود إله لهذا الكون لابد أن يخضع له بالقيادة والخضوع، وكانت للأمم السابقة تتنوع بمعبوداتها التي يقدمون إليها الشعائر والطقوس الدينين علي مر العصور قبل الإسلام،ولكن تعيين الإله الحق الذي خلق الإنسان فأبدعه والكون فنظمه يحتاج إلي إرشاد وهداية فكانت الرسل لهداية الناس من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد.

فيقول "فإذًا ينتج أن تعرف الإلوهية لا يحتاج إلي مرشد خارجي وأنه حاصل من الإنسان بالفطرة وأن تعيين المعبود الحق جل شأنه هو المحتاج لا محالة إلي الإرشاد ولم يكن ذلك إلا بهدايته سبحانه علي لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ليتمموا معرفة الإنسان به عز وجل فيهتدوا بهديه وينتهوا بنهيه"(٢)،

ويتضح لنا من خلال النظرة السابقة أن طبيعة الكون عند العدل هي التي يستطيع الإنسان من خلالها التوصل إلي الإيمان بالله عن طريق التأمل

---

١) حمد بن صادق، **اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري**، الرياض، عالم الكتب، ج١، ١٩٩٤م، ص ٧.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق** ، ص ٤٧.

والتفكر في المشاهدات الكونية المختلفة. فكان الكون ومازال مسرحًا لتأملات الإنسان وتساؤلاته كما كان ولازال مجالًا لبحث الإنسان وحب استطلاعه، وقد تنوعت الحضارات في فهم الكون ومظاهرة، ولهذا اختلفت المذاهب والفلسفات وتباينت الأمم والمجتمعات في فهمها للكون وتصوراته.

"وللإسلام تصور واضح عرضه القرآن الكريم في العديد من الآيات التي تدور حول الكون ومظاهره، وتعطي في جملتها صورة رائعة لهذا الكون الذي جعله مسرحًا للإنسان ومجالًا لنشاطه وتفكيره"(١)، ويشمل الكون "كل العوالم سواء منها ما كان عالمًا مشهودًا في العيان معروفًا للإنسان من خلال الحواس والمدركات، أو ما كان عالمًا مغيبًا لا تدركه الحواس، ولا تحيط به وسائل الإدراك العادية"(٢) ويسمى عالم الغيب الذي اختص الله سبحانه وتعالي بعلمه وحده.

أما إذا أراد الإنسان أن يتعرف علي طبيعة هذا الكون ويقف علي حكمة وجودة فلا سبيل له بذلك إلا بالعلم الذي أمر الله به وهو "جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء، ويشمل الكون هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير ذي حياة"(٣).

ولقد وعى العدل أهمية العلم ودور التربية في تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة فذكر الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار المروية عن علماء الأمة، والتي تحث الإنسان علي طلب العلم والأخذ بوسائل

---

١) عبد الحكيم قاسم، **الايديولوجية والتربية بين المسيحية والإسلام**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م، ص ١٣.
٢) أحمد محمد جمال، **محاضرات في الثقافة الإسلامية**، ط ٣،القاهرة، دار الشعب، ١٩٧٥م، ٧١.
٣) عباس محمود العقاد، **التفكير فريضة إسلامية**، ط٢، بيروت، دار الكتاب، ١٩٦٩م، ص ٧٤.

التربية الحديثة وتبين أهمية المعرفة ومكانة العلماء عند الله ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١] وأخذ العدل علي عاتقه علم التربية بالبحث والجد والاجتهاد للوقوف علي طرق التربية الحديثة للنهوض بأبناء وطنه ومجتمعه الذي يريد له التقدم والازدهار أمثال الأمم الغربية ولكن بالأصول الشرقية والأخلاق الإسلامية.

البناء الأخلاقي للمجتمع عند العدل:

يري العدل أنه لا يقوم مجتمع أخلاقي بأحد وسائل التقدم الحضاري إلا إذا توافرت فيه ثمانية فضائل هي:

- مخافة الله: "وهي الشعور بالقرب المعزز بالخشية من الذات العليا يبعثنا ذلك الشعور إلي فعل المأمور به وترك المنهي عنه في الاجتماع والعزلة وإلي التسلي والرضاء عند وقوع البلاء"(١)، "ومن أجل إقامة هذا المجتمع بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله أو الخضوع له"(٢) فمخافة الله هي سبب سعادة المجتمع وإقامة العدل به.
- الطاعة: وهي أساس كل الفضائل والمحور الوحيد الذي تدور عليه دائرة التربية وأن سبب الطاعة للغير لا يخرج عن ثلاث حالات:

الأول: "الخوف من صرامة المطاع، الثاني: محبة المطاع والتقرب إليه، الثالث: إحترام قانون سام"(٣)، ومعني ذلك في التربية أن يكون المعلم صارم الإرادة نافذ الحكم حتى يخشاه طلابه، ويكون لطيف الجانب حليمًا صبورًا عادلًا حتى يمتثل إليه طلابه بالطاعة، بالإضافة إلي ذلك كونه يعمل

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ١٣١.
٢) سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، بيروت، دار الشروق، ١٩٧٤م، ص ٣٧.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج٢، **مرجع سابق**، ص١٣٢.

وفق القوانين واللوائح المدرسية.

- **سلامة الذمة: وهي خلق باعث لإتباع الحق وترك الظلم ومصدرها "الخشية من النواميس الإلهية فمن خاف الله وأتمر بأمره وانتهي بنهيه غلبت عليه سلامة الذمة وخلوص القلب، وصفاء السريرة"(١).**
- **الألفة: وهي ميل الإنسان إلي نوعه ميلًا قلبيًا وظاهريًا ولا تختص هذه الألفة بأصحاب الإنسان ورفاقه بل تعمم جميع الناس قال (صلى الله عليه وسلم) "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(٢).**
- **الصدق: وهو مطابقة الخبر للواقع وما أحوج وجوده داخل المجتمع بل ربما تجتمع صفات زميمة في المؤمن مثل الشح، والبخل، ولكن لا يكون المؤمن كذابًا وهي أيضًا من علامات النفاق الاجتماعي ولا يخفى على أحد أضراره.**
- **الحياء: "وهو انقباض النفس من فعل شيء أو تركه حذرًا من اللوم عليه وهو مطلوب عادة وأدبًا وشرعًا وعقلًا وقال (صلى الله عليه وسلم): "الحياء شعبة من الإيمان"(٣).**
- **الحشمة: وهو خلق يجعل الإنسان مقبول الحركات والسكنات والأقوال والأفعال ويدخل فيه حسن الخلق ويكون أثرها في المجتمع في المشي والقيام والقعود والكلام والمقابلة وإلقاء السلام ورده، والحشمة في المجالسة والاستماع(٤).**

---

١) **المرجع السابق**، ص ١٣٣.
٢) راجع الأدب **المفرد للبخاري**، ج١، (٢٧٣) ص ٤١٧، وذكره مالك في الموطأ بلاغاً.
٣) حسن توفيق العدل، **البيداجوجيا العلمية**، ج٢، مرجع سابق، ص ١٣٥. صحيح البخاري، ج١،(٩) ص ٣٩.
٤) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج٢، **مرجع سابق** ، ص ١٣٦.

- **التعاون: وهو من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الإسلام فقال تعالى:** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢]، **ويعرفها العدل بأنها "صفة تبعث الإنسان إلي مساعدة أبناء جنسه وإلي الاتحاد معهم قولًا وفعلًا للحصول علي المنفعة العامة"[١]، والمكون من مجموعة أفراد لكل واحد منهم دور يقوم به في حياة المجتمع المكون من مجموعة، وبذلك تتضح نظرة العدل لبناء المجتمع وبالتربية والعمل يتحقق التقدم والرقي "وخاصة إذا كان مجتمع متعاون لمصلحة الجماعة يقوم على رعاية الضعفاء والعناية بالفقراء وتوفير أقواتهم"[٢].**

الخلاصة: من خلال مطالعة الباحث لمؤلفات العدل يتضح له بأن نظرته للكون لا تختلف عن النظرة الإسلامية للكون والتي يقررها القرآن عن الكون في أنه مسخر للإنسان يستفيد منه بمقدار ما يستخدم عقله ويتأمل ظواهره، ويستثمر إمكاناته ليفيد نفسه ومجتمعه وذكر العدل العديد من الآيات القرآنية التي تحث على ذلك "والتي اتخذت من مشاهد الكون المنظور ومشاهد الآخرة دلائل على وجود الله"[٣].

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ١٣٧.
٢) حسن عبد العال، **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ص٥١.
٣) حامد صادق قنيبي، **الكون والإنسان في التصور الإسلامي**، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٨٠م، ص ١٣.

المعرفة عند العدل:

أولًا: ماهية المعرفة:

المعرفة غاية في حد ذاتها كما يمكن أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف أخري، ومن أهم ما تمتاز به المعرفة الإنسانية أنها مكتسبة وقابلة للنمو وقد أشار إلي ذلك الحق سبحانه وتعالي بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ٧٨]

وقد أحتلت المعرفة أهمية عظمى في التربية منذ أقدم الأزمان واختلف في تحديد مصادرها بدقة إلي أن جاءت التربية الإسلامية مبينة لأهم تلك المصادر ولدور كل منها في كثير من آيات القرآن الكريم، ورغم عصر الانفجار المعرفي الذي نعيشه وتزايد حجم المعرفة والاتساع في دائرة التخصصات، وبما أن من "وظائف التربية نقل المعرفة بعد غربلتها وانتقاء الصالح من عناصرها فإنها مضطرة إزاء هذا الانفجار المعرفي أن تغير من نظمها وأساليبها وطرائقها بشكل يتلاءم مع هذه الطبيعة المتنامية للمعرفة في العصر الحديث، ومن هنا لم تعد التربية تهدف إلي نقل كل المعارف للطلاب وإنما تعدي ذلك إلي إكسابهم القدرات العقلية التي تساعدهم علي التفكير في مواقف الحياة المختلفة"(١).

وتعد نظرية المعرفة مفتاحًا أساسيًا لفهم التربية وعملية التعلم فالتربية جهد علمي منظم وموجه بنظرية محددة في المعرفة ورغم الاعتراف بأهمية النظريات الأخرى مثل الطبيعة الإنسانية والقيم وغيرها إلا أن كل ذلك لا يتضح إلا بوضع نظرية محددة في المعرفة تنطلق منها ثم

---

١) عبد المنعم عبد المنعم نافع، **المعرفة ومضامينها التربوية دراسة تحليلية في ضوء القرآن والسنة**، رسالة دكتوراه غير منشوره، كلية التربية – جامعة الزقازيق، ١٩٩١م، ص ٢.

تمتد إلي سائر الميادين الأخرى، فالمعرفة لم تكن الغرض من التربية بل هي الوسيلة التي لا غني عنها للتربية أو كما يسميها العدل وسيلة التربية.

وهذا ما كان يعمل به العدل نفسه فيتفقد كل العلوم والسلوكيات التي تناقض الشرع فانتقد الزواج في ألمانيا لارتباط الشباب بالفتيات قبل الزواج ووصولهم إلي الانتحار نتيجة العشق والهيام إذا لم يتم الارتباط فيقول: "فتري الجرائد أحيانًا ممتلئة بذكر أسماء الشباب والبنات الذين خاطروا بأنفسهم أي انتحروا نتيجة عدم الزواج بحبيبته نعوذ بالله من تلك الفعلة التي هي في الحقيقة حطه في التمدن الإنساني"[1]، وكذلك كانت المعرفة عند العدل لابد أن تحقق مصلحة ليس للمسلمين فقط ولكن تقدم إفادة للبشرية بأكملها فحينما يؤلف العدل كتابًا أو يترجمه من اللغة الألمانية إلي العربية يريد به نفعًا عامًا فيقول: "الحرص علي تعميم الفوائد...خدمة للإنسانية وهدية للوطنية"[2].

مما سبق يتضح لنا أن العدل يرى أننا لابد وأن نبحث عن المعرفة المستمدة من الكتاب والسنة، كما أن ذلك لا يعارض أن نبحث عن المعرفة التي تجلب المنفعة للإنسان ومجتمعه ووطنه، ويظل يبحث الإنسان عن المعارف أينما وجدت مستغلًا إمكاناته التي أودعها الله إياه في حدود قدرته ووفق معايير مجتمعه.

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحله حسن أفندي توفيق العدل (١٨٨٧- ١٨٩٢م)، **مرجع سابق** ص ٣٢٠

٢) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص ٥.

ثانيًا: حدود المعرفة:

إن معرفة الإنسان مهما بذل من مجهودات ومهما أدرك من غايات هي معرفة محدودة، ورغم الانفجار المعرفي، والثورة المعلوماتية يعجز الإنسان إلي إدراك هذا الكون، ونجد العدل يدعو إلي البحث عن المعرفة أينما وجدت وخير شاهد رحلاته التي قام بها بل صاحب القول الشهير "اللي يعيش ياما يشوف واللي بيمشي يشوف أكتر"[1]، وبذلك يؤكد العدل على الآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [سورة المُلك: الآية ١٥] فالمعرفة عند العدل مكتسبه عن طريق البحث والتأمل في الكون بالعقل الذي وهبه الله للإنسان وميزه به عن المخلوقات الأخرى فيقول: "غير خاف أن للإنسان خلافة العالم والنوع الذي ساد جميع الأنواع بما أودعه الحكيم جل شأنه من العقل الذي دار عليه أمر الانتظام فيستخدمه"[2]، ولولا هذا العقل لأصبح الإنسان في مرتبة أقل من الحيوانات كما يشر لذلك فيقول: "لولاه لكان الإنسان منحط بدرجة عن باقي الحيوانات كما قيل لولا العقول لكان أدني ضيغم[3] أدني إلي شرفٍ من الإنسان"[4].

ورغم أن المعرفة مكتسبة عند العدل فلا ينافي كونها فطرية أيضًا، فالله هو الذي جعل للإنسان عقلًا يفكر به في مخلوقات وبه يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة كما يقول العدل: "صديقي هو العقل ولو أطعتموه كما

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن افندي توفيق العدل (١٨٨٧- ١٨٩٢م)، **مرجع سابق** ص ٥٩.
٢) حسن توفيق العدل، سياسة الفحول في تثقيف العقول، **مرجع سابق**، ص ٩.
٣) في لسان العرب: كل ما يعض، ولذلك سمى الأسد ضيغماً.
٤) حسن توفيق العدل، سياسة الفحول في تثقيف العقول، **مرجع سابق**، ص١٠.

ضمنتم لسعدتم ورشدتم، ونلتم منا لكم في أولاكم وأخراكم"[1]، وجاءت العديد من الآيات القرآنية تحث علي استخدام العقل في التأمل، والتفكر، والتدبر.

ومن خلال التأمل في مؤلفات العدل نجد أن حدود المعرفة عنده لا تتجاوز حدود المعرفة الإسلامية في كونها فطرية، ومكتسبه. منها ما يدرك بالحواس والتفكر وأعمال العقل ومنها ما لا يتوصل إليها الإنسان ولا يهتدي إليها عن طريق عقله فأرسل الله الرسل لهدايته حتى يتوصل إلي معرفة مراد الله منه معرفة لا تقتضي الجهالة حتى يتوصل بمعرفته إلي سعادة الدارين.

ويشير العدل إلي ذلك بقوله "اقتضت حكمة الله سبحانه أن يقيض لهم من يختار من كامليهم وإشرافهم ليبلغوهم أوامره ونواهيه تعالي مبينين لهم طريقة الهدي سالكين بهم مجازًا يحمدون مغبته أولئك هم الرسل عليهم الصلاة والسلام قد اطلعوا الناس على الطريق الواضح آمرين بمكارم الأخلاق ناهين عن دنيهم"[2].

وإذا نظرنا إلي المعرفة عند العدل نجدها ليست لها حدود إلا كما حددتها الشريعة الإسلامية، وما جاء به الرسل الكرام فلا تقتصر علي الحواس بل تتعدي إلي السمعيات والغيبيات والحياة الدنيا وحياة البرزخ وحياة الآخرة كل ذلك منابع للمعرفة عنده، ولا عجب في ذلك فهو بن الأزهر الذي تربي علي مائدة القرآن ونهل من علومه، وحصل فيه علي أربع إجازات، ولذلك وجدنا المعرفة عنده شاملة متكاملة بشمولية وكمالية الإسلام.

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل (١٨٨٧- ١٨٩٢م)،**مرجع سابق** ص ١٤١.
٢) حسن توفيق العدل، سياسة الفحول في تثقيف العقول، **مرجع سابق**، ص ١٢.

ثالثًا: مصادر المعرفة ووسائلها:

من خلال مراجعة مؤلفات العدل نجد المعرفة عنده تستمد من مصادر التشريع الإسلامي المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية ويجب الالتزام بهما دون تفريط أو تقصير، أما المصدر الثاني فهو اجتهاد المسلمين من أولي العلم فقهاء ومحدثين وتربويين وهذا المصدر "قابل للانتقاء والاختيار منه إذا أدي الانتقاء والاختيار إلي التوافق مع نص شرعي أو أدي إلي تحقيق مصلحة المسلمين"[(١)]،

وذهب فريق إلي أن العقل هو المصدر الوحيد لاكتساب المعرفة، وهم العقليون "وقد أنكروا الحواس بحجة أنها تمد الإنسان بمعلومات خاطئة"[(٢)] علماً بأن الخطأ يكمن في إلغاء ما ندركه بالحواس فهي مصدر من أهم مصادر المعرفة فأننا نري ماء البحر ولا نستطيع أن نحكم علي ماءه بأنه مالح إلا عن طريق حاسة التذوق، وهكذا في التوصل إلي المعارف المختلفة عن طريق الحواس الأخرى.

ويرى فريق أخر أن "الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة،وأن من فقد حاسة فقد من العلم بما يقابلها من محسوسات،وأن العقل صفحة بيضاء تخط عليها التجارب الحسية ما تشاء من السطور"[(٣)]، واعتنائهم بالحواس وإهمالهم العقل الذي ميز الله به الإنسان يعد خللاً واضحاً في الفكر، فلا

١) عبد البديع عبد العزيز عمر، **الفكر التربوي في الأندلس (٤٠٣- ٤٧٨هـ)**، القاهرة دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٥م، ص ١٤.
٢) زكي نجيب محمود، **نظرية المعرفة**، القاهرة، وزارة الإرشاد القومي، ١٩٥٦م، ص ٦٣.
٣) محمد علي أبو ريان، **مسالك المعرفة**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م، ص ١٩٩.

يوجد أي عمل يقوم به الإنسان في حياته اليومية إلا ويكـــون للعقـــل دور في ذلك فهو النشاط العقلي الموجه للفعل أو العدم.

أما إذا نظرنا إلى وسائل المعرفة عند العدل فنجده يجمع بـــين العقـــل والحواس كوسائل للمعرفة، وهي النظرة التي تتفق مع النظـــرة الإســـلامية للمعرفة ويمكن أن نحدد وسائل المعرفة عند العدل في النقاط التالية:

الحواس الخمس:

وهي الوسيلة الأساسية للمعرفة حتى أن بعضـــهم عـــدها الوســـيلة الوحيدة لذلك، واهتم العدل اهتمامًا بالغًا بها، فهي قنوات إدخال المعرفة التي تتصل بالإحساس لدى المتعلم، وفى أثناء عملية البحث عن المعرفة لابد وأن تتوافر كل وسائل الراحة المتاحة لتلك الحواس حتى لا يكون لها أثار سلبية في إدراك المعرفة ولا تحقق الهدف المرجو منها، ولذلك يؤكد العدل علـــى هذا المعنى بقوله "يلزم تجنب ما يهيج الحواس سواء شديدًا أو ضعيفًا"(١).

ولا عجب في ذلك فأن المعرفة تعتمد علي هـــذه الحـــواس حتـــى أن النتائج التي يتوصل إليها العقل ما هي إلا مجرد مقارنات يقوم بهـــا العقـــل للملاحظات التي اكتسبها الإنسان من خلال حواسه؛ "فـــالعلم يعتمـــد علـــي الحواس، وكل المناهج العلمية، وكل الآلات والمخترعات وكل البحوث فـــي الطبيعة والكيمياء والفلك والنبات والحيوان إنما عمادهـــا هـــذه الحـــواس الخمس وكل النتائج العجيبة التي وصـــل إليهـــا العلـــم ليســـت إلا وليـــدة الملاحظات الحسية"(٢).

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٧.
٢) أحمد أمين، **فيض الخاطر**، ج ٥، ط ٧،القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٩٢م، ص ٩.

وبما أن هذه الحواس هي البوابات التي تصل المعلومات من خلالها إلى الدماغ وتؤثر على النفس فيلزم "أن نهتم بهذه الحواس ونقوى من إدراكها للعالم الخارجي حتى تحقق أقصى درجات المعرفة من خلالها"[1]، وهناك علاقة وثيقة بين الباحث عن المعرفة والحالة النفسية له، كلما كانت نفسيته هادئة خالية من التوترات كان له الأثر الأكبر لإدراك المعرفة والعكس، ونظر العدل إلى النفس على أنها ليس لها شعور بالأحوال الظاهرة إلا عن طريق الحواس التي توصِّل التأثيرات الحاصلة في العالم الخارجي إلى الدماغ.

لذلك أفرد العدل لكل حاسة من الحواس الخمس [البصر –السمع– اللمس–والذوق–والشم] تفصيلًا خاصًا بها، وكيف يمكن تمرين كل حاسة من هذه الحواس في اكتساب المعرفة، وخاصة لدى الأطفال في المراحل التعليمية الأولى، ومن خلال التجربة وجد أن تنوع الحواس في البحث عن المعرفة من قبل المتعلم يكون أبقى أثرًا من استخدام حاسة واحدة فيها، وكذلك تكرار المحسوسات على الحواس الخمس يمكِّن صورتها في النفس ويجعلها واضحة لدى المتعلم وهذا ما يجب النظر إليه عند استخدام الحواس في المعرفة.

تعهد الحواس الخمس عند العدل:

يرى العدل أنه ينبغي تعهد الحواس الخمس في سن مبكرة عند الأطفال ويجعلها من مهام أولياء الأمور فيقول: "ولذلك ينبغي للأمهات

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص١٠.

والآباء أن يلبوا داعي الطبيعة ويستخدموا هذا الباعث الفطري[1] في تربية حواس أطفالهم وتقوية شعورهم كي يفرحوا بوجودهم"[2] ويذكر العدل طرق تعهد كل حاسة من الحواس الخمس وهي:

حاسة البصر: بمداومة النظافة وعدم ترك الذباب يتهافت علـــي العـــين، وعدم تعرضها للضوء الشديد، والألوان القوية ومنع الطفل من دلك العـــين بالكف أو بباطن الأصابع.

حاسة السمع: "ينبغي للمربي أن يحافظ علـــي ســـمع الطفـــل ويمرنـــه ويحترس من وصوله فيه صممًا أو ضـــعفًا"[3] ويـــري العـــدل أن أحســـن الوسائط لتمرين سمع الطفل وتقوية إحساسه سماعه الموسيقي والغناء فأنه يؤثر في سمعه أكثر من تأثيره في نفسه.

حاسة الشم: ويجب التعهد والاحتراس من الزكام الذي يؤثر عليها وعدم تعويد الأطفال العبث بها، ويرى العدل أن أفضل طريقة لتمرين هذه الحاسة في الطفل هو استنشاق الهواء الخالص في الفضاء والبساتين.

حاسة التذوق: وآلتها اللسان وبها ارتباط بالبصـــر والشـــم وبـــالإرادة النفسية بمعني "أن قوة الذوق وضعفه مرتبطان بشم المطعومات وإرادتهـــا فإن كانت طيبة الرائحة حسنة المنظر مالت إليها الـــنفس فتحصـــل الإرادة فيقوى الذوق والعكس بالعكس[4].

حاسة اللمس: ويذكر العدل أنه لا يحفظ إحساس اللمس ســـوي نظافـــة البشرة وتعهدها.

١) وهو ميل الأطفال إلي حب الاطلاع واستكشاف ما يدور حولهم عن طريق الحواس.
٢) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**، ص ٧٩.
٣) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**، ص ٨٠.
٤) **المرجع السابق**، ص٨٥.

العـــقـــل: أعطي العدل للعقل مكانة عالية وتطرق إلي الملكــات العقليــة كالتفكير والتذكر، والتخيل، والانتباه مما يدل علـــي أن العقـــل هـــو القـــوة الوحيدة التي تحكم علي المعارف المكتسبة بالإضافة إلي كونه وسيلة مـــن وسائل المعرفة، ولم ينشأ اهتمام العدل بالعقل من فراغ وإنمـــا جـــاء مـــن منطلق إسلامي ووازع ديني "فالبحث عن الوظائف العقلية من الأمور التـــي ترتبط بتميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى بل تميز الإنسان عـــن أخيه الإنسان بالتفوق في تلك الوظائف فالعقل في الإسلام هو مناط التكليف والقدرات العقلية هي التي تمنح الإنسان الارتقـــاء بـــالأداء والإبـــداع فـــي المهارة مما يجعل الإنسان مهيأ لعمارة الأرض بجدارة وفاعلية[١].

وهذا ما كان ينشده العدل في التربية من أعمال للعقل في مشـــاهداته ورحلاته فكان يصدق كل ما يقبله عقله من المعارف والعلوم[٢]؛ لأنه يدرك الحكمة الإلهية من تمييز الإنسان بالعقل عن غيره من المخلوقـــات، وجـــاء القرآن يدعو إلي أعمال العقل في التفكير والتدبر في مجالات الحياة، وليس مجرد الحفظ والتكرار دون فهم للمعني المراد فلم يكن المراد مـــن القـــرآن "مجرد تدريب عقولهم علي الحفظ والفهم، بل أراد الله عز وجل لنـــا بهـــذا القرآن أن تتحول هذه المعرفة التي قدمها لنا إلي حركة فكرية وعاطفية ثم إلي قوة دافعة لتحقق مدلولها في عالم الواقع فنطور سلوكنا حتى نحققه في مجال حياتنا"[٣].

١) حمدان عبد الله الصوفي، **الوظائف العقلية المستفادة من آيات العقلان في القرآن الكريم**، (سلسة الدراسات الإنسانية)، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، يناير ٢٠١١م، ص ٣٥.
٢) راجع كتاب "**رحلة حسن أفندي توفيق العدل**" ص ٣٣٧.
٣) محمد درويش، تدبر القرآن الكريم ودوره في تربية العقل المسلم، "**بحث منشور مقدم إلي المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم، كلية التربية، جامعة السويس**، في الفترة من ٢-٥ يوليو ٢٠١٣م، ص ٥.

وكانت نتيجة انفتاح العدل علي الحضارة الغربية وإعجابه بهـا أنـه حاول نقل التقدم والمدنية التي رآها وخاصة في مجال التربية ووضع لهـا أسس ونظريات عقلية وفلسفية تقوم عليها ليكون العدل بذلك ضمن علمـاء الإسلام الذين يؤمنون بالمنهج العقلي الذين "أعادوا تأسيس العلوم والمناهج عن طريق نظرياتهم الجديدة في العقل كوحدات سامية ومتسامية وتجريبية وعلمية وحاولوا دمج العلوم الجديدة بالقديمة علـي اعتبـار بـأن العقـل الإنساني واحد"(١).

وبذلك يري العدل أنه لا يمكن لأحد أن يستغني عن العقل والحـواس في تحصيل المعرفة؛ لأن الحواس تمد الإنسان بالمعلومات التـي لا تصـبح موضوعاً للمعرفة إلا بعد أن تطبق عليها صيغ العقـل ومـن ثـم فـإدراك الحقائق عملية مرتبطة لا تستطيع الحواس وحدها أن تقوم بها والعقل فـي حاجة لمعطيات الحواس حتى يمكنه الوصول إلي الحقائق.

الـوحـي:

إن الإنسان المتدين يستفيد في معرفة الكون والحياة والعقيدة والدين من الحس، ولكن غالبًا ما تكون المدركات الحسية أساسًا ومنطلقًـا لأحكـام العقل أي أن تلك المدركات تصنع الأرضية للفكر وحُكمه، كما أنه يستفاد من العقل والفكر في معرفة الله وصفاته وأفعاله وقد تغيب عن العقل أيضًا إدراك المعارف وخاصة في الأمور الغيبية والحياة الأخرى فيكون مصدر المعرفـة في ذلك الوحي الذي نزل بالقرآن ليكون مصدرًا للمعرفة لمن غاب عن

١) محمد ياسين عريبي، **الاستشراف وتغريب العقل التاريخي العربي**، المغرب، سلسة الدراسات٢، المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١م، ص ٦٧.

عقول البشرية، قال تعالي: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧]

ولو أن العقول تدرك كل الأشياء لاستوت مع الخالق عز وجل، ولكن جعل لها حدًا تقف عاجزة عنده "إن الله جعل للعقول في إدراكها حدًا تنتهي إليه لا تتعداه ولم يجعل لها سبيلًا إلي الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالي في إدراك جميع ما كان وما يكون[1].

فيكون الوحي عند العدل مصدرًا لمعرفة الله ومخافته بل أنه مصدر لمعرفة مراد الله منه وتحقيق الخشية والرجاء من الله فجعل مخافة الله هي "الشعور بالقرب المعزز بالخشية من الذات العلية يبعثنا ذلك الشعور إلي فعل المأمور به وترك المنهي عنه"[2] فيكون الوحي وسيلة للمعرفة تجعل الإنسان في معية الله يجدها في نفسه، ويهدى بها شعوره وتقر عينه بها.

فالإنسان المؤمن يجعل الوحي مصدرًا لكل ما غاب عنه حتى يكون مؤمنًا يخاف ربه ويرتقى بمكانة عالية كلما كان علي علم بذات الله جل في علاه "وذلك حاصل بأصل الإيمان وعليه عامة الخلق قال عز شأنه: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٧٥] ومنهم من يخافه لذاته ولجلاله ويراد من الخوف هنا الخشية وعليه العارفون بالله، قال وهو أصدق القائلين: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر: الآية ٢٨] أي العارفون بذاته وجلاله"[3].

---

١)إبراهيم بن موسي الشاطبي، **الاعتصام**، الإسكندرية، دار عمر بن الخطاب، ج٢، (د.ت) ص ٣١٨.
٢)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج ٢، **مرجع سابق**، ص ١٣١.
٣)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص١٣١.

وتعد المعرفة المكتسبة عن طريق الوحي هي العلم اليقيني الذي لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه؛ لأن مصدره الخالق عز وجل فالوحي هو "إعلام الله عز وجل رسولًا من رسله أو نبيًا من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معني يفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله سبحانه وتعالي به"[١]، ويتلقى الإنسان العلم الإلهي بخلاف علوم الدنيا فيتلقاه "بشعور واضح بأنه ملقي من طرف أعلي منفصل عن الذات الإنسانية"[٢].

رابعًا: أنواع المعرفة:

من خلال اطلاع الباحث علي مؤلفات العدل يمكن أن يستخلص أنواع المعرفة عند العدل في النقاط التالية:

١.المعرفة الأسطورية: (*Mythological Nowledge*)

وهي المعرفة التي وجدت بين شعوب الأرض المختلفة أمثال المعتقدات في الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية، والأساطير الصينية والهندية والأسطورة الأوربية فيقول العدل: "علمت يقيناً أن شواطئ نهر الراين كانت الوطن الثاني لخرافات العذري وأخذني العجب من هذه الخزعبلات وأمثالها التي ملأت العالم شرقًا وغربًا"[٣]، وهذه المعرفة لم يؤمن بها العدل ولم يسلم بما جاءت به لأنها تبنى على تخيل زائف غير واقعي ولا يقبلها المنطق ولا العقل.

٢.المعرفة العلمية: (*Scientific Knowledge*)

وهي المعرفة تدرس الوقائع ويحكمها قانون عام وشامل، وتكون مبنية علي أساس علمي قائم علي البحث والتجريب والقوانين المسلم بها

---

١) عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة، دار الكتب المصرية، (د.ت) ص

٢) مهند محمد صالح، الوحي في القرآن الكريم وموقف المتشرفين منه، **بحث منشور مجلة كلية التربية** – بغداد، العدد (٦٦)، ٢٠١٠م، ص ١٧٨.

٣) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ٣٣٧.

وتضم المعرفة الطبيعية (*KnowledgeNaturAl*) والتي تشمل العلوم الرياضية، والهندسة، الفيزياء، والعلوم الفلكية، والجغرافيـــة، والطبيعـــة، وجميع أشياء الطبيعة "والمقصود بها الممالك الثلاث وهي مملكة الحيوانات ومملكة النباتات، ومملكة المعادن والأحجار تعاليم الطبيعة ولا يأخذ علمـــاء الطبيعية من هذه المعرفة العلمية إلا ما يمكن معرفته وإدراكه"[١].

أما المعرفـــة الإنســـانية (*Human Knowledge*) فهـــي التـــي تهـــتم بالماهيات، وتشمل العلوم البشرية كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربيـــة الذي قسمه العدل إلي ثلاثة أجزاء[٢] جزء يبحث عن اكتساب المعـــارف وفـــق طبيعة الإنسان وأخلاقه ووسائط اكتساب تلك المعرفة، والجزء الثاني يبحث عن التربية العملية لتلك المعارف، والجزء الثالث يبحث عن التربية والطرق التـــي استخدمها الأقدمون مثل (اليونان، الرومان، العرب، الأفـــرنج) فـــي اكتســـاب المعارف إلي وقتنا هذا.

٣.المعرفة الدينية: (*Religious Knowledg*)

وهي المعارف والمعتقدات التي يؤمن بهـــا الإنســـان، وهـــي القـــوة الباطنية التي تحركه، ويشترط العدل أن تكون المعارف والمعتقدات خاليـــة من الخرافات والتعصب البغيض فيقول: "وذلك بأن يكون اكتساب المعـــارف الدينية وتعليمها يكون تعليمًا خالصًا من شائبة الأوهام التي دخلت في الدين وليس منه"[٣] حتى تصل هذه المعارف بالإنسان إلي تقوي الله عز وجل

١)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص٦٠.
٢)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**،ص٤.
٣)عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ١٥٤.

"فيخاف الله ويأتمر بأمره وينتهي بنهيه ويغلب عليه سلامة الذمة وخلوص القلب وصفاء السريرة"[1] فالمعارف الدينية تجعله في مرتبة عالية عند الله تعالي ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣] أي أخشاكم لله وأعلمكم به.

ومن خلال العرض السابق نجد أن الطبيعة الإنسانية احتلت مكانة عالية عند العدل وتطرق إلي أدق التفاصيل في مكوناتها (الجسم، العقل، والنفس،وطبيعة الإنسان بين الجبر والاختيار) وربط ذلك الإنسان بطبيعة الكون الذي خلقه الله وأبدعه وسخره للإنسان، وشغلت المعرفة حيزاً من تفكير العدل فهي الركن الأساسي في تكوين الإنسان الفكري، وقد أقر العدل بمحدودية معرفة الإنسان مهما بلغ، ومن ثم فهو مطالب بالبحث دائماً عنها ولابد أن يشعر باللذة والمتعة وهو يفعل ذلك.

ولم تقتصر المعرفة عند العدل علي منهج واحد بل تعددت وسائل الحصول علي المعرفة عن طريق (الحواس، العقل، الوحي) وتنوعت أيضًا المعرفة فمنها الأسطورية، والعلمية، والدينية، والوقوف على كل ما سبق يجعنا في حاجة لمعرفة مجالات التربية عند العدل وأساليبها وهذا ما يتناوله البحث في الصفحات القادمة بأذن الله.

١)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص١٣٣.

الفصل الرابع

(مجالات وأساليب التربية في فكر العدل التربوي)

تمهيد:

بعد أن تناولنا للأصول الفلسفية عند العدل ووجدنا أن بعض نظريات الفلسفات التربوية تربط الإنسان ببقعة من الأرض معينة، وبعضها يربطه بفرد معين من الناس، وبعضها يربطه بأسطورة من الأساطير ثم يكون التعليم كله قائمًا علي هذه القواعد، فيصطبغ العمل والشعور والفكر والسلوك بهذه الصبغة، ويتجه كله في هذا الاتجاه ثم ينشأ الفرد علي فضائل بعينها مستمدة من هذه القواعد التي تخدم هذه الفلسفة، ويكون التعليم نابع من مفاهيمها متمشي مع مصالحها.

ولاشك أن هناك فضائل تلتقي عندها البشرية، فمهما ضلت البشرية وانحرفت فإنها ببصيرتها التي وهبها الله لها تهتدي إلي قدر من الحق قليل أو كثير، ولكنها غالبًا ما تكون فضائل لأقوام خاصة لبلد معين فهي محلية إقليمية وليس بينها فضائل إنسانية حقًا إلا ما كان نابعًا من الإيمان بالله، مستمد من دستوره الذي ارتضاه لعباده وهو القرآن الكريم، ولذلك نتطرق في هذا الفصل لمجالات وأساليب التربية عند العدل ولابد أن تأتي التربية الدينية في مقدمة الحديث عن ذلك فنقول:

أولاً: مجالات التربية عند العدل:

١. التربية الدينية:

تنطلق التربية الدينية عند العدل من كونها مستمدة التعاليم من الآيات القرآنية، والاستفادة من الآداب في السنة النبوية، وهما مصدر التشريع، ولكن يُضاف إلى ذلك التفاعل الحضاري للإنسان أيضًا فيتعلم الإنسان ما يفيده منه بحيث يكون موافق للتربية الإسلامية، ولا بد أن نفرِّق في البداية بين التربية الإسلامية، وتربية المسلمين، وتربية الإسلام، والفكر التربوي الإسلامي فالأخير هو رؤية العلماء المسلمين لهذا المثال الإلهي "كما أنه يعبر عن رؤية نقدية لواقع تربية المسلمين، وأما تربية الإسلام تمثل المثال الإلهي الموحى به، وتربية المسلمين تمثل واقع المسلمين، ويشمل كل ما سبق التربية الإسلامية ويصبح من الضروري ونحن نتحاور ونبحث ونقرأ لآخرين أن نميز بين هذه المناطق"(١)،

وعند تعليم التربية الدينية لابد أن يكون هناك توازن بين كل المصطلحات السابقة، ولا نبدأ بتعليم الأطفال في بدء الحفظ بأن نحفظهم متن في فن التوحيد عن ظهر قلب مثلًا أو كلمتي الشهادة أو قواعد الإسلام فقط دون معرفة المعنى من المتعلم ولذلك يلزم أن نعلمهم الأشياء، وعلتها، ومسببها الأول وهو الخالق عز وجل، ونسألهم بقولنا من الذي أرسل إلينا هذه الأرزاق؟ وتلك النعم التي بين أيدينا؟ ومن هو الخالق المبدع لهذا الكون

---

١)سعيد إسماعيل على، **الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل**، القاهرة، دار السلام ، ٢٠٠٦م، ص٣٨.

الممهد للأرض، ومجرى الأنهار، ومزهر الأشجار، ورافع السماء؟ وإلى غير ذلك من الأمثلة بحيث تكون هذه الأسئلة بسيطة جدًا فلا نطلب منهم حفظ الأشياء عن ظهر قلب حفظًا أليًا فإن ذلك إخماد لنور أفكارهم، ولا يفيد الغاية المقصودة للتربية الدينية الحقيقية(١).

والتربية الدينية هي التي تجعل الإنسان رباني أي وثيق الصلة بالله عالماً بدينه وكتابه معلمًا له قال تعالي ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧٩]

وربانية الغاية والوجهة تعني أن الإسلام في تربيته يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد حسن الصلة بالله تبارك وتعالي، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الإسلام بالإضافة إلي كونها موجهة لكل طاقات الإنسان ونشاطاته وأخلاقه وأعماله ظاهريًا وباطنيًا مقصود بها وجه الله تعالي وحده.

وقد امتازت العقيدة الإسلامية بأنها تطالب الإنسان بالنتائج السلوكية التي يستلزمها الإيمان بالله وأوجبت "أن يقترن هذا الإيمان بحركة فكرية وعاطفية في أعماق الإنسان تتحول إلي قوة دافعة تحقق مدلولها في عالم الواقع وقوة تدفع الإنسان إلي تحقيق عبوديته لله في سلوكه وأعماله ومجتمعه"(٢) حتى يتحقق الهدف من خلق الإنسان وهو إعمار الكون وإقامة العدل في الحياة وفي المجتمع الإنساني بأكمله.

---

١)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٢٧.
٢) سعيد إسماعيل علي وآخرون، **أبحاث مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية الحديثة**، القاهرة، ٢٩-٣١ يوليو، ١٩٩٠م، ص ١٩٠.

ضرورة تدريس التربية الدينية بالمدارس:

نادى العدل بضرورة تدريس التربية الدينية أمثال الأمم الغربية كما في ألمانيا وانجلترا التي سارت علي نهج التقدم الحضاري فيقول: "أري ضرورة تدريس الأوامر الدينية وأخذ الناشئة بآدابها في المدارس الابتدائية بشرط أن يكون ذلك خالصاً مما لحق بالدين وليس من شأنه أن يطفئ من توقد الفكر وذكاء القريحة"(١)، ويتفق مع ذلك الدكتور سعيد إسماعيل علي فيقول: "ومن هنا يصبح واجبًا علي المدارس الإسلامية أن ترشد تلاميذها إلي الإيمان بالله وقدرته المعجزة وإبداعه الرائع عن طريق التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض وذلك في سن الإدراك والتمييز"(٢).

ولذلك ينبغي أن يكون معلم التربية الدينية في المدرسة متمسكا بدينه عاملًا به فمن كان في دينه ضعف وفي أخلاقه فساد لا يمكن أن يعلم الفضائل أو يعمل علي نشرها أو يصغى إليه أحد إذا نادي بها ودعا لها "كما ينبغي أن يعمل معلم التربية الدينية بما يعلمه لتلاميذه ويتمسك بما يرشدهم إليه ويحثهم عليه لأنه يعتبر قدوة لهم"(٣).

ويلقي العدل على عاتق المدرسة والمنزل مهمة التربية الدينية والتأدب بآدابها فيقول: "ولتربية الناشئ بالآداب الدينية مقامان المنزل ومقام المدرسة"(٤)، ولا يخفي أهمية التربية المنزلية والمدرسية في غرس الآداب في النفوس فينشأ الفتى على ما كان عوده أبواه، بالإضافة إلي دور

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ٣٥.
٢) سعيد إسماعيل علي وآخرون، أبحاث مؤتمر المناهج التربوية، **مرجع سابق**، ص١٩١.
٣) مصطفى رسلان وعبد الجليل حماد، **طرق تدريس التربية الدينية الإسلامية**، بيروت، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٩٩٢م، ص٦٢.
٤) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ٣٨.

المدرسة التي لا يخفي في كونها مؤسسة للتربيـــة قبــل أن تكـــون مؤسسة للتعليم.

وينتقد العدل التربية الدينية للأسرة في عهده، لأنها تسير بطريقـــة خاطئة في تخويف الأطفال وتربيتهم علي الجبن والخوف والكسل فيقـــول: "وأما الآباء في العائلات فطريقة تربيتهم لأبنائهم بالآداب الدينية إنما هـــي إلقاء الفزع والخوف من جانب الإلوهية في أغلب الأحوال، وبـــذلك تنشـــأ الأبناء مخلوعة القلوب جبناء خاملين لا إرادة لآمالهم يظنون الحرام حلالًـــا، والمندوب مكروهًا، والحسن قبيحًا، والشر حسنًا ويتطرق ذلك إلي أحـــوالهم المعيشية فيلحقهم الكسل ويقعد الدهر مع القاعدين"(١).

وهذا ما ينافي طبيعة التربية الدينية والإسلامية التي لابد وأن تستقي من مصادر الفكر والتشريع الإسلامي بعيدة عن الخرافـــات، وأن لا تكـــون تربية الأبناء مبنية علي التناقضات، وأن تكون محققة للمتطلبات الروحيـــة والمادية للأبناء في ضوء معايير المجتمع الإســـلامي، ومحققـــة لأهدافـــه، وتشير بعض الدراسات(٢) إلى أهداف المجتمع الإسلامي وجعلتها "عبارة عن الوسائل والأدوات التي تساعد الإنسان علي تشكيل وتنشئة الفـــرد تنشـــئة متوازنة ومتكاملة من جميع أوجه ونواحي شخصية، وكلهـــا تـــدور حـــول العقيدة التي جاء بها الإنسان تحقق الغاية المنشـــودة لكـــل إنســـان وهـــي رضوان الله".

---

١) المرجع السابق ص ٣٩.

٢) دراسة فايزة حمدان الصاعدي، **إسهام بعض البرامج الدينية في قناة المجد الفضائية في تحقيق أهداف التربيةالإسلامية**، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية – جامعة أم القري، ١٤٢٩هـ، ص ٦٧.

ويذكر العدل أن أفضل طرق لتعليم التربية الدينية هي:[١]

الطريقة الأولى: (التعليم بالقصص)أي تعليم الناشئة القصص التي قصها الباري جل شأنه في القرآن الكريم فإنها كما تربي العقول لقيامها مقام الاختبار والتجربة تقوي الشعور بصفات الله الكمالية من القدرة والإرادة وغيرهما وتكفل تربية الإحساسات الدينية.

الطريقة الثانية:(التعليم بالمحسوسات الظاهرية)أي بث التفات الناشئة إلي المحسوسات الظاهرية أي يريد العدل عند التربية الدينية أن يأخذ المعلم عالم المحسوس الظاهر للأطفال في تثبيت الإيمان في نفوسهم عن طريق النظر إلي السماء والنجوم والبحار والأنهار والأشجار والأزهار والحيوانات والطيور والأسماك، كل ذلك فيه من الآيات والقدرات التي تدل علي ترسيخ الإيمان في نفوس الأطفال منذ الصغر لأنه من شب علي شيء شاب عليه.

وهناك أيضًا ارتباط وثيق بين أساليب التربية التي يقوم بها المعلم، وبين نمو العقيدة والتربية الدينية عند الطفل، ومعني هذا "أن التربية بالنسبة للعقيدة الدينية هي المختبر الذي فيه تتحقق مفردات هذه العقيدة، فالعقيدة بالنسبة للتربية هي: المخطط الذي يهدي السالك سواء السبيل، ويحدد له الغايات والمقاصد، ويرسم له المسالك والدروب، ويعين له الوسائل والسبل"[٢].

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص٤٠.
٢) سعيد إسماعيل علي وهاني عبد الستار فرج، **فلسفة التربية رؤية تحليلية ومنظور إسلامي**، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٩م، ص١٠.

٣.التربية الأخلاقية:

لكل مجتمع من المجتمعات أخلاقه، وعاداته، وتقاليده، التي يغرسها في أبنائه، وتسير المؤسسات التربوية في تعليمها الأجيال للحفاظ على موروثها الثقافي والحضاري عبر الأجيال، فالأخلاق عبارة عن "هيئة راسخة في النفس عنها تصدر الأفعال بسهولة وبيسر من غير حاجة إلي فكر ورؤية فإذا كانت محمودة عقلًا وشرعًا سميت خلقًا حسنًا وإذا كانت قبيحة سميت خلقًا سيئًا"[١]، ولذلك لأبد أن تسير التربية الأخلاقية في المجتمع العربي والإسلامي وفق قيم وعادات هذه الشعوب؛ ولأن أخلاق المجتمع الإسلامي أخلاق سماوية سامية فلابد أن يكون مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بما يتضمنان من آداب وتعاليم إسلامية حميدة، ولابد وأن تنتهج التربية الأخلاقية عدة طرق مشتقة من المنبع السابق وهي القدوة الحسنة، والقصة، والحوار، والنصح والإرشاد، وأسلوب العمل والتكرار، وأسلوب التشبيه، وضرب الأمثال، والترغيب والترهيب الخ[٢].

وتتضمن التربية الأخلاقية عند العدل مجموعة من الأحاسيس الوجدانية التي يكتسب من خلالها الفرد التربية الأخلاقية وهي:[٣]

١. الإحساس بالذات: وهو الشعور بتقدم وغلبة الأنا على الموانع الخارجية، وبعبارة أخري إحساس الإنسان بكون ذاته قائمة بنفسها ذات سلطان فيختار الفرد بذاته الآداب، والأخلاق التي يسير عليها، والتي تُميِّزه عن غيرهِ، ولابد أن تكون موافقة لدينه، ومجتمعه، وتربية الإحساس بالذات

---

١) راشد محمد أبو صواوين، **القيم الوقائية المتضمنة في منهاج التربية الإسلامية للصف التاسع بفلسطين،** بحث مقدم للمؤتمر العلمي العربي الأول للتربية الوقائية، كلية التربية جامعة سوهاج، ج١، ابريل٢٠٠٦م، ص ٢٥٨.
٢) مصطفى رسلان وعبدالجليل حماد، طرق تدريس التربية الدينية الاسلامية، **مرجع سابق**، ص٦١.
٣) حسن توفيقالعدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٢٨.

إما أن ترتقي، وتصعد بالفرد فيجعل من نفسه أعلى من التعـاليم، والآداب فيحتقر التعاليم والأوامر، والنواهي فيصبح متردد الإرادة والـرأي عـديم الصبر معتقدًا أرجحية عمله، ويسمى "مدَّعيًا أو متعظمًا".

وإما أن يهبط به إلى الدنو فنجده ضعيف القوى، والإرادة عـديم الانتبـاه كسولًا في العمل يضع نفسه في خسائس الأمور وهذا يسمى "متـذللًا"، وأفضـل المراحل الوسطى بينهم التي لم تصل بالإنسان إلى التعاظم أو التذلل، وذلك بـأن نجد صاحبه مترقب لنفسه عارفًا قدرها طلوبًا للشرف تبوعًا للحق، وهذا يسمى متواضعًا، وهو الذي لابد أن تخرجه لنا المؤسسات التربوية في المـتعلم العـالم بعلمه العارف قدر نفسه المتواضع مع غيره.

كيفية تربية الإحساس بالذات: ولتربية الإحساس بالذات يجب على ولـي أمر الطفل أن يمنحه الفرصة لتمرين قواه الجسمية، والعقلية شيئًا فشـيئًا، وأن يكون ذلك التمرين بحالة تكفل له النجاح كي تنمو قواه، ويزيد شـغفه بتلقيه تمرينات آخري سامية، ويجب أن نأخذ يد الطفـل ضـعيف الجسـم، والموهبة العقلية، ونرتقي به، ولا نكثر اللوم عليه حتى تدبل قواه، ويشعر بالعجز بل يجب مساعدته بزيادة شغفه إلى التعلم، وكذلك الطفل قوى الجسم، والموهبة العقلية فكما نبعث من نشاطه نطالبه بزيادة العمل وتكون الغايـة من ذلك كله غرس الأخلاق الحميدة والصفات النبيلـة فـي جميـع دروب التربية الجسمية والعقلية حتى نصل إلي كون التربية الأخلاقية ذاتية المنبع لدي الأطفال.

وتهدف التربية الذاتية إلي صناعة جديدة لشخصية الإنسان وهوية المجتمع بتحويل التربية من مهمة ثقيلة يقوم بها الأفراد روتينًا أحيانًا، وبإهمال أو جهل حينًا أخر أو بالتهرب منها وتمريرها كواجب حينًا ثالثًا إلى "سلوك ذاتي يقوم به التلاميذ طوعًا لتحقيق قيم ومهارات شخصية اسمي بذاتها من التحصيل الأكاديمي التقليدي وأشمل أثرًا منه"(١).

٢. الإحساس بالشرف: وله ارتباط بالإحساس بالذات أي ولابد لكل إنسان أن ينزع إلى الشرف ويصون نفسه عن الدنايا حتى تتكون لديه الأخلاق الحميدة، وأن لا يستوي لديه مدح الناس وذمهم إياه، وضعف الإحساس بالشرف صادر عن جهل الإنسان بقدر ذاته، وبآداب وأخلاق مجتمعه، ولذلك يصير وضيع النفس تابع لغيره أسير أرائه.

ولا بد من تعليم الأطفال الشرف وإيقاظ الإحساس به لديهم بحيث لا نصل بهم إلى حد الكبرياء لأنهم سيكونون يومًا قائمين بذات أنفسهم أولى حرية في أقوالهم وأفعالهم، وفى كل ما لم يمس بالآداب والأخلاق، وبالنسبة إلي مواضع الشرف يقول العدل: "وأن تُعرِّفهم (أي الأطفال) مواضع الشرف منهم التي هي النفس، والعرض، والمال بحيث يصونونها عن خدشها بأيديهم، ويدافعون عنها كي لا تصلها يد الغير حسب ما هو مشروع بالقوانين، والقواعد الوطنية"(٢).

ويلخص كل ذلك حديث النبي(صلى الله عليه وسلم): "من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل

١)محمد زيدان حمدان،**التربية المدرسية الذاتية استراتيجية متكاملة معاصرة للتعليم والتدريس**، القاهرة، دار التربية الحديثة، ٢٠٠٣م،ص١٥.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية ، ج١، **مرجع سابق**، ص٢٥.

دون دمه فهو شهيد"[١]، ولنا في هذا الموضع أيضًا أن نفــرق بــين الإحساس بالفخر، والإحساس بالشرف فالإحساس بالفخر، والإعجاب بالنفس هما شعور دخيل لم يكن لدى الفرد، وهما في الحقيقــة بــاطلي المصــدر عديمي القيمة، وهذا ما يجب الابتعاد عن غرسه في الأطفال، وأما الإحساس بالشرف فهو شعور ذا قيمة أصيلة في الفرد، وهذا ما يجب غرسة، وتعليمة للأطفال.

٣. الإحساس بالحق: فالحق قيمة عالية، وغاية سامية، ويترادف الحق مع العدل أحيانًا، ولكن إذا أردنا غرس قيمة الحق لــدى الأبنــاء لابــد أن نُعلمهم معنى العدل، وهناك الحق لذاته، وهو ضد الباطل، وهناك الحــق الوصفي، وهو معنى تصطلح عليه أمة من الناس أو طائفة فيما يمنحونه لعامتهم أو خاصتهم، ويحدث ارتياح إذا حصل علية الفرد، وعدم ارتياح إذا انتزع منه حتى يحصل عليه.

ويضرب العدل مثال لذلك فيقول: "عبور الطريق حق عام للجميع فإذا رأينا أحد يمنع أخر من عبور الطريق، ويصفعه علي وجهه فيكــون منعــة حقه، ولا يرتاح الفرد إلا إذا أخذ حقه، وبذلك يكون العبور في الطريق مثل الحق العام، والصفع حق خاص، ولا يحس الفرد بالحق الذاتي إلا إذا أخــذ حقة فهو العدل، والحق، وما سوى ذلك يراه باطلًا"[٢].

وكيفية تربية الإحساس بالحق لدي الأطفال بأن نغرس ذلــك فــيهم عــن طريق ترقب المتعلمين لأعمال غيرهم، وينبغي توطيده، وتقويته لديهم بأن

١)سسن النسائي ، ج١٢، **باب من قتل دون ماله**،(٤٠٢٧)، ص٤٥٦.
٢) حسن توفيقالعدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٢٦.

نعرض عليهم كثير من الحكايات في هذا الشأن حتى تربى فيهم الحمية، ويقوى شعورهم بالحق فلا تأخذهم فيه لومة لائم.

٤. الإحساس بالميل أو الانتماء: ونقصد بهما الإحساس بأحوال الغير، والانتماء إليهم، ويحدث ذلك عند ترقب حركات الغير، ورؤيتنا تغيرات وجهه، وسماعنا كلامه فيحدث إحساس إما بالسرور أو الحزن مثال ذلك حينما نرى علامات الفرح أو الحزن على شخص فإننا نفرح لفرحه، ونحزن لحزنه، وهذا ما نقصده بالميل، والانتماء بمعني أن يكون لنا إحساس يقلد إحساس الغير، "ويجب أن نستغل ولاء الفرد للجماعة وميله إلي الجماعات المنظمة لإنماء روح التعاون الاجتماعي وتقوية الشعور الاجتماعي عند الفرد، وتكوين ضمير خلقي يعمل على إرضائه"[(١)].

وإذا قلنا من المسؤول عن التربية الأخلاقية لدى الأطفال عند العدل؟

يكون المسؤول الأول: المنزل ويقع عليه الدور الأكبر فهو أعظم مرب، وتقع المسؤولية خاصة على الأُمهات اللاتي طُبعن على حب أبنائهنَّ فيفرحن لفرحهم، ويَحزنَّ لحزنهم، ويمكث الطفل منذ الولادة إلي سن الروضة ملازم لأمه تغرس فيه قواعد الأخلاق التي سوف يبني عليها بناء الأخلاق الذي سوف يكتسبه مستقبلًا، ولا يترك الأب دوره في وضع الأساس الأخلاقي مع الأم للطفل في تلك المرحة وينشغل بتوفير متطلبات الحياة دون الاهتمام بالتربية وبناء الأخلاق للطفل مع الأم؛ لأن البناء الأخلاقي يعتبر "الدعامة الأساسية لبناء إنسان خيير ومثمر، كما أنها الدعامة الأساسية لبناء مجتمع آمن ومتقدم"[(٢)].

---

١) عبد العزيز جادو، **علم نفس الطفل وتربيته**، الاسكندرية، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١م ، ص١٤٨.

٢) سعيد اسماعيل القاضي، **التربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٤م، ص٢٧٨.

والثاني: المدرسة وهي المؤسسة التي تنبع منها أخـــلاق المجتمـــع بعـــد الوالدين "فيتركز النمو الأخلاقي بصورة أساسية في مرحلة الروضة وذلك كعملية وعي تدريجية من جانب الطفل بأهمية القيم المثالية التي تحدد سلوكه"(١)، ويشير إلي ذلك العدل فيقول: "ويجب على المدرسة أن تربى في الأطفال حب التعاون مع الزملاء، ويكون ذلك بتربية عملية بمعنى تربية شغفهم بذلك الإحساس من حيـــث كونه فضيلة يتحلى بها الإنسان"(٢).

ومن ينظر إلي حياة الناس يظهر له بجلاء أهميـــة القـــيم الأخلاقيـــة للإنسان والمجتمع ولا يخفي عليه وعلي أهل العلم أهمية القيم والأخلاق في بناء الفرد والمجتمع والحضارة والتقدم وفي مواجهة المشكلات الاجتماعية وأكدت ذلك بعض الدراسات(٣) "ولذلك جعل الإسلام الأخلاق منـــاط الثـــواب والعقاب في الدنيا والآخرة فيعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهـــم" ولذلك وجب علي أولياء الأمور والمؤسسات التربويـــة الاهتمـــام بالبنـــاء الأخلاقي للمتعلمين وتعمل على المشاركة المجتمعية للقيام بذلك.

٣. التربية الجمالية:

وهى التي ترمي إلي إنماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس عن طريق تقدير الجمال وإنتاجه (أي الابتكار) "فالتربية الجمالية رغم تنميتها القدرة على

١) بيوتشنكويتي، **التربية الاخلاقية في رياض الاطفال نقد وفكر وأراء تربوية**، ترجمة فوزي عيسي، القاهرة،دار الفكر العربي، ١٩٩٢م، ص١٦.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية ، ج١، **مرجع سابق** ، ص٢٦
٣)دراسة منصور عبد الله السواح، **مدي ممارسة المشرفين التربويين للعلاقات الإنسانية والقيم الاخلاقية**، رسالةماجستير منشورة، كلية التربية-جامعة أم القري، ١٤٣٠هـ، ص ٥٩.

تقدير الجمال تعمل علي تشجيع الأطفال علي الابتكار بشرط أن يتوافر فيهم هذا الاستعداد،وتنمو عاطفة الجمال فيهم بوسائل متعددة منها الفنون الجميلة.والرسم والتصوير والموسيقي"[١]، "وللموسيقي والشعر خاصة أهمية في التراث الفكري الجمالي"[٢]إذا أردنا أن نؤصل للتربية الجمالية.

فالتربية الجماليةإذاً هي التربية التي تعد الأطفال لتذوق الجمال في صوره المتعددة فمن خلالها تتاح الفرصة الإبداعية وتنمو المعرفة وتكتسب المهارات ويتسع الإدراك، وتكوّن البلاغة والفصاحة في اللسان وقد اتصف العدل بذلك في رحلته إلي برلين نتيجة التربية الجمالية التي تربي عليها، فيصف لنا بعض ترحاله فيقول: "وحينما سل الصبح من غمد الظلام سيفه، وفتح الأفق عن حدقة الشمس طرفه، هزتني أريجة الآمال إلي السير والترحال، فامتطيت (الراين) في باخرة ماخرة..فسارت بنا تتثني، ونحن بدلاها نتغنى، وقد بسط الربيع علي الشواطئ بساطة الأخضر، وخلع عليها ثوبه الأزهر"[٣].

ومن هنا كانت منادات العدل بالتربية الجمالية ووضع طرق عملية يقوم الآباء والمعلمون عليها عند تعليم الأطفال التربية الجمالية ومن أهم تلك الطرق:

أولًا: "بأن تعودهم على النظافة، والانتظام، ونضبط أشغالهم و أوقاتهم بقاعدة لا تختلف، وأن تكون أشياؤهم كالأدوات المدرسية حسنة الصورة منتظمة الوضع والترتيب"[٤]، وتشير العديد من الدراسات إلى أن حسن المسكن والمظهر

---

١)محمد سيد محمد السيد وعزه احمد صادق علي، **التربية الجمالية في رياض الأطفال الأسس النظرية والممارسة العملية**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص٢٣.

٢) سعد الدين كليب، **البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي**، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية،١٩٩٧م، ص١١٩.

٣) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص٣٣٠.

٤) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية ، ج١، **مرجع سابق** ، ص٢٣.

والنظافة والانتظام تزرع غريزة الجمال والإبداع في الطفل وتوصلت بعض البحوث العلمية[1] إلى أن "استخدام الزينة في غرف المعيشة والصالونات تضيف بهجة وجمال علي المكان وتنمي ملكة الجمال عند الأطفال"، ونصل بذلك إلي الهدف من التربية الجمالية "إن الله جميل يحب الجمال"[2].

ثانيًا: "تعرض عليهم كثير من الأشياء الطبيعية كأن ننبههم إلى الالتفات إلى السماء، ونجومها، وإلى الأرض، وأنهارها، وجبالها، وإلى بعض الطيور الهوائية، والمائية، والحيوانات، والحشرات بذاتها أو صورها، وكذلك الأشياء الصناعية كالمباني، والأدوات المستعملة في المعيشة أساسية كانت أم كماليه"[3]، وهذا أيضًا يساعد علي النمو العقلي حينما ينتقل من عالم المحسوسات والمشاهدات إلي عالم التفكر الجمالي فيها.

ثالثًا: أن نمرنهم على إدراك الجمال بواسطة الكتابة، والرسم، والتكلم، والرياضة البدنية، "والحد الضابط لنا أن نعود أبصار الأطفال وأسماعهم على إدراك الجمال، وكيف يفرقون بينه وبين القبح حتى تنشط بذلك قواهم العقلية ومخيلاتهم العملية فلا تتجه إلى طُرق الخيال، وتتسع دائرة أفكارهم فلا تتعدى مراكز الحقائق"[4].

"وقد أتفق معظم الباحثين في تاريخ الفكر الإنساني، أن من أجل ما تركه الإنسان من أثر يتمثل في الإبداع الفكري، فالإنسان امتاز عن غيره بفكره وقوته العاقلة المدركة حيث لاحظ ظواهر الكون علي اختلافها

---

١) هناء بنت عدنان بن محمد، **مكملات الزينة في المسكن وتأثيرها علي المستوى الجمالي والابتكاري**، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية- جامعة أم القرى، ٢٠٠٧م، ص٤.
٢) صحيح مسلم، باب تحريم الكبر، ج١، (٩١)، ص٢٤٧.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٢٣.
٤) **المرجع السابق**، ص٢٣.

فتصورها وكون له فيها رأيًا"[١]، وبذلك تصبح التربية الجمالية ضرورة ملحة لبقاء أثر الإنسان ووضع بصمته علي الأشياء.

أهمية التربية الجمالية عند العدل:

إن فلسفة الجمال فلسفة قديمة وجديدة معًا فقد عالجها الفلاسفة المتخصصون منذ أقدم العصور، وتناولها فلاسفة اليونان بأقلامهم ويذكر العدل ما وصلوا إليه في ذلك الشأن "وأنظر إليها الآن في ممالك أوروبا وقد مدت بها أطنابها وضربت بجرانها، وأخذت كمالها. فنالت جامعتهم منها ما به قسموا الراحة والرفاهية بينهم، وعاشوا عيشة راضية مرضية"[٢].

ولا تتحقق التربية الجمالية عند الأطفال إلا إذا كان هناك اهتمامًا حقيقيًا بغرس قيم الجمال عندهم منذ نعومة أظافرهم ونمو أجسادهم وعقولهم، فيتعهد أولياء الأمور بتنمية قيم الجمال منذ سن مبكر "تري الطفل كثير الشغف بالاطلاع واستكشاف كل ما يلوح له، ولذلك ينبغي للأمهات والآباء أن يلبوا داعي الطبيعة ويستخدموا هذا الباعث الفطري في تربية أطفالهم"[٣]، ولذلك لابد من تعويد الناشئة علي اكتشاف مواطن الإبداع من خلال الطرح الجمالي الذي يثير الفضول لدي العقول فلابد من تنشيط الإبداع لدي مخيلة الناشئة بأنواعها المتعددة "كالإبداع الفكري والعقلي، والإبداع الأدبي والعلمي، والإبداع الخلقي، والإبداع الإداري، والإبداع في حل

---

١) جمال المرزوقي، **الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي**، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م، ص١٧.

٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص١٤٠.

٣) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق** ص ٨٠.

المشكلات وإيقاف الأعمال"(١) وهذا لا يتأتى للإنسان إلا إذا أخذ بالتربية الجمالية منذ سن الإدراك لدي الأطفال.

ومن العلوم التي يجب علي الوالدين والمدرسة الاهتمام بها لتنمية الجمال عند الأطفال هو علم الرسم ويحدثنا العدل عن المقصود من تعليم الأطفال الرسم فيقول "ليس المقصود من أخذ الناشئة بالرسم في المدارس الابتدائية أن نهيئهم لأن يكونوا رسامين فيما بعد، وتكون الغاية الوحيدة منه أن نربي قواهم العقلية ونستخرج من استعداداتهم الكامنة فيهم، وتوصلت إحدى الدراسات(٢) إلى أن من فوائد الرسم أنه يزيد في نطاق التخيل ويربي الذوق والشعور بمحاسن الأجسام والأشكال ويدعو إلي التمعن في أشياء الطبيعة ويبعث الشغف بالنظام والنظافة".

وخلاصة القول في التربية الجمالية عند العدل أنها تتكون وفق حدود التربية الإسلامية الشاملة، لأن حب الجمال أمر فطري قائم في بنية النفس الإنسانية، ويعتبر وجودة دليلًا علي سلامة الطبع وصحة الذوق واستقامة الفطرة، ولابد من تعهد الجمال في سن مبكر "لأنه لا يحتاج إلي كبير عناء في تعهده ورعايته، والمنهج الإسلامي يؤكد رعايته للجمال وعنايته به"(٣)، وبذلك يكون العدل جعل التربية الجمالية نوع من التربية التي تعمل علي ارتقاء الذوق عند الأفراد فيتعلم الإنسان الفنون التي يزرع فيه"القيم الاجتماعية

---

١) دراسة أمل محمد عبد الرحمن، **التربية الجمالية للمرأة المسلمة المستنبطة من القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القري، ١٤٣٢هـ، ص ٤٣.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ٩٩.
٣) صالح أحمد الشامي، **التربية الجمالية في الإسلام**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، ص ٢٥.

السليمة ويسموا بالإنسان إلي الرقي والنمو الذاتي حيث يساهم الفنان في صنع الحضارة والتعبير عن المشاعر والأحاسيس والأفكار"(١).

عن طريق تهيئة حواس الإنسان للتأثر بالشيء الجميل وغرس القدرة علي الاستمتاع بكل ما هو جميل في صوره المتعددة ومـن خلالها تتاح الفرصة الإبداعية للتلميذ فتنموا المعرفة، وتكتسب المهارات، ويتسع الإدراك، وتزداد إمكانية الأطفال علي التمييز بين الأشياء وإصدار الأحكام الجمالية.

٤. التربية الجنسية:

يجدر بنا بداية أن نوضح مفهومين رئيسيين الأول: الإعلام الجنسي، والثاني: التربية الجنسية، والإعلام الجنسي هو إكساب الشخص (الطفل هنا) معلومات معينة عن موضوع الجنس، أما التربية الجنسية فهي:

أشمل وأعم حيث تشمل الإطار القيمي والأخلاقي المحيط بموضوع الجنس باعتباره المسئول عن تحديد موقف الشخص من هذا الموضوع في المستقبل، والمقصود بالتربية الجنسية "تعليم الطفل وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا، التي تتعلق بالجنس، وترتبط بالغريزة، حتى إذا شب الولد وترعرع وتفهم أمور الحياة، عرف ما يحل وما يحرم عليه، وأصبح لا يجري وراء شهوة، ولا يتخبط في طريق انحلال"(٢).

ويتخوف الآباء والأمهات عادة من أسئلة الأبناء الجنسية والمحرجة، أو حتى يتهربون من شرح الموضوع لهم، إما لأنهم تعرفوا على الأمور

---

١) عزيز يوسف، **مرشد معلمة رياض الاطفال في التربية الفنية**، الاسكندرية، المكتب العلمي للكمبيوترللنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص٣.

٢) عبلة مرجان، **التربية الجنسية للأطفال "حق لهم ..واجب علينا"**، دراسات أدب الأطفال، الدورة الرابعة لجائزة خليفة التربوية، ٢٠١١م، (د.ن)، ص٣٧.

الجنسية عن طريق الصدفة، ولم يتعرضوا لأي نوع من أنواع التربية الجنسية، أو لأنهم يشعرون بأن عملية التربية الجنسية والخوض في الموضوع قد يتعرض في آخر المطاف إلى حياة الآباء والأمهات الخاصة بمعنى أن يسأل الطفل أبويه عن نوع العلاقة بينهم مما يثير لديهم تحفظًا، ولكن يجب أن تكون هناك تربية جنسية موجهة تحت رعاية أولياء الأمور "حتى نصون الناشئ عن التخلق بالأخلاق القبيحة والتشبث بالأعمال الرديئة التي تضر بجسمه ونفسه وأخلاقه"(١). فالأبناء لديهم ميل طبيعي وفطري لاكتشاف الحياة بكل ما فيها، فتأتي أسئلتهم تعبيرًا طبيعيًا عن يقظة عقولهم.

وبالتالي ينبغي على المربي ألا تربكه كثرة الأسئلة أو مضمونها، وألا يزعجه إلحاح الصغار في معرفة المزيد، عن الحياة الجنسية "فمن الآراء الشائعة عن الغريزة الجنسية أنها غير موجودة في الطفولة، وأنها تظهر فقط في فترة الحياة التي تعرف بالبلوغ، وليس ذلك مجرد خطأ بسيط، ولكنه خطأ أدي إلي نتائج خطيرة"(٢)، ولذلك يجب علي المربين التجاوب مع هذه الحاجة، ويفضل بدئها من سن العاشرة عند الابن، والثامنة عند البنت، بأن يتم شرح التغيرات الهرمونية التي ستطرأ عليهم خلال مرحلة المراهقة، وتقدم هذه التحولات لهما على أنها ترقية ومسؤولية.

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص١٣٧.

٢) سيجمند فرويد، **ثلاث رسائل في نظرية الجنس**، ترجمة محمد عثمان نجاتي، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص ٩٣.

وتمثل التربية الجنسية عند العدل داخل إطار عام يسمى بالشـــهوات، وتختلف باختلاف قوة أو ضعف الاستعداد الطبيعي في جسم الإنسان ونفسه ويقسمها إلي قسمين: الأول شهوات متقاربة: وهي التـــي يـــدعوا بعضـــها البعض كالسكر، والزنا، والإسراف، والثاني شهوات متناقضة: وهي التـــي يدفع بعضها البعض حتى يتغلب أحدهما علي الآخر كالكبر والبخل فقليل مـــا نرى متكبرًا بخيلًا والعكس(١).

أهمية التربية الجنسية:

يمر الإنسان بالعديد من المراحل التي تتميز بالتطور والتجدد، ومـــن أهم هذه المراحل مرحلة الطفولة، التـــي تتســـم بكونهـــا حجـــر الأســـاس لبنائه،ونظرًا لأهمية هذه المرحلة، لا بد من الإشارة إلى أهم الأخطار التـــي تتعرض لها الطفولة، وما تخلفهمن آثار سلبية على المجتمـــع، فـــي حـــال التعرض إلى الإساءة الجنسية.

هناك فريق من الناس يرون أنه مـــن العبـــث أن نقـــدم للأطفـــال أو المعاقين البرامج التربوية الجنسية، فما هي إلا مضـــيعة للوقـــت وللجهـــد، وتذكير بالمجهول، بحجة أن التذكير بالشيء يدفع بالمتعلم إلى التعاطي معه وتجربته، مما يعني أن تقديم برامج التربية الجنسية قد يزيد فضول الأطفال والمراهقين، ويزيد من اهتمامهم بهذه الأمور، فيســـعون إلـــى الاكتشـــاف والاطلاع وربما التجربة، ويرون أيضًا "أنهم يتركون أطفالهم يتعلمـــون مـــا يتعلمونه من المسائل الجنسية بأنفسهم بل يجب أن نحول دون تعلمهم"(٢).

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٣٢.
٢)كامل علوان الزبيدي واشواق صبر ناصر، **علم النفس الجنسي**، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع،٢٠١٤م، ص٩٨.

ولكن هناك فريق أخر يرى "أن التربية الجنسية للأطفال والمـــراهقين ضرورة ملحة، وحق من حقوقهم علينا كأولياء أمور، من الواجب أن نلبـــي حاجاتهم النفسية والتربوية والجنسية، لأن غيابها عن حياتهم قد يضعهم في طريق القلق والخوف، وأن نقص معارفهم في هذا المجال يـــدفعهم باتجـــاه مصادر أخرى، يشبعون بهاحاجاتهم"[1].

وإذا نظرنا إلي موقف الشرع من التربية الجنسية: أن الدين الإســـلامي يتضمن تشريعًا شُموليًا يُغطي مختلف نواحي الحياة قال الله تعالي: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٣٨] كما أنه تشريع واقعي (قابل للتطبيق على أرض الواقع في كل زمان ومكان) وليس مُجـــرد نظريـــات مِثاليَّة لا يمكن أن تكون إلا في الخيال، وعلى رأس مصادر هذا التشريع القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد تطرَّق كلاهما إلى العلاقات الجنسية فـــي مختلـــف مراحلها ومن زواياها المُتعددة ابتداءً من أبسطها كالتمييز بين الذكر، والأنثـــى ومُيول كلٍ منهما إلى الآخر فطريًا، إلى الحمل والولادة، وما يترتب على ذلـــك من مسؤوليات.

ووضَّح العلاقات المشروعة وغير المشروعة، وعاقبةَ كلٍ منها كمـــا عرَّف بالعورات فبيَّن حدودها وعلى من تُكشف وعمن تُحجب، وشدَّد علـــى حفظ الفرج وغض البصر وشرَّع لها ضوابطها، "كما وضَّح مـــدى علاقـــة الصبيان بالبنات (حتى الإخوة في البيت الواحد)، وأمر بالاستئذان وشرَّع له أحكامه، وحدد مُصطلحاتٍ فقهيَّة إسلامية لا بد من فهمها مبكرًا حتى تصح

---

١) عبد الحميد القضـاة، **التثقيف الجنسي الآمن للشباب**، الأردن،مكتبة اربد للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م،ص٨٥.

العبادة رغم علاقتها بالجنس وأعضائه مثل الجنابة والاحتلام والبلوغ والحيض الخ[١].

أهمية تعديل المفاهيم الجنسية المنحرفة: فوقوع حالات من الانحراف الجنسي في سلوك بعض أفراد المجتمع المسلم لا يعدُّ أمرًا مستغربًا حتى في أطهر وأرقى المجتمعات الإنسانية، فما زال كثير من الناس على مر العصور لا سيما من فئة الشباب يقعون في أخطاء سلوكية منحرفة.

ولكن المهم أن يأخذ المجتمع علي أيديهم بالتأديب "لأن النفس مجبولة علي شيم مهملة وأخلاق مرسلة لا يستغني محمودها عن التأديب ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب؛ لأن لمحمودها أضدادًا مقابلة يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة"[٢]. "وإنما تكمن المعضلة، وتعْظُم المشكلة عندما يصبح الانحراف الجنسي قضية فكرية، ومنطقًا عقليًا، تدعمه الحجة والبرهان، وليس مجرَّد سلوك خاطئ يوشك أن يُقْلِع عنه صاحبه، ويتوب من تعاطيه"[٣].

وتهدف التربية الجنسية:[٤] إلي تعليم الفرد سبل العناية بصحته الجنسية في ضوء أحكام الفقه الإسلامي، وفَهمه لطبيعة سلوك الإنسان الجنسي بين حدَّي المباح المشروع والمحرم الممنوع، وتوجيهه إلى الوسائل التربوية المشروعة المعينة لها على ضبط شهواته الجنسية، وحمايته بالوسائل المشروعة من أسباب الانحراف الجنسي، ووقايته من

---

١) عدنان باحارث، **التربية الجنسية للأطفال**، عمان، دار الفكر، ٢٠١٢م، ص٩.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية ، ج٢، **مرجع سابق** ، ص١٣٥.
٣) نجيب خزام، **التربية الجنسية لأبنائنا في سن المراهقة**، القاهرة، دار الإقبال للطباعة،٢٠٠٥م،ص٤٥.
٤) عدنان باحارث، **التربية الجنسية للفتاة المسلمة**، جدة، دار المنارة للنشر،٢٠٠٨م، ص٣٦.

الأمراض الجنسية وتعديل سلوكه؛ "لأن السلوك الإنساني هــو حجــر الزاوية في الأمراض الجنسية وانتشارها"(١).

ويكون دور التربية في هذا المقام أن تكسر مــن حــدة الشــهوات، وتطفئ من ثورتها وتهبط بها ولكن إلى حد لا تتلف فيه الأجهزة والأعضاء كمن يتلف عضو التناسل طلباً إلى قمع النفس أو يقلع عينه جزاءً لها علــى نظرةٍ للحرام، "ولذلك يجب تعويد الأطفال علي الآداب والأخلاق الحسنة حتى يكون للعقل السلطان الأكبر علي الجسم والنفس، وهذا المقام صــعب علــى المربي حيث يلزمه أن يكون عارفًا بكيفيــة نشــأة الشــهوات والبواعــث الجسمية والنفسية"(٢).

ونجمل القول في مجال التربية الجنسية فنقول: أنه من المهم أن يــتفهم الوالدان القضايا الجنسية قبل أن يشرحاها لأولادهما، "ويجب تجنــب مقابلــة أي سؤال حول الجنس بالاستنكار والسخرية مثل أن يقال هذا لا يعنيك أنت لم تــزل بعد صغيرًا ويرتبط بهذا تجنب الإجابة المرتجلة أو الكاذبة أو التهرب من السؤال بحجة أن الحديث في مثل هذه المسائل مما لا يصح لأنه يعتبــر خروجًــا عــن الآداب"(٣)، ويربي الأب الأبناء الذكور والأم الإناث ويراعي التدرج ومراعاة السن عند إعطاء المعلومات عن الحياة الجنسية التي يجيب عنها الوالدين.

---

١) محمد علي البار، **الامراض الجنسية اسبابها وعلاجها**، ط٣، جدة، دار المنار، ١٩٨٦م، ص١١١.
٢)حسن توفيقالعدل، البيداجوجيا العلمية ، ج١، **مرجع سابق** ، ص٣٢.
٣) مروان إبراهيم القبيس، **الإسلام والمسألة الجنسية**، عمان، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٥م، ص ٦٣.

التربية الرياضية[1]:

يذكر العدل أهمية التربية الرياضية في كونها سبب رئيسي من أسباب تقدم الأمم وبناء الحضارات عبر تاريخ البشرية ولذلك القى نظرة علي أهمية التربية الرياضية عند كثير من الحضارات التي أبهرت العالم بها وهي:

التربية الرياضية عند القدماء المصريين: كانت الحضارة الفرعونية من الحضارات الرائدة في اعتبار الأنشطة البدنية كأحد البرامج المدرجة لإعداد المواطنين تربويًا وعقائديًا حيث تشير الرسومات المتوارثة في أثار المصريين إلى أنهم من أوائل من ما رسو الألعاب المعروفة حاليًا، وأهتم المصري القديم بالرياضة كجزء من التعاليم الدينية، "واعتبرت اللياقة البدنية شرط من شروط الحكم حيث كان الحاكم مضطرًا إلى الجري لمسافة معينة ليتأهل للحكم وهذا ما كان يسمى بشوط القربان وكانت الرياضة الفرعونية منها ما يعتمد علي القوة والعضلات وتخضع لقوانين خاصة مثل القفز والجري والسباحة والتجديف، ومنها ما يعتمد علي العقل والتفكير كالشطرنج ولعبة المربعات"[٢].

كما أهتم الفراعنة في إعداد الأطفال من الصغر بدنيًا وحربيًا وذكر العدل أنهم كانوا يلزمون أولادهم بالألعاب البدنية كالوثب ولعب الكره والمبارزة والمصارعة وقد أورد أن المؤرخ هيرودوت ذكر أن الألعاب التي تقام في مصر علي غرار الألعاب التي تقام في اليونان وكان يعطي للفائزين جوائز ومكافئات وهذه الأساليب ليست بالجديدة علي التربية بل هي من صلب العملية التربوية وأساسها.

---

١) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق** ، ص: ص ٧: ١٠

٢) علي جوده محمد وآخرون، **مصر الحضارة**، القاهرة، المطبعة الاميرية، ٢٠١٤م، ص٣٥.

التربية الرياضية عند اليونان والرومان: وبالرغم من أن التربية البدنية كانت جزءًا من التعليم العام للمواطنين الرومان، فإن قيمتها الأساسية كانت في تدريبات الجيوش، وفي العصور الوسطى في أوروبا من القرن الخامس إلى القرن السادس عشر الميلاديين، كانت الرياضة والأنشطة البدنية الأخرى ضرورية للحفاظ علي الفرد من الزلل المؤدي إلى الذنوب، وخلال عصر النهضة أدى الاهتمام بإحياء الثقافة اليونانية والرومانية إلى عودة الاهتمام بالمنافسة في ألعاب اللياقة والأنشطة المتصلة بتمرينات بناء الأجسام، وبدأ إدخال برامج التربية البدنية في المدارس في القرن التاسع عشر الميلادي في ألمانيا، والسويد، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية[١].

وتركز برامج الألمان والسويديين على ألعاب تقوية الأجسام وترويض العضلات (الجمباز) والتمارين العادية وركزت البرامج البريطانية على رياضة الفرق، وكانت التربية البدنية عند الإغريق جزءًا حيويًا من نظام التربية الإغريقية التي تهدف إلى تنمية قوى الفرد من النواحي كافة لكي يصبح الفرد مواطنًا مستعدًا لخدمة أمته من هنا كانت التربية البدنية الإغريقية عاملًا مهما في لياقة الشعب وحيويته، وقد اتخذها الإغريق وسيلة لاكتساب الصحة والقوة البدنية وتنمية الثقة بالنفس.

(١) حسن توفيق العدل، الحركات البدنية، **مرجع سابق** ص ٨.

ويذكر العدل أن الرياضة عندهم دليل وبرهان وعبادة لآلهتهم، وكان أساس التربية عندهم يقوم علي الموسيقى والرياضة البدنية فالموسيقى تهذب النفوس وتروح القلوب وتربي الذوق الأدبي لدي الفرد، والرياضة تقوى الجسم وتقوم صورته وتجعله معتدل القوام يسير بهيئة الرجولة وتوقظ الحواس وتنشط الأعضاء ولذلك لابد أن يكون هناك جزء من الرياضة لكل الفئات العمرية للإنسان(١).

التربية الرياضية عند أثينا: اعتبرت الأسرة في أثينا هي المدرسة الأولى للطفل منذ ولادته، وهي الركيزة الأولى في نمو شخصية الطفل وتشكيلها، ويبقى الطفل في رعاية أمه حتى يبلغ السابعة من عمره ثم يلتحق بالمدرسة ولم يكن يقصد بالمدرسة ذلك البناء الذي نراه الآن، ولكن كانت المدرسة عبارة عن معلم يذهب إليه الأطفال للتعلم منه أما المكان فقد يكون بناء أو تحت شجرة أو في الخلاء(٢).

وأن الدولة في أثينا لم تكن تتحمل نفقات التعليم بل كانت تعهد بالتعليم إلى الآباء وبمقتضى شريعة سولون أيضًا أشرفت الحكومة على المدارس، حيث رأى سولون ضرورة تعلم كل طفل مهنة، كما حدد ساعات الدرس، حدد الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بمهنة التربية وسنه، وكم من التلاميذ يستوعبهم إشراف المربي الواحد ويذهب الطفل إلى المدرسة حوالي السابعة من عمره، ويقسم اليوم بين الجمباز يوم ودراسة الموسيقى، ففي الجمباز يوم يتدرب التلاميذ على كل التمرينات بالزيوت ليحتفظ برشاقته.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩.
(٢) المرجع السابق ص ١٠.

أما مدرسة الموسيقى فقد عنى بهـــا أيـــام الإغريـــق دراســـة الأدب والتربية الخلقية وفي المدرسة يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب إلى جانب الأغاني الوطنية والشعر، وبذلك نجد أنا لاقتصار على الدور الأكاديمي وتنمية القدرات البدنية والحركية للمدرسة بينما اغفـــل الجانـــب الوجـــداني للتلميذ بما يتضمنه من اتجاهات وميول وتقدير وتكيف اجتماعي "فإذا كانت التربية قد ركزت في زمن ما على المجال المعرفي والمجال النفس حركـــي فإننا جميعًا ندرك الآن مدي أهمية النمو الوجـــداني للتلميـــذ فـــي تكوينـــه كمواطن صالح"(١).

ويذكر العدل أن التربية الرياضية منصوص عليها في الدستور الأثيني وقد قدم المشرع سولون القوانين التي تنص علي التربية الرياضية مما يدل على مكانتها المتقدمة عندهم فينص القانون العام علي إلزام كـــل مـــواطن بتعليم أبنائه الموسيقي والرياضة البدنية وفي المادة الثالثة من ذلك القانون إلزام الأهالي بتعليم الغلمان القراءة والسباحة وجاء في المادة التاسعة منـــه أيضًا تحريم الألعاب الرياضية علي العبيد حتى لا تقوي أجســـامهم وتنبـــل نفوسهم ويدل ذلك علي ولعهم بالتربية الرياضية.

التربية البدنية عند العرب والمسلمين: لم يكن الهدف من التربيـــة عنـــد المسلمين العرب دنيويًا محضًا كما كان عند اليونان والرومان مثلًا، ولم يكن دينيًا كما كان عند الإسرائيليين في الصدر الأول، وإنما كان غرضهم دينيًا

---

١)محمـد عبدالسـلام راغـب، **الحركـة وسـيلة للتربيـة الشـاملة**، الكويـت، شـركة المكتبـات الكويتيـة المحدودة،١٩٨٩م، ص٧٧

ودنيويًا معًا، وكانوا يرمون إلي إعداد المرء لعمل الدنيا والآخرة،وفـــي **القرآن الكـــريم**﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص: الآية ٧٧]

ولتحقيق ذلك قام العرب أيام الدولة الإسلامية إلي التزايد من أمور كثيرة فيها صلاح دينهم ودنياهم فعنوا بتدريس العلوم الدينية والشرعية كما عنوا بتدريس علوم اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيميـــاء والفيزيـــاء والطـــب والهندسة والفلك وغيرها، وفي الحديث قـــال رســـول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن الله ليدخل بالسهم الواحد الثلاثة الجنة" صانعه يحتسب فـــي صـــنعته الخيـــر، والرامي به، والممد به قال: "أرموا وأركبوا، وإن ترموا أحب إلي مـــن أن تركبوا، وكل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملا عبته أهله، فإنهن من الحق"(١).

وفي هذا الحديث ما يحث علي التربية البدنية والحث علي رفعها من خلال الرمي بالسهام وركوب الخيل، وتدريبه لفرسه، وبذلك استطاعوا بهذه التربية الجامعة أن يشيدوا حضارة رائعة قدّمت للعـــالم زادًا ثقافيًـــا علميًـــا وبدنيًا هو الأساس في تطور الحضارة الحديثة كلها(٢).

ويذكر العدل سبب اهتمام العرب بالرياضة خاصة لأنهم كـــانوا كثيـــر الفخر والدفاع عن الشرف والميل إلي الحرب والمبارزة والركض وركـــوب الخيل وحب النشاط وسرعة إجابة المستغيث، وذكر العدل لذلك الكثيرمن

---

١) **مصنف بن ابي شيبة**، ج ٦، (٨) ص ٢١٥، سنن ابو داود، (٢٥١٣)، وسنن الترمزي، (٦٣٧)

٢) عبد الله عبد الدائم، **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتي أوائل القرن العشرين**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ص ١٤٢.

المواقف الموجودة في بلاد المسلمين العرب وما كان يفعله أمراء المسلمين وخاصة هارون الرشيد والسلطان نور الدين، ويظهر لنا فكر العدل الذي يؤثر عليه في كونه رجل عالم بأمور دينه ودنياه يستنبط من القرآن والسنة ومن مواقف العرب والمسلمين "ما يقوي به حُجته ويوصّل غايته ويفيد أمته ومجتمعه"(١).

وكان العدل شغوف بالتربية الغربية وخاصة ألمانيا وانجلترا التي زارها وانتهل من علومها وسجل مشاهده فيهما فانبهر بالتربية الرياضية لديهم وخاصة في مدارسهما فلا توجد مدرسة إلا وفيها مسرح لتعليم الألعاب، ومما انبهر به أيضًا وجود سباق للخيول في ضواحي لندن واهتمام الدولة به وتشجيعه له، وكان يأمل في نقل التربية الغربية إلي مصر بضوابط الثقافة العربية وخاصة أن "في تلك الفترة وبالتحديد عام ١٨٩٤م صدرت بعض القرارات لتطوير التعليم وخاصة الأزهر وبدأ الإصلاح فيه، وبدأت حركة علمية فيه علي يد مجموعة من المصلحين أمثال محمد عبده الذي نادي بحركة إصلاحية جديدة تدعوا إلي الإصلاح الكامل والتربية الحرة والتقدم والمدنية والرقي للمجتمع والأمة"(٢).

وكان ينظر العدل إلي أن هناك أعداء للأمة تتربص بها أعظم خطرًا من المحتل نفسه وهو الجهل والفقر، ويعلم أن جميع المفاسد الاجتماعية والتخلف راجعة إلي الجهل والفقر فهما أساس كل سوء وليس هناك تقدم للأمة إلا إذا انفتحت علي الأمم المجاورة ونهلت منها واستفادت من تجاربها(٣).

---

١) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص١٢

٢) محمود السيد سلطان، **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ**، القاهرة، دار الحسام للطباعة والنشر، ١٩٩٦م، ص ٢٣٢.

٣) أحمد علي سليمان، **فلسفة الإصلاح التربوي عند الأمام النورسي**، الجزائر، مؤتمر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ٢٠١٣م، ص ٢٠.

فوائد الحركات الرياضية وتأثيرها في البدن: لا أحد يستطيع أن ينكر أهمية التربية الرياضية للجسم ولكن لابد وأن نعرف كيف يكوّن الإنسان صورته عن نفسه، وأهمية هذه الصورة في عملية التربية والنشأة له، ويتكون الجسم من نموذج ثلاثي الأبعاد يتضمن كل من المكونات الإدراكية، والمكونات الذاتية، والمكونات السلوكية، وتختلف هذه التصورات باختلاف الرياضة التي يمارسها الإنسان والصورة التي يكونها عن جسمه فيتم التركيز علي كيفية ما نشعر به تجاه حجم وشكل أجسامنا والدقة التي ندرك بها أحجام أجسامنا أيضًا، "وتتكون هذه النماذج في سن مبكرة للغاية وعندما نكبر فإننا نكون صورة لنا علي قدر مرورنا بتجارب كثيرة تؤثر هذه التجارب علي إدراكنا لأنفسنا ولأجسامنا ومشاعرنا وسلوكياتنا"[1].

ولذلك ينادي العدل بالتربية الرياضية لدي الأطفال بل يجعلها حق وواجب للأبناء علي الآباء فيقول: "وعلي أولياء أمور الأبناء أن يمرنوهم ويأخذوهم بتلك الحركات وأنواع الرياضات منذ نعومة أظفارهم ليفرحوا بالحياة ويسروا بالمعيشة فإن الطفل إذا تعود علي الدعة(الكسل) لا ينمو جسمه النمو الطبيعي بل يضمر ويبطئ وربما أصابته عيوب جوهرية أو عرضية كاعوجاج أعضاء البدن ونقص بعض الحواس"[2]، ويظهر في ذلك إيمان العدل بالتربية الرياضية منذ الولادة، ويجعلها واجب علي الآباء، وبذلك لابد وأن تكون أيضًا واجبه علي المؤسسات التربوية أيضًا بشكل عام كما هي واجبة علي الآباء بشكل خاص، وتفعل هذه الرياضات داخل

---

١) كريم ذكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، **مرجع سابق** ١٩٩٠، ص٣ .

٢) حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية، **مرجع سابق**، ص ٢٩.

المدارس والنوادي وتكون بجانب المواد الدراسية؛ لأنها تساعد في بناء عقل الطفل بالإضافة إلي جسده وقوامه معًا، وبالنسبة لفوائد الحركات الرياضية للجسم فنظر إليها العدل علي أنها تبعث في الجسم الحياة وتساعد الجسم علي القيام بوظائفه، ويقسم العدل العضلات التي تحتاج إلي تمرينات رياضية إلي:

أ. عضلات الكتفين: وعليها يتوقف قوة الصدر وسعة تجويفه واتساع جداره وبقوته واتساعه يقوي التنفس فتقوي الدورة الدموية، ولا يكون ذلك إلا بالتمرين.

ب. عضلات البطن: فيتوقف عليها الهضم وإفراز العصارة المعدية فيقويان بقوتها ويضعفان بضعفها، والرياضة تجعلها تقوم بوظيفتها في محاربة الأمراض الضارة بالمعدة.

ت. عضلات الظهر: ومهمتها تقويم القامة واعتدال أعلي البدن، وبدون تمرينها وترويضها بالحركات الرياضية يُعوج الجسم ويضمر وتقبح صورته وهيئته[1].

ولا يترك العدل عملية الرياضة البدنية تتم بصورة عشوائية بل وضع لها عشرة تنبيهات لاستعمالها[2]، ومما يدل علي ذكائه وفطنته العالية وعمق معرفته في شتي العلوم الإنسانية فيختم كتاب الحركات الرياضية بخاتمة يوجز فيها مهام كل التمرينات الرياضية ويصنفها علي النحو التالي:[3]

---

١) **المرجع السابق**، ص ٢٨.
٢)حسن توفيق العدل، الحركات الرياضية البدنية،**مرجع سابق**،ص ٣٠.
٣)**المرجع السابق**، ص٨٥.

تمرينات لمنع الاحتقان الدماغي ووجع الرأس والصداع وأمراض الصدر عددها ٦ تمرينات.

١. تمرينات لتقوية التنفس ومنع ضرر المواد الدرنية الرئوية عند ابتداء حصولها، وضيق التنفس، وتنفع لتقوية الصوت لاسيما للخطباء والمدرسين والمنشدين والمصابين بالتأتأة ونحو ذلك وعددها ٤ تمرينات.
٢. تمرينات لمنع فتور الأجهزة التي في أسفل البطن وما يعتريها من الضعف، ولدفع الإمساك المزمن، وضعف الهضم وغير ذلك مما ينشأ عنه وجع الرأس والبواسير وعددها ٥ تمرينات.
٣. تمرينات لمنع الإمساك المزمن وقساوة المواد البرازية وعددها ٤ تمرينات.
٤. تمرينات للمصابين بأعراض البواسير، وللنساء اللاتي يتوقف نزول دم حيضهن وعددها ٣ تمرينات.
٥. تمرينات للمصابين بأمراض الفقر المنوي وهم الذين يكثر نومهم وعددها ٣ تمرينات.
٦. تمرينات للذين يشكون ضعف العضلات والأعصاب وفقر الدم، والروماتيزم، وكثرة السمنة وتنقسم هذه التمرينات إلي ثلاث أقسام:

أ. تمرينات للرجال وعددها ٥ تمرينات.

ب. تمرينات للنساء والرجال الذين جاوزوا الستين من العمر وعددها ٣ تمارين.

ت. تمرينات للأطفال ذكور وإناث لتساعدهم علي نمو أجسامهم وتقوّم من قامتهم وتحافظ عليها من الاعوجاج، ويلزم أخذ الأطفال بالرياضة والحركات البدنية هذه منذ بلوغهم السنة الرابعة من عمرهم سواء في المنزل أو المدرسة، ويحسن بالآباء والمعلمين أن يرشدوا الأطفال إلي كيفية عمل هذه التمرينات بحيث يكونوا تحت ملاحظتهم وعددها ٣٦ تمرين.

وبهذه التمرينات المهمة يصل الفرد إلي النمو الجسمي والنفسي، وتترك فيه أثرًا واضحًا في شخصيته والتي قد تجعل منه فرداً سليمًا نفسيًا وجسميًا وأشارت بعض الدراسات[1] إلى أهمية التمرينات "على أنها تعمل علي تجاوز أزمات النمو وفي مراحل النمو في مراحل العمر المختلفة مما يكون لها بالغ الأثر في توافق الفرد النفسي والاجتماعي وبالتالي توافقه الدراسي والذي سوف يعطيه دفعه قوية للإنجاز الدراسي".

٥. التربية السياسية:

المتأمل في هذا العصر بجميع همومه وتجلياته وواقعه يوقن بأهمية التربية السياسية لجميع أفراد المجتمع والشباب خاصة لأنهم عدة الحاضر، وقادة المستقبل، وأمل الأمة، وتهدف التربية السياسية إلي إعداد المواطن الصالح العالم بحقوق وطنه و واجباته عليه محبًا له مخالطًا أنفاسه يسير في وجدانه يقدم نفسه وجسده ودمه فداء له، ويشر إلي ذلك العدل فيقول: "واعني بالتربية السياسية تعليم الأبناء واجبات الإنسان لنفسه وأهله وإخوانه وجامعته حتى لدراهمه وملابسه وكتبه مثلًا، وتعريفهم حقوق

---

١) نجمة عبد الله محمد، **النمو النفسي والاجتماعي وفق نظرية اريكسون وعلاقته بالتوافق والتحصيل الدراسي**،رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القري، كلية التربية، ٢٠٠٥م، ص ٧.

وطنهم، وهذا ينبغي مزيدًا من الاعتناء بهم، وتثقيف عقولهم بمعرفة واجباته، وإلقاء محبة الوطن في قلوبهم حتى يمتزج حبه بدمائهم ولحومهم امتزاج الروح بالجسد"[١]، حتى تتحقق التربية السياسية الصحيحة التي تبني المجتمع وفق مشاركة مجتمعية واضحة وصحيحة.

أحوال المجتمعات السياسية:

يري العدل أن المجتمعات لا تخلو من حالة من أثنين بينها وبين حكامها الذين يشير إليهم العدل بالسياسة فيقول:"[٢]

١. أن تكون تلك الأمة عالمة حق العلم بحقوق مجتمعهم، وبما يلزم لهم من تأسيس قانون يحفظ جامعتهم وتري المسوس والسائس[٣] نفس واحدة حلت أجسامًا متعددة.
٢. أن تكون تلك الأمة جاهلة بواجباتها لا يدرون ما هم عليه فيصبح المسوس والسائس قد تقاربًا جسميًا وتباعدًا مقصدًا، ويري سائسهم أن يسير بهم طريقًا يحمدون مغبته ساروا وكأنما يساقون إلي الموت.

ويتضح من ذلك أن العدل وضع العلامة التي تربط الحاكم بالمحكوم من الناحية السياسية وأشار أن لا يكون هناك انفصام سياسي داخل المجتمع بين الحاكم والمحكوم وكافة الشعب بل يجب أن يكون الحاكم كالرأس والشعب كالجسم حتى تحدد الغايات ويصل إلي الأهداف، بل يحذر العدل من الفرقة والشتات السياسي وكأنه يعيش بيننا الآن، فيريد أن يكون السياسي والحاكم والمحكوم علي قلب رجل واحد لما لذلك من الفائدة.

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة سعيد أفندي العدل، **مرجع سابق**، ص ١٥٥.
٢) **المرجع السابق**، ص ١٠١.
٣) **السائس**: ويقصد به العدل رأس المجتمع السياسي وهو الخديوي.

ويؤكد ذلك بقوله: "علي الذين يشردون من أبناء المجتمع عن القادة السياسيين "ومثلهم كمثل الحمر المستنفرة الموكفة يجتمعون للشعير متى يرونه، ويعبسون إذا رأوا أوجه اللجم، بما لتلك اللجم من الفائدة[١] العائدة عليهم التي لولاها لأفني بعضهم البعض، وأهلك قويهم ضعافهم، وذلك إذا سلموا من عادية غيرهم"[٢]، وأشارت بعض الدراسات[٣] إلى أنه يجب علي الوطن تعليم أبنائه التربية السياسية ضمن التربية العامة للدولة؛ لأن الثقافة السياسية باعتبارها إحدى فروع الثقافة العامة تساهم في تعزيز الشرعية علي نظام توزيع السلطات والقيم داخل المجتمع"،

ويري العدل أن التربية السياسية تختلف باختلاف الأزمنة والأماكن فأحياناً تتطلب رفق من القائد ولين نحو شعبه فلا يمنع بالحرس والحصون عن رغبته، وأحياناً يتطلب الأمر أظهار عز الملك والظهور بمظهر العظمة،وإحداث الرعب في قلوب المعتدين ويضرب العدل لذلك مثالًا بين ولاية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان في مجتمع عالم بحقوقه عارف بواجباته فكان يسير كأحدهم "إذا سار سار رجلًا فريدًا، وإذا غلبه النوم يعمد إلي شجرة فينام في ظلها وسادته الحجر وفراشه الحصباء، وفي ذلك الوقت كان معاوية واليًا علي الشام من قبل (عمر بن الخطاب). فكان يظهر عز الملك ويظهر العظمة ليحدث الرعب والمخافة في قلوب أهل الشام"[٤].

التر ابط السياسي:

---

١) ويقصد من كل ذلك أنه يريد توضيح فائدة القوانين التي تضبط المجتمع ويخرج عليها المفسدون والمخربون.
٢) عبد المنعم محمد سعيد رحلة حسن، **مرجع سابق**، ص١٠٣.
٣) دراسة عمر مصطفي محمد، **العولمة الثقافية والسياسة العربية برامج الإصلاح الديموقراطية والثقافة والسياسية والمشاركة في الوطن العربي**، رسالة ماجستير منشورة، كلية الدراسات العليا – نابلس فلسطين، ٢٠٠٥م،ص٩.
٤) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص١٠٤.

ونعني به تأهيل الفرد سياسيًا ليصبح مواطنًا يمتلك القدرة على التفاعل الإيجابي ضمن نسق سياسي معين، ومن خلال الدور الذي يتقلده ذلك الفرد في إطار العمل الجماعي المتعاون، "وهذه العملية تخدم المجتمع حيث أنها تساعد على حفظ التقاليد والتعليم، والمؤسسات السياسية لذلك المجتمع"[١]، ويشير إلى ذلك العدل فيقول: "ولتعلم أن علاقة الساسة من الرعية كعلاقة الدماغ والأعصاب من الجسم، أو الوكيل من الموكل، وكان الساسة لفلاح الرعية وليست الرعية لراحة الساسة، فإن سيد القوم خادمهم"[٢]

وهذا يدل على توجيه العدل للقادة السياسيين فالأمر لهم تكليف وليس تشريف فيعمل القائد السياسي مع مؤسسات المجتمع لغرس التربية السياسية في كافة أفراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم؛ لأنها بصورة بسيطة تكسب الفرد "المعايير الاجتماعية عن طريق مؤسسات المجتمع المختلفة والتي تساعد على أن يتعايش سلوكياً معها من خلال توجهاتهم السياسية الخاصة، وتقييماته البيئية ومحيطه السياسي"[٣] فتصبح التربية السياسية وسيلة لتعديل الثقافة السياسية السائدة في المجتمع وذلك لخلق ثقافة جديدة تراها النخبة الحاكمة ضرورية للعبور بالمجتمع من حالة التخلف إلي التقدم والرقي من خلال التربية السياسية.

---

١) *Kenneth, p, Langton, **political socialization**, now yor, oxford press, **L**ondon ١٩٦٩, Toronto p. ٤ univiersity.*

٢) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ١٧٦.

٣) ***H**man, h, **H**erbert: **political soclalization**, astady in the psychology of political behavior, **N**ew, **Y**ork, free press of glenceoe, ١٩٥٩, p. ٢٥.*

الأزمات السياسية:

ويحذر العدل من الفرقة السياسية ويحذر المعارضين السياسيين من خطورة الأقدام على تدمير الوطن بدلًا من مساندته وتحقيق مصالحه العليا مع كافة أفراده فيقول: "وليعرف الذين بأيديهم أزمة السياسة أن القدرة التي أوتوا نصيبًا منها قد أعطيت لهم لنشر العدل وبث الخير وكف الأذى ودفع الضر عن الرعية. فهم في الحقيقة وكلاء الرعية والأمناء عليها"(١).

ومن هذا المنطلق لابد أن تلقى مسئولية التربية على عاتق كل من القائد السياسي والأحزاب السياسية، والمؤسسات المجتمعية، والأسرة، والمدرسة وغيرها كلا على قدر تأثيره في الناس والمجتمع فمثلًا الحزب السياسي "يوفر العمل لعدد كبير من الناس ويجعل بينهم وبين الحكومة القائمة صلات متنوعة، وهو يوفر المعلومات ويحقق التكامل بين الجماعات المختلفة ويقترح البرامج القومية فهو يقوم بدور هائل في التنشئة السياسية"(٢).

ويوجه العدل القادة السياسيين إلي تنوع الطرق في التربية السياسية وفق اختلاف الأحوال والأماكن والأزمنة فيقول "فلكل وقت حكم ولكل أمة عقول تختلف بمرور الأزمنة التي لأجلها يجب أن يختلف نوع ما يؤخذون به إما لينًا وإما عنفًا حتى تصل بهم السياسة إلي الطريق التي سنها جل شأنه وعز سلطانه على لسان أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام"(٣).

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ١٧٦.

٢) مولود زايد الطبيب، **التنشئة السياسية ودورها في تنمية المجتمع**، الأردن، المؤسسة العربية الدولية للنشر، ٢٠٠١م، ص ٨٢.

٣) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ١٠٩.

ويجب على القادة السياسيين إتباع اللين والتدرج في تطبيق القوانين وخاصة ما يلمس أمور الدين والاعتقاد والآداب والأخلاق حتى لا يصطدم الناس بالقادة السياسيين وإن كانوا يهدونهم إلي الطريق المستقيم، وذكر العدل موقف لذلك ختم به حديثه عن التربية السياسية فقال: "قال عبد الملك لأبيه عمر بن عبد العزيز: يا أبت مالك لا تنفذ الأمور[١]، فو الله لا أبالي في الحق ولو غلت بي وبك القدور فقال له: لا تعجل يا بني فإن الله تعالي ذم الخمر مرتين وحرمها في الثالثة وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق فيدفعونه"[٢]، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الرفق محمود الطريق مأمون العواقب.

٦.التربية الاجتماعية:

أنها المؤسسة التربوية الأولي التي يبدأ فيها الطفل حياته كونها تقوم بدورها في تشكيل الاتجاهات الأساسية لنمط شخصية الإنسان ونوع علاقته مع الآخرين، ونمط تكوين اتجاهاته وميوله إلا أنها لم تعد تتأثر بالتنشئة وحدها في عالمنا المعاصر نتيجة الانفجار المعرفي والتقدم العلمي وثورة الاتصالات الهائلة مما أدى إلى "الاهتمام بالتعليم عن طريق المدارس التي أنشأها المجتمع لخدمة أغراضه وأهدافه ومن تلك الأغراض تربية أبناء المجتمع وتنشئتهم"[٣].

---

١) **المرجع السابق**، نفس الصفحة.
٢) **المرجع السابق**،نفس الصفحة.
٣) فايز عبد العزيز الفايز، **المدرسة والتنشئة الاجتماعية**، بحث منشور، كلية التربية – جامعة الملك سعود (د.ت) ص١.

ويدعو العدل أبناء المجتمع إلي نهل المعارف والعلوم "حتى تصدر عنهم الأعمال التي تنفع وطنهم وتجعلهم في تعداد المعدودين في العالم الذين لهم اليد البيضاء بالمآثر العلمية والعملية في هذا السواد الأعظم"(١) فالتربية الاجتماعية موجودة في غرائز الإنسان فهو اجتماعي بطبعه وطبيعته، وهو دائمًا يعتمد على الآخرين في حياته ولذلك لابد وأن يحيا حياة اجتماعية تقوم على "أساس من التكامل بمعنى أن الإنسان يميل إلي تكوين علاقات اجتماعية مع شخص يجد فيه من الصفات والخصائص ما يكمل بها صفاته وخصائصه(٢).

تربية مجتمع:

لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده وثقافته الخاصة به والتي تميزه عن غيره، وغالبًا ما تحدث التربية الاجتماعية بصورة تلقائية من خلال التفاعل الاجتماعي مع الأبناء والصحبة والرفاق وغيرها وهذا ما التمسه العدل حينما ذهب إلي برلين ونظر إلي المجتمع الغربي في تربيته فوجده يحث على تنمية الفكر عند الأبناء "ويزيد من فطنتهم، وينمي ذكاءهم، ويعذب لفظهم، فيكبرون وقد أشرب في قلوبهم الفخار بالآداب والمعارف"(٣)

ويقيس العدل التربية في بلاده مقارنة بالدول الأوربية فيجد العجب العجاب في ذلك الأمر وكأنه يعيش بيننا الآن كما يذكر الدكتور سعيد إسماعيل علي موضحًا الحالة الاجتماعية الراهنة فيقول: "أجلس مع أي

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ٧٨. أي تطبق شرع الله في الناس والشرعية.
٢) مصطفي الخشاب، **علم الاجتماع ومدارسه**، ج٢،القاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والنشر،٢٠٠٠ ص٢٠.
٣) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ١٢٠.

شخص بطريقة عشوائية، وافتح أي موضوع: مواصلات/ تعليم/ زراعة/ صناعة/ بنوك/ مستشفيات/ الخ سوف تجد الأنين قد يصل إلى عنان السماء لا فرق بين من يملك المال ومن لا يملكه"[١]بينما يذكر العدل الفرق بين المجتمع الأوربي ومجتمعنا فيقول: "فإذا قست هذا المجتمع (الأوربي) بمجتمعاتنا الآن رأيت الشيء ونقيضه فترى الواحد يأتي بولده إلى مجتمع أصحابه لا يقصد بإحضاره إلا الضحك والمبسطة والتسلية به ولا يسمع الولد إلا السب والشتم من أصحاب أبيه مظهرين أنهم مسرورين لأبيه"[٢].

وهؤلاء جميعًا لا يعلمون أنهم يقومون بعملية تربية اجتماعية وأخلاقية للطفل وتصبح ثقافة لديه إذا كبر كما أكدت بعض الدراسات[٣] "أنه يندر لطفل ينشأ في وسط تربوي سيء أن يبقي ذا أخلاق حسنة، وكذلك يندر أن يغدو ذا أخلاق ذميمة إذا نشأ في جو تربوي طيب يعبق بمكارم الأخلاق".

ويذكر العدل موقفًا كاملًا لنقل التربية الاجتماعية لدى الطفل المصاحب لأبيه حينما يبكي في مجلس أبيه فيقول: "وأغرب من ذلك أن أباه يستشعر من نفسه وقتئذ أن أصحابه قد حسدوا ابنه حتى ظهر بذلك المظهر، ويجد من نفسه لهم كرها، ولم يعلم بأن ذلك ناشئ من سوء تربيته ورداءة تدربيه ثم يتفرق مجتمعهم وقد تعلم الولد عدد عظيمًا من كلمات السب والشتم وتمرن على أعمال الشر، وارتكز في فكره أن البكاء والتمرغ على الأرض سببان في بلوغ أمانيه"[٤].

---

١) سعيد إسماعيل علي، **ثقافة المقهورين**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص ١٨٧.

٢)عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ١٢٠.

٣) ميسون محمد عبد القادر، **التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسئولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدي طلبة الجامعة الإسلامية بغزه**، ماجستير منشور، كلية التربية – الجامعة الإسلامية غزة ٢٠٠٩، ص ٥٠.

٤) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ١٢١.

التربية وفق طبقات المجتمع:

من ثوابت المجتمع الإنساني أنه مجتمع واحد ينحدر من أصل واحد، ورغم ذلك تجد أن هناك اختلاف بين الناس في الـرزق والعمـل والتربيـة وهي سنة كونية قال تعالي: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الزُّخرُف: الآية ٣٢]

فنجد أن لكل طبقة من طبقات المجتمع نوع خاص في التربية، ويقف العدل على كل طبقة من طبقات المجتمع (الأغنياء –الطبقة المتوسطة–الطبقـة الفقيرة) ليحدد نوع التربية الاجتماعية لكل منهم، وبالتأمل فـي مشـاهداته عن هذه الطبقات فنجد أنها لا تختلف كثيرًا عما هـو كـائن فـي الوقـت المعاصر.

تربية الأغنياء: فيذكر العدل بأنها التربية الأقل حظًا من التربية أي بمعنى هي أقل فئات المجتمع حرصًا على التربية النافعة فيقول العدل: "وأما تربية الغني لولده عندنا فهي أسوأ تربية، وذلك أن الغني منا متى بشر بأن مولاه قـد أولـده ولدًا بادر إلي إحضار المرضعات والخدم ليقوموا بتنشئته، وحينما يبدأ في الـتكلم يختلط بالخدم وأبنائهم، ومتى بلغ سن المدرسة فيأتيها وينقطع عنهـا أيـام ولا يتعلم شيء يستحق الذكر وإذا كبر يسهر مع أصدقائه الليالي الطوال إما خارجًـا أو بالمنزل، ويصرف لأجلهم كل ليلة مبلغًا عظيمًا من الدراهم حبًا في سماع كلمة تنكيت يضحك عليها سواد الليل"(١)، وليس هذا عن واقع الحال المعاصر في بلدنا

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، **مرجع سابق**، ص ١٢٨.

ببعيد في تربية أبناء الأغنياء ورجال الأعمال الذين يمتلكــون الازدواجيــة في السلطة والمال وما واقع تربيتهم عن المجتمع ببعيد.

تربية الطبقة المتوسطة: وتشمل هذه الطبقــة عنــد العــدل التجــار وموظفي الحكومة من الكتاب والمأمورين، وينتقد العدل كبار التجار الــذين يسيئون تأديب أولادهم بعمل محال تجارية لهم ويعلمونهم أســاليب الغــش والتدليس على الناس ويجعل الصبي بعد ما يكبر في هذا الجو محل تجارته وكرًا للنساء. أما موظفي الحكومة فيثني على تربيتهم العدل؛ لأنهــم كــانوا يعلمون أولادهم إنما وصلوا لما هم فيه نتيجة جهودهم وعملهــم فيتربــى أبناءهم على الاعتماد على أنفسهم.

تربية الفقراء: ويلتمس العدل العذر لهذه الطبقة في تربيتها لأبنائها فيقول: "وأما تربية فقرائنا المعوزين لأبنائهم واعني بهم العمال والصناع فهي وإن كانت رديئة جدًا فليسوا بملومين وذلك لاضطرارهم وفقرهم المدقع"(١)، وبــذلك يكــون العدل قد تعرض للتربية الاجتماعية في كل طبقات المجتمع ناقدًا تربية الأغنيــاء وكبار التجار من الطبقة المتوسطة وعاذرًا الفقراء الــذين يحتــاجون لأبنــائهم وينادي بضرورة تربية نفوس الأطفال تربية اجتماعية كما يربيه أولياؤه تربيــة جسمية سليمة.

التر ابط الاجتماعي:

ويذكر العدل أن الترابط والائتلاف الداخلي بين الناس يكــون نتيجــة الميل الطبيعي للآخر أو نتيجة التجانس في الأحوال النفسية مع الآخــرين، وأما الميل الخارجي فيكون نتيجة الأغراض والمقاصد سواء كانت حميدة أم

١) المرجع سابق، ص ١٣٠.

ذميمة فالحميدة كصحبة وميل العالم للعالم والصانع للصانع والتـاجر للتاجر والأديب للأديب وهكذا، وأما الذميمة كالأفعال الشريرة كصحبة وميل العاهرات للعاهرات واللصوص وأصحاب الشراب ومحركي الفتن وشواذهم، ورحم الله من قال: "الطيور على أشكالها تقع[١].

٧.التربية الصحية:

تعتبر من وجهة نظر العدل أنها تعديل لسلوك الأفراد واتجاهاتهم فيما يتعلق بصحتهم، وذلك عن طريق تزويدهم بالمعلومات الصحية المناسبة ويتم ذلك بإتباع الأساليب الصحية بداية من كون والطفل جنين في بطن أمه مرورًا بالولادة إلي أن يصل إلي سن البلوغ، وتوصلت بعض الدراسات[٢]إلى أن التربية الصحية "كانت ولا زالت هدفًا يسعى إليه كل فرد في كل مجتمع يتطلع للوصول إلى درجات الرقي والاستقرار"، وإذا أردنا أن نربي أبناءنا لابد وأن يأتي الاهتمام الصحي على النحو التالي:

التربية الصحية للطفل وهو جنين:

الكل يعلم أن العناية بتربية الأطفال تبدأ منذ أحساس الأم بالحمل حيث يكون الجنين تابع للأم في جميع أحوالها الصحية والمرضية كما أكدت علي ذلك كثير من البحوث الحديثة التي أثبتت أن "عمر الأم وصحتها وحالتها الانفعالية ونظام تغذيتها وأنواع العقاقير التي تناولتها والعناصر الكيميائية التي تتعرض لها، وهي جميعًا خبرات تؤثر مباشرة على البيئة الداخلية للرحم وتؤثر بالطبع على الجنين"[٣].

---

١) حسن توفيق العدل، **البيداجوجيا العلمية، ج١**، ص٥٣.

٢) حسن محمد القرني، **دور الإدارة المدرسية في تحقيق أهداف التربية الصحية لطلاب المرحلة الابتدائية بمدينة الطائف**، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية – جامعة أم القري، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ١٥.

٣) أمال صادق وفؤاد أبو حطب، **نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلي مرحلة المسنين**، ط ٢، القاهرة، مكتبة الأنجلوالمصرية، ، ١٩٩٠م، ص ١٥٢.

وتبين معظم النتائج التي حصل عليها الباحثون عن علاقة التغذية بنمو الطفل قبل الولادة ويحدد العدل أنواع الأطعمة التي يجب على الحامل استخدامها فيقول: "ينبغي للحامل أن تبتعد عن الأطعمة الثقيلة الهضم أو الجالبة للحرارة أو المهيجة للأعصاب فهي وإن كانت في هذه المرتبة أقوي وأسرع هضمًا عن ذي قبل.. حيث يتغير دمها فتقع في الأمراض التي ربما سرت إلي الجنين"(١).

وكما أرشد العدل الأم إلى أنواع الطعام التي يجب أن تتناولها يوضح لها كيفية التغلب على بعض الأمراض كالإمساك فيقول: "ولأجل تلافي الإمساك ينبغي أن تتعاطي الفواكه المطبوخة وبعض المواد المرخية"(٢) حتى تتغلب على الإمساك ولا يتعرض الجنين إلى سوء التغذية كما أثبتت بعض الدراسات(٣) من نتائج سوء التغذية وتأثيرها على الجنين، بل هناك بعض الدراسات(٤) تذكر أن سوء التغذية يؤدي إلي ولادة طفل ذي رأسين أو مخه خارج رأسه أوله شعر كثيف.

بل ويضع العدل شروط الملابس التي ترتديها الأم الحامل فيقول: "يلزم أن تكون ملابس الحامل لاسيما في الأشهر الأخيرة من الحمل واسعة لا تضغط على الجسم ومدفئة بالقدر المطلوب"(٥) بالإضافة إلي الاهتمام بالنظافة الشخصية، وأن تكون حركاتها خفيفة وكل ذلك يهدف إلى "العناية بالجنين ومساعدته على النمو والتطور السليم حتى يبلغ غاية نموه فيخرج

١) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**، ص ٧.
٢) **المرجع السابق**، ص ٨.
٣) رشيده عبده حسنين، **سيكولوجية النمو** ج١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٦٥.
٤) محمد نبهان سويلم، **العلم وحواس الأطفال الرضع**، الكويت، مجلة العربي، العدد ٣٤٩، ديسمبر ١٩٨٧م، ص ١٤١.
٥) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**، ص ٩.

إلي الدنيا سليمًا سويًا مهيئًا للعيش وقابلًا للبقاء ومؤهلًا للنمو والتطور"[١].

التربية الصحية للطفل المولود حديثًا:

يذكر العدل بعض الدراسات التي تؤكد علي أهمية التربية الصحية للطفل، وإتباع العادات الصحية أثناء الولادة للطفل ويوضح أهمية الرضاعة الطبيعية فيقول: "من المحقق أن لبن الأم أولى وأفيد للرضيع من لبن غيرها لأن لبنها أنسب لغذائه وأنفع لرضاعته"[٢]، واهتم العدل أيضًا بعرض الأطفال على الأطباء المتخصصين، وأخذهم التطعيمات والتحصينات التي تقوم بها الدولة من حين لأخر، وذلك لتفادي الأمراض والمضاعفات التي تسببها عدم أخذ التحصينات.

مثال ذلك "التطعيم الثلاثي" الذي يعرض الطفل عند عدم أخذه في موعده بعد شهرين من الولادة إلى أعراض أهمها: "عدم القدرة على رضاعة ثدي أمه يعقبه إغلاق لفم الطفل وغالبًا تشنجات له تؤدي بحياته مما يتسبب في ارتفاع نسبة الوفيات لدى الأطفال حديثي الولادة"[٣].

أما إذا كانت الأم هي المصابة ببعض الأمراض ينبغي لها أن تستخدم مرضعة لطفلها "فإذا تعسر على الأم إرضاع طفلها لأسباب جوهرية كأن يكون لبنها غير صالح للتغذية أو قليلًا جدًا أو كانت هي مصابة بأمراض

---

١) محمد صادق زلزلة، **موسوعة صحة الطفل الجنين والوليد**، ج١، القاهرة، مؤسسة دار الكتب الثقافية، (د.ت) ص ٨٠.

٢) حسن توفيق العدل ،مرشد العائلات إلي تربية البنين و البنات،**مرجع سابق**،ص١٧.

٣) *Ministry of health, Arab Republic of Egypt, Immunization in practice vaccination guide for health workers, unicEF, ١٩٩٤, p ٥١-٥٤.*

تمنعها من مباشرة الإرضاع يضطر الحال إلى اتخـــاذ المرضـــعة"(١)، وتؤثر انفعالات الأم على لبن وليدها كما أثبتت بعض الدراسات ذلـــك(٢) أي أن المعاملة الطبيعية والإساءة والعنف والعدوان الشفوي أو الجسماني كل ذلك له أثر على الجنين والطفل بشكل غير مباشر.

وإذا بلغ الطفل سبع أو ثمانية أشهر بدأ في التسنين وتظهـــر عليـــه علاماته التي يذكرها العدل: "وللتسنين علامات تظهر من أطوار الطفل حيث يكون كثير القلق والغضب والحمق والصياح غزير اللعاب محمـــر الخـــدين ساخنهما ومثلهما اللثة"(٣).

التربية الصحية للطفل حتى سن عامين:

ويتحدث العدل عن أهمية التغذية للأطفال في هذه المرحلـــة العمريـــة الهامة فيعوده على الأكل في أوقات محددة، وتهتم الأم بنظافته الشخصـــية ونظافة ملابسه بعد فطامه "ويتم الفطام بطريقة تدريجية عن طريق إحـــلال أطعمة خارجية بديلة عن الرضعات حيث أن المنع المفاجئ للرضاعة يسبب للطفل صدمة نفسية"(٤).

ونتيجة لحث العدل على التربية الصحية للأطفال وسير كل من جـــاء بعده على دربه في مطلع القرن العشرين كان معدل وفيات الأطفـــال يصـــل إلي النصف تناقص تدريجيًا نتيجة "للجهود التي عنيت بالطفل عناية متكاملة

---

١) حسن توفيق العدل،مرشد العائلات إلي تربية البنين و البنات،**مرجع سابق**،ص ٢٤.

٢) *Greenberg, E. M. , Ethinc – specific perceptions about pregnancy as related To bsuedtayus and Their application to clinical identification of abused women, ph. D., Taxaswoman´s university, DissAbst. inT..v. ٥٤,no. ٣sep. ١٩٩٣, p. ١١٨.*

٣)حسن توفيق العدل،مرشد العائلات إلي تربية البنين و البنات،**مرجع سابق**،ص ٣٤.

٤) محمد عماد إسماعيل، **كيف نربي أطفالنا: التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**، القاهرة، النهضة العربية، ١٩٧٤م، ص ٣٦.

ساعدت على اختزال وفيات الأطفال الرضع والتي تقلصت من ١٢٩,٦ طفلًا من بين ألف مولود في عـــام ١٩٥٢م إلـــي ٧٢,٤ طفـــلاً فـــي عـــام ١٩٨٠م"[١].

وخلال هذه المرحلة العمرية يحتاج الطفل إلى الكثير من النوم وتكون ملابسه نظيفة ومكان نومه نظيف، ويجب الخروج به في الهواء النقي "فإن جودة الهواء تعد من أهم الأشياء بعد التغذية والنظافة ولذا يلـــزم الخـــروج بالطفل محمولًا أو راكبًا إلى الميادين الواسعة والفضاء النقي طلبًا لتقويـــة رئتيه وبشرة جسمه"[٢]، ويعرج العدل على بكاء الطفل فإنـــه لغـــة للطفـــل يترجم بها عن إحساساته واحتياجاته، ولذلك ينبغي للأم أن تلاحظ أحوالـــه وتختبر أعماله وتترقب حركاته حسب اختلاف صياحه لتعلم الفرق بين أنواع بكاءه.

التربية الصحية للطفل من ٣:٧ سنوات:

وفي هذه المرحلة يزيد جسم الطفل وتنمو أطرافه وتقوى أجهزته ويؤكـــد العدل على التغذية السليمة والصحية في هذه المرحلة وألا نجعله يعاني من سوء التغذية التي تؤثر على تحصيله فيما بعد "فإن أهم عناصـــر الاســـتعداد لـــدخول المدرسة هو أن يكون الطفل في الروضة صحيحًا ولا يعاني من أمـــراض ســـوء التغذية، لأنها تؤثر على استيعابه الدروس فيما بعد"[٣].

---

١) *Adel Koura, child leqistion in Egypt, unciEf, ١٩٨٩, p. ٤٧.*

٢) حسن توفيق العدل،مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات،**مرجع سابق**، ص٣٥.

٣) *Heavisde. S. etal., ١٩٩٩: public school kindergarten Teachers views on* children Readiness for school. Statistical Anglysis Repot, u.s: district of *Columbia, p* ٢٠٠.

وأشارت بعض الدراسات(١) "أن أطفال الروضة المصـــابين بالأنيميـــا يميلون بالأداء الضعيف في اختبارات المفردات والقراءة وباقي الاختبارات" وهذا يتضح لنا أهمية الغذاء لتكوين بناء الطفل الجسمي والعقلي وخاصـــة في بداية مراحل النمو.

ولابد من تعويد الطفل على النوم في ساعة محددة والاســتيقاظ فـــي وقت معين لأن الطفل أحوج إلي النوم من المراهقين لنمو جسمه، "وعلـــى أولي أمر التربية سواء في المدرسة أو المنزل أن يجعلوا للأطفال نصيبًا من اللعب والرياضة وخصوصًا في أواسط النهار بعد انصرافهم ويأخذونهم بتلك الحركات منذ نعومة أظافرهم ليفرحوا بالحياة ويسروا بالمعيشة"(٢).

التربية الصحية للطفل من ٨ سنوات حتى البلوغ:

وهذه المرحلة حرجة جداً لأن فيها إدراك ووعي لكل ما يدور حولـــه من الأمور والمشاركة في أعمال الحياة المختلفة ويرى العـــدل أن التربيـــة الصحية للطفل في هذه المرحلة تهدف إلي "تعويده على ما يفيد مع إبـــداء النصائح والحكم والأسباب عند اللزوم وأعظم مساعد على ذلـــك أن يكـــون أفراد العائلة مثالًا له في الأحوال والأعمال حتى ينسج على منوالهم ويحذوا حذوهم وإلا فلا تجدي الأوامر ولا تنجح النواهي"(٣).

ويضاف إلى التربية والتعويد والاهتمام بكل ما سبق ذكره فـــي كـــل المراحل العمرية السابقة الاهتمام بالتغذية الجيدة، والمحافظة على النظافـــة الشخصية وتعليمه السباحة؛ فهي تفيد الجسم وتقوي العضلات والأعصـــاب والأجهزة البدنية الأخرى.

---

١) حسن توفيق العدل،مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات،،**مرجع سابق**،ص٧٢.
٢) حسن توفيق العدل،الحركات الرياضية البدنية،**مرجع سابق**،ص٩٢.
٣) حسن توفيق العدل،مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**،ص ٨٧.

وأشارت بعض الدراسات[1] إلى أن النظافة الشخصية والألعاب الرياضية للأطفال عينة البحث أظهرت أنهم يتمتعون بصحة جيدة بالمقارنة بنظرائهم كما اكتسبوا معلومات ومهارات، وتكونت لديهم اتجاهات نحو الغذاء الصحي، كما تمتعوا بالثقة بالنفس والاعتماد على أنفسهم، وينبه العدل على اعتدال الجسم والمحافظة على قوامه بكثرة التمرين والتدريب.

ويذكر العدل أنه يجب الابتعاد عن الحركات قبيحة الصورة كإمالة الرأس وتحريك الرأس أو الحاجبين والإشارات اليدوية قبيحة المنظر التي تستخدم عند الفزع والاستغراب، ويقدم العدل في ختام كتابه "مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات فيقول: "وغاية القول[2] لتعلم الأمهات والآباء أن الأبناء ذكورًا كانوا أو إناثًا محتاجون إلى شدة العناية والملاحظة لتربية أجسامهم طلبًا لجودة الصحة وحسن المنظر والله ولي الهداية والتوفيق".

٨.تربية ذوي الاحتياجات الخاصة:

لقد ووجد الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في كل العصور ولكن نظرة المجتمعات إلي هذه الفئة من الأفراد قد اختلفت من عصر إلي آخر، فقد كان التخلص من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة هو الاتجاه السائد في المجتمع اليوناني والروماني باعتبارهم أفراد غير صالحين لخدمة المجتمع، ومع التقدم وتغير الفكر الثقافي للمجتمع وظهور بعض البرامج التي تعمل على دمج هؤلاء الأطفال مع المجتمع وتكيفهم مع مجتمعهم والاستفادة منهم وفق قدراتهم وحسب إعاقاتهم.

---

١)*petrak, l., ١٩٩٩: prepare your children to eat ٨٠٠٠٠ meals safety. P. T. A>>Today,v. ١٩, No. ٤,PP. ٩٩-١٠٠.*

٢) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات،**مرجع سابق**،ص ١٠٣.

وتعني الإعاقة "التأخر وعدم القدرة، "والمنع ويشير مصطلح الإعاقة إلى مشكلات الرفض الاجتماعي بأشكاله المختلفة أو العجز المستمر الذي يسبب عدم القيام بالدور أو الوظيفة العادية للفرد"[١]، ويذكر العدل مفهوم الأبناء ذوي الاحتياجات الخاصة فيقول: "هم الأبناء الذين فقدوا بعض من الأجهزة الجسمية أو من القوى العقلية كفاقدي البصر وأولي الخرس والمتقاعدين، وكالأبناء البلهاء الذين تظنهم العامة أولياء أو مبروكين"[٢]، وينادي العدل إلى تربية هؤلاء تربية عامة حتى لا يكونوا عالة على الناس، ويحثنا على ذلك ديننا الحنيف فتكون لهؤلاء مدارس خاصة بهم تلبي احتياجاتهم وفق قدراتهم.

ويشير العدل إلى ذلك فيقول: "حتى لا يكونوا عالة على الناس وخدشًا في وجه الأمة ونحن معاشر المسلمون قد أودع الله فينا الشفقة والرحمة فأولى لنا أن نحشر أولئك الأبناء في صعيد واحد فنربيهم تربية تعود عليهم وعلى أمتهم بالخير العميم"[٣] تقدم لهم خدمات تربوية تشمل أنشطة وبرامج صحية وتأهيلية واجتماعية ونفسية وتشغيلية في نفس الوقت، ولكل فرد منهم وفق إعاقته، ويقوم بذلك المهنيون في جميع المؤسسات الخاصة بهم.

مدارس ذوي الاحتياجات الخاصة:

وهي مدارس أعدت لهم خصيصًا كل حسب إعاقته تكون فيها الإقامة الكاملة، وقد يكون لبعض الوقت ولكل الإعاقات كما دلت على ذلك بعض البحوث الأجنبية[٤]ويقرر ذلك العدل فيقول: "وها هي الممالك الغربية لم تأل

---

١) محمد عبد الجواد، **التربية الجنسية للأطفال والمراهقين ذوي الاحتياجات الخاصة**، الإسكندرية، الفقير، ٢٠٠٤م، ص ٢.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ١٢٥.

٣) **المرجع السابق**،ص ١٢٥.

٤) سوزي مايلز، **مدارس ادماج لجميع الأطفال المعوقين في العملية التعليمية**، بحث منشور، بريطانيا، هيئة إنقاذ الطفولة، (د.ت)ص٥.

جهدًا في ذلك فأسست لمثل أولئك الأبناء مدارس خصوصية يعيشون بها ويتربون ويتعلمون حتى إذا بلغوا مبلغهم من الرشد والعلم خرجوا فاحترفوا وعاشوا عيشة راضية مرضية يثنون على الأمة كما ننتفع بهم"(١)،

ويدل ذلك على مدى اهتمام العدل بتربية ذوي الاحتياجات الخاصة كما شاهدها في أوروبا ونحن وبعد أكثر من قرن على وفاة العدل نجد أن مطالبه التي ناشد بها الدولة لم تزل لم تتحقق بعد رغم وجود هذه المدارس في مصر إلا أنها لا تستوعب أصحاب الإعاقات في مصر.

يضيف العدل نوع أخر إلى أصحاب الإعاقات يجعلهم تحت مسمى المحتاجين وهم: "اليتامى والفقراء الذين فقدوا أباهم أو الذين ثبتت جناية آبائهم أو من ليس لآبائهم قدرة على تربيتهم فليس من العدل أن تتركهم الأمة بدون ملاحظة ولا اعتناء بتربيتهم"(٢). وما أحوجنا لتفعيل هذا الكلام في هذا الزمان.

أساليب التربية عند العدل

١. القدوة الحسنة:

وهي من أهم المؤثرات التي توثر في الإنسان وفي تربيته وتكون شخصيته فيما بعد "فالقدوة التي يقتدي بها الطفل أو الإنسان ثم الصداقات التي يكونها فهذه قد تبنى المرء إن كانت خيرة صالحة، وقد تهدمه إن كانت شريرة"(٣)، ويرى العدل أن القدوة الحسنة هي أهم طرق اكتساب التربية لدى

---

١) حسن توفيق العدل،**البيداجوجيا العملية**،ج٢،ص ١٢٥.

٢) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص ١٢٤.

٣) محمد فاضل الجمال، **نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي**، تونس، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢م، ص١١٢.

المتعلم، وهناك الآيات القرآنية التي تحث على ذلك منها قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١]

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [سورة الممتحنة: الآية ٦]

وتعتبر القدوة الحسنة من الأسرة من أهم أساليب التربية خاصة فيما يتعلق بمجال الأخلاق وفى الفترات الأولى من حياة الإنسان، فالطفل يكتسب أنماط السلوك من خلال محاكاة الآخرين، وهذا ما نادت به التربية الحديثة " فتكوين أخلاق الإنسان وحياته وبناء علاقاته الاجتماعية لا تكون بالوعظ وحدة ولا بالحفظ وحده بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتتكون أخلاقه علميا وليبني علاقاته مع بنى الإنسان بالواقع(١).

ومن السهل أن نضع مناهج متكاملة وكتب دراسية نموذجية ولكن هذا وذاك لا يؤتى ثماره إلا إذا صحبه مثال بشرى يترجمه إلى الواقع؛ فيؤكد العدل على أهمية القدوة في تربية الأطفال وخاصة حينما تكون في الوالدين، ولا يريد العدل أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهم ومثالًا يحتذى به الأبناء فقط، وإنما يريد منهم أن يكونا مثالًا لجميع خصال الخير وصورة للآداب التي يغرسونها في أبنائهم ولا يقتصر على ذلك فقط وإنما يكون الوالدين مثالًا للمجتمعات الخارجية، ونموذجًا للوطن الذي يعيش فيه الأبناء

---

١) عصام عطية عبد الفتاح، الآراء التربوية في كتابات أحمد أمين دراسة تحليلية،**مرجع سابق**، ص٨٥.

بل نموذج لخصال الأمة كلها، ويستدل على ذلك بأبيات من الشعر:

وهـــى العائلة بالآبـــــاء .:. خيرها بخيرها وشرهـــا بشرهـــا

إذا كان رب البيت بالدف مولعاً .:. فمشية أهل البيت كلهم الرقص

وكما تكون الآباء تنبت الأبناء فلا يستخرج من الحديـــد الـــذهب ولا يجنى من الشوك العنب، وينشأ الصغير على ما كان والده .:. إن الأصـــول عليها ينبت الشجير"[1].

ويكتسب الأطفال أيضًا القدوة من خـــلال الرفقـــاء والأقـــران والتجـــارب الحياتية والنماذج خير مثال على ذلك فكم من رفيق ضل صاحبه وغوى، وكم من صديق أفلح شأن صديقه وأنار طريقه في الحياة اليومية قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزُّخرُف: الآيـة ٦٧] ولما للصاحب من دور إرشادي وتوجيهي في إبداء النصائح والتوجيه للأصـــدقاء فـــي المواقـــف المختلفة.

ويري العدل أن أفضل مثال لاكتساب القدوة عند الأطفال أفراد العائلة فيقول: "وأعظم مساعد على ذلك أن تكون أفراد العائلة مثالًا له في الأحوال والأعمال حتى ينسج على منوالهم ويحذوا حذوهم وإلا فلا تجـــدي الأوامـــر والنواهي"[2].

ولقد تناول العدل القدوة المدرسية في كتاباته، وأوضـــح أن النظـــام المدرسي بكامله يوثر في تعليم الأطفال من خلال "مراقبتهم للمعلم واختلاف الطباع والاستعدادات والميول لديهم فضلًا عن طريقة التربية والتهذيب

---

١)حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٣.

٢) حسن توفيق العدل، مرشد العائلات إلي تربية البنين والبنات، **مرجع سابق**، ص ٨٧.

والثواب والعقاب المتبع داخل المدرسة حتى تكون التربية بها شاملة ومتكاملة على أكمل وجه"[1]، وما أحوجنا اليوم من رجوع القدوة الحسنة داخل المؤسسات التعليمية حتى تؤتي ثمارها في أبنائنا وينعم بها مجتمعنا.

٣. الحوار والمناقشة:

يعد الحوار طريقة من طرق التعليم التي أتخذها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وذلك لتربية المسلم وغرس العقائد الصحيحة ونبذ العقائد غير الصحيحة، وتأصيل حميد العادات والفضائل، وجاءت الكثير من آيات القران بصيغة الحوار منها قوله تعالي: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٨]

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٦٠]

وغيرها من الآيات التي تشير إلي أهمية الحوار والمناقشة في إقناع الناس وتعليمهم بالطريقة الحوارية التي تعطي للمتعلم بأنه ذا قيمة وشخصية مستقلة يحترمها من يقوم بتعليمه، ولقد جاءت الكثير من

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية ، ج٢، **مرجع سابق**، ص١١٢.

الأحاديث النبوية على صيغة الحوار ومنها قوله(صلى الله عليه وسلم): "أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا هل يبقي من درنه شيء؟ قالو لا يبقي من درنه شيئًا. قال ذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بها الخطايا"(١).

وقوله(صلى الله عليه وسلم): "أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي، وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار"(٢).

ولذلك أعطى العدل الطريق الحوارية أهمية ملحوظة في تعليم الأطفال فذكر من طرق التعليم "أن يخاطب المعلم التلميذ ويجاذبه أطراف الحديث في الموضوع بأن يسأله وهو يجيبه وهذه الطريقة التي تجمع بين المحاورة والسؤال مهمة جدًا فإن بها التلميذ يقتسم المعلم أفكاره وإحساساته، وبها يكون المعلم على بينه من قرائن التلاميذ ومقادير عقولهم ومن تقدمهم أو تأخرهم وتبعث من تنبئهم وتدعوا قواهم العقلية إلى العمل وتعودهم على المهارة في التكلم"(٣).

ويري العدل أنه لا يمكن أن نستفيد من الطريقة الحوارية في التعلم إلا إذا ضبطنا ما نعرضه على الأطفال فنعرض المادة العلمية عليهم في تسلسل وترابط

---

١) صحيح البخاري، **باب الصلوات الخمس كفارة** ، ج٢، (٥٢٨)، ص ٣٥٥، ومسلم(٦٦٧).
٢) صحيح مسلم، **باب تحريم الظلم**، ج١٢،(٢٥٨١)، ص ٤٥٩.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج٢، **مرجع سابق**، ص١٣.

لجذب بعضه بعضًا وهذا ما يسميه العدل "وحدة الموضوع أي لا نعرض عليهم كثيرًا في آن واحد كي لا تتشتت أفكارهم، وأن نتركهم يصوغوا جملًا سهلة بشأن المعروض عليهم"(١)، ويسود مناخ من الألفة بين المعلم والمتعلم بصورة تؤدي إلى تحبيب الأطفال في التعليم وليس النفور منه.

٣.القصة:

كانت القصة وما تزال مدخلًا طبيعيًا ينفذ منه أصحاب الدعوات إلى عقول الناس وقلوبهم لتهيئتهم لقبول ما يلقي عليهم وأشارت العديد من الدراسات(٢) إلى أهمية القصة "فقد اتخذتها وسيلة لغرس بعض القيم الدينية والخلقية والسياسية والاجتماعية والعلمية لدورها وقدرتها على الإقناع العقلي عن طريق المشاركة الوجدانية"، ولذلك فإن قارئها وسامعها لا يملك أن يقف موقفًا سلبيًا من شخصياتها وأحداثها، "فهو ينفعل معها بوعي أو بدون وعي بسبب كونها مزيجًا من الحوار والأحداث والترتيب الزمني مع وصف الأمكنة والأشخاص والحالات الاجتماعية والطبيعية التي تمر بشخصيات القصة".

وقد آمن العدل بأهمية القصة في عملية التربية ولذلك امتلأت مؤلفات العدل بالقصص والحكايات سواء كانت من القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو حكاية أحوال الأمم السابقة أو المشاهدات التي شاهدها في رحلته إلي ألمانيا وسويسرا وبريطانيا، وهناك الكثير من الأبحاث والدراسات التي

---

١) حسن توفيق العدل، **المرجع السابق**، ص١٦.

٢) دراسة سعيد عبد الحميد محمود، **القيم التربوية في القصص القرآني قصة سيدنا يوسف**، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٢م، ص ٢٤، ودراسة حسن إبراهيم عبد العال، **أصول تربية الطفل في الإسلام**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية _ جامعة طنطا، ١٩٨٠، ص٢٩.

تنادي "باقتباس أساليب التربية ونقلها ليستفيد منها القاصي والـــداني وخاصة في مجال التربية ونشأة الأطفال"(١).

ويضع العدل شروط للمعلم الذي يستخدم القصة فيقول:(٢) "أن يكـــون المعلم جيد الحكاية قادر على الأخذ بمجامع قلوب الناشئة يبعث في قلـــوبهم تارة ويخلع قلوبهم تارة أخرى، وأن يتمرن المعلم على الخطابـــة وحســـن الحديث وكيفية سرد الأخبار، وأن يطلع على كثير مـــن القصـــص ســـهلة الأسلوب سلسة العبارة ليجعلها نموذجاً ومنوالاً ينســـج عليـــه، ولابـــد وأن ينتقي المعلم القصص والحكايات التي يقصـــها علـــى تلامذتـــه ولا تكـــون "كالحكايات المملؤة بخزعبلات الجهلة كالتي تلقيها الآباء والأمهـــات علـــى الأطفال في عصرنا هذا المسماة بالحواديت"(٣).

بل يذكر العدل خطورة القصص الخرافية في تربية الأطفال واكتســـاب معارفهم وبمداومة سماع تلك الخرافات للأطفال تجعلهم "لا يدرون حقـــائق الأشياء وترتكز في نفوسهم الأوهام والمخافة فيتركون مـــا يمكـــن ويفيـــد ويتمنون ما لا يمكن ولا يفيد"(٤)، ويضرب العدل مثالًا لذلك نشاهده ونلاحظه بيننا وهو من يتمني أن يخرج له عفريت ويعطيه خاتم ســـليمان ويصـــبح أغنى شخص ويضيع أوقاته في أوهام لا تعود عليه بالنفع في شيء.

أما إذا نظرنا للمجتمع الإسلامي واستخدامه للقصص القرآني، وكيف يكون التوجيه التربوي للأمة فيه، فنجده يؤكد علي "ميل الإنسان الفطري

١)مصطفي رسلان وعبد الجليل حمادي، **طرق تدريس التربية الدينية الإسلامية**، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٩٢م ص ٦٢

٢) حسن توفيق العدل، البيولوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**،ص١٤.

٣)عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ١١٠.

٤) **المرجع السابق** نفس الصفحة.

إلى القصة، وإدراكه ما لها من تأثير ساحر على القلوب فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم"[١]، ولذلك سلك الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالقصة مسلكًا تربويًا عظيمًا في تربية وبأسلوب أصحابه يقوم على السهولة واليسر فكان عليه الصلاة والسلام يضرب لهم الأمثلة ويقص عليهم قصص الأنبياء والسابقين والأقوام الغابرة، ويضع العدل قواعد لاستخدام القصة[٢].

١. أن يحكي المعلم للأطفال ما يفيدهم في الحال والاستقبال.

٢. أن تكون عبارته سهلة بسيطة غير معقدة الجمل.

٣. أن يُخرج المقولات من عالمها إلى عالم المشاهدة والمحسوسات بألفاظه.

٤. أن يشخص موضوع الحكايات تشخيصًا طبيعياً فإذا تحدث عن شجاع مال بعبارته إلى الحماسة، وإذا تحدث عن جبان مال بها إلى الضعف والتهكم وهكذا.

٥. أن يطلب من الأطفال حكاية ما القاه عليهم شفهيًا أو تحريرًا فكما نقصد من تعليمهم القصة اتساع نطاق أفكارهم نرغب أيضًا أن نُقوم من ألسنتهم ونمرنهم على حسن التعبير والإفصاح عما في الضمير.

ولذلك لابد وأن تكون "القصص الخاصة بالأطفال مكتوبة بهجاء صحيح، وجمل كاملة ووضع صحيح لعلامات الترقيم"[٣] حتى تنطبع القصة وكلماتها في ذهن الطفل ويستطيع استرجاعها وتكون أدعى إلى الحفظ وتكون مهارات الكتابة والتحدث معًا.

---

١) سعيد إسماعيل علي، **بحوث في التربية الإسلامية**، القاهرة، مركز التنمية البشرية للمعلومات، ١٩٨٧م، ص ٦٥.

٢) حسن توفيق العدل، البيولوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**،ص١٤.

٣) جبل هوب، **التفكير والتعليم عن طريق الرسم في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية**، ترجمة محمود عزت، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ٢٠١١م، ص ٩٠.

أسلوب الممارسة (التربية العملية)

ينص مبدأ الممارسة على أن تلك الأشياء التي يتم تكرارها كثيرًا يسهل تذكرها على نحو أفضل، وذاك هو أساس التدريب والممارسة، وقد ثبت أن الطلاب يتعلمون بشكل أفضل ويحتفظون بالمعلومات في أذهانهم لفترة أطول عندما يتبعون أساليب الممارسة والتكرار المجدية، ويكمن السر هنا في وجوب أن تكون الممارسة هادفة "فكلما ارتبط التعليم بالعمل كان أثر هذا التعلم وافيًا ثابتًا؛ لأن ممارسة المتعلم لما يراد تعليمه يؤدي إلي ثبات الخبرة التعليمية"(١)، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية ما يشير إلى ذلك فكل العبادات الإسلامية من صلاة وصيام وزكاة وحج أساسها العمل والممارسة.

ويري العدل أنه يجب تطبيق كل ما يتعلمه الفرد في حياته بل أنه ربما يتعلم الممارسة العلمية فيقول: "يجب أن نروض قوى الناشئ العقلية والعملية على تطبيق ما تعلمه شيئًا فشيئًا حتى يثبت ويرتكز في نفسه ويقدر على استخدامه في أحواله استخدامًا عمليًا فالعلم ليس إلا للعمل والمعرفة لا يراد منها سوى القدرة على العمل"(٢)، وعدم الممارسة لكل ما يتعلمه الطفل هو الذي افقد العملية التعليمية رونقها وافقدها مضمونها فنحن أحوج إلى تحويل التعليم النظري إلي تطبيقي عملي يفيد الإنسان في حياته العلمية والعملية.

ويدخل ضمن التعليم بالممارسة عند العدل التعليم عن طريق اللعب وهو أسلوب جديد ضمن استراتيجيات التعلم النشط تطبيقًا للجودة التعليمية

---

١) مصطفي رسلان عبد الجليل حماد، طرق تدريس التربية الدينية، **مرجع سابق**، ص ٦٧.
٢) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص ٢٥.

وسعياً لتقديم خدمات تعليمية ذات جودة عالية، ويكون للعدل السبق في وضع النواة لهذه الإستراتيجية فيقول: "إن للعب وأدواته دورًا عظيمًا وأهمية كبرى في التربية والتعليم ضرورة أن الألعاب هي المدرسة الأولى بانتظامها حالهم وتتربي عقولهم، ولذا يجب على الآباء أن يتعاهدوا أبناءهم باللعب ولا يتركوهم للصدفة"(١)،

ويكون للعب دور كبير في تنمية شخصية الطفل من الناحية المعرفية والسلوكية، ويحسن تواصله الاجتماعي مع الآخرين "فاللعب أداة تربوية تساعد في إحداث تفاعل الفرد مع البيئة لغرض التعليم وإنماء الشخصية والسلوك، ويمثل وسيلة تعليمية تقرب المفاهيم وتساعد في إدراك المعاني للأشياء"(٢) بل يعتبر اللعب طريقة علاجية يلجأ إليها المربون لمساعدتهم في حل بعض المشكلات التي يعاني منها بعض الأطفال مثل الانطواء والعزلة فتحل عن طريق الألعاب الجماعية.

ويشترط العدل للتعلم باللعب عدة أهداف يجب أن يحققها وهي: "أن يربي أفكارهم، ويزيد في تصوراتهم، ويضبط من قوى تخيلهم، ويولي أجسامهم القوة والنشاط، ويبعث فيهم الشغف بالعمل والدوام عليه، ويربي فيهم ذوق التفنن والاختراع"(٣)، ويصور العدل ما شاهده في الدول الأوربية من هذه الطريقة التي جعلتهم يتعلمون وهم يلعبون فاتسعت أفكارهم وتنورت بصائرهم فجعلتهم يحبون العمل ويتفننون فيه ويتقنون ما يعملون ونحن أحق بذلك منهم فإتقان العمل عندنا عمل وطاعة يثاب عليها المسلم.

١) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص ١٠٦.
٢) جهينة المصري، **التعليم باللعب**، بحث منشور، (د. ن) ٢٠٠٩م، ص ٢.
٣) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص ١٠٧.

ويحذر العدل من أن يتحول اللعب إلى تعليم سيء بدلًا من أن يغرس في الأطفال الحلم والتعاون والترابط فيقول: "ويجب منع الناشئة عن أدوات اللعب التي من شأنها أن تهيج الغضب والحقد أو تبعث من الأطماع والشهوات أو تدعو إلى ارتكاب الخداع والخيانة والعناد أو التي يتسبب عنها ضرر جسمي.

وأكدت بعض البحوث التربوية[1] أن الأطفال كثيرًا ما يخبروننا بما يفكرون فيه وما يشعرون به من خلال لعبهم التمثيلي الحر واستعمالهم للدمى والمكعبات والألوان والصلصال وغيرها،ويعتبر اللعب وسيطًا تربويًا يعمل بدرجة كبيرة على تشكيل شخصية الطفل بأبعادها المختلفة؛ وهكذا فإن الألعاب التعليمية متى أحسن تخطيطها وتنظيمها والإشراف عليها تؤدي دورًا فعالًا في تنظيم التعلم، وقد أثبتت الدراسات التربوية القيمة الكبيرة للعب في اكتساب المعرفة ومهارات التوصل إذا ما أحسن استغلاله وتنظيمه.

٤. التكرار والتقليد.

التكرار يظهر في العديد من مواضع القرآن الكريم فنجده في الأحكام والقصص والمواعظ مع الاختلاف في طريقة السؤال وأسلوب العرض ويظهر ذلك واضحًا في آيات العبادات وقصص الأنبياء في القران، وفي الحديث النبوي الشريف نجد صورًا عديدة وأشكال متنوعة لأسلوب التكرار ويدل على ذلك حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) حينما جاءه رجل فقال: "يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال أمك. قال ثم من ؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أبوك"[2].

---

١) ديفيد وجونسون وآخرون، **التعلم التعاوني**، ترجمة مدارس الظهران الأهلية، (د.ن) ١٩٩٥م، ص٢٥.
٢) صحيح البخاري، **باب من أحق الناس**، ج ١٨، (٥٩٧١)، ص ٣٦٣، ومسلم، (٢٥٤٨).

التقليد: ويقصد به تقليد الأطفال لكل ما يلقيه عليهم المعلم من كلام؛ لأن الإنسان مطبوع على التقليد لا سيما الأطفال فلا جرم أن نستخدم ما طبعوا عليه فيما يقوم ألسنتهم ويقوي من إحساساتهم ويدعوهم إلى المهارة في الأعمال واكتساب الأخلاق والقيم الدينية والإسلامية[١].

وأما تقليد ما يلقيه عليهم المعلم من الكلام فله أهمية كبرى بالنسبة إلى الأطفال الذين ليس لديهم القدرة على القراءة والتصفح في الكتب المدرسية، ويمكن أن تكون وسيلة التكرار والتقليد للأصوات هي وسيلة لاكتساب الطفل التعلم ومثال ذلك نجد أن هناك من الأطفال من لا يجيد القراءة ولا المطالعة ويحفظ القرآن والكثير من الأحاديث وأبيات الشعر ويقص الكثير من القصص وما ذاك إلا نتيجة للتكرار والتقليد.

ويشترط العدل المنفعة وحب الوطن عن التعليم فيقول: "ينبغي أن يكون ما نلقيه عليهم يفيدهم في الحال أو الاستقبال وذلك كالدعوات والأبيات الشعرية المتضمنة مكارم الأخلاق أو الباعثة لحب الوطن وأن يكون ما نلقيه عليهم بسيط العبارة سهل الموضوع، وأن يلقى عليهم جملة، ويكون ذلك الكلام بصوت يسمعه الجميع واضح الحروف"[٢]، وقد يكون التكرار للتقرير أو التأكيد أو لزيادة التنبيه أو للتعظيم والتهويل أو التعليم.

١) حسن توفيق العدل، البيولوجيا العملية، ج ٢، **مرجع سابق**، ص ١٩.
٢) **المرجع السابق**،ص ٢٠.

والتقليد في أبسط صورة عبارة عن إتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل فهو "تعبير يهدف إلى تجسيد المواقف والأحاسيس وبلورتها وبالتقليد والتمثيل ينتقل المشاهد ما لا يستطيع صفحات من الكتاب أن تستوعبه"(١)، ونظرًا لحب الأطفال للتقليد نستطيع أن نوصل كثير من المبادئ والقيم من خلاله عن طريق أداء الفصل تقليد الموقف أو القصة دون إعداد مسبق.

ويعرض العدل مجموعة طرق للتعليم عن طريق التقليد والمحاكاة فيقول يحدث التقليد حتى يكون هناك ترابط في "المادة والصورة معًا للموقف أو يكون الترابط في المادة مع تغير الصورة أو التغيير في الصورة مع تغيير في المادة"(٢)، وكل هذه الأنواع تؤدي في النهاية للتعلم عن طريق التقليد، ويكون العدل قد أعتني عناية فائقة بعملية التكرار والتقليد والممارسة في العملية التعليمية.

٥. الثواب والعقاب:

يعتمد المدرسون كثيرًا على العقاب والثواب وتؤكد أغلب الأبحاث والنظريات النفسية أهمية الثواب وتفضيله على العقاب "فقد استخلص ثور نديك من تجاربه أن الإثابة تقوي مباشرة السلوك المثاب، وأن الكائن الحي يكون أكثر ميلاً لخوف الاستجابات الخاطئة"(٣) بينما العقاب يؤدي إلى كراهية التلميذ للمدرسة وكراهية النشاط الذي أدى إلى العقاب، ولذلك يكون التعزيز أفضل طرق التعلم من العقاب غير أن العدل لا يطلق عملية التعزيز، ولكن يقيدها بل وينادى بأن يكون التعليم ليس الهدف منه الحصول على التعزيز، ولكن لابد أن يكون المتعلم شغوفًا بالعلم

١) محمد محمود العبد لله، **الشامل في طرق تدريس الأطفال**، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص ٥٨.
٢) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص ٧٤.
٣) انتصار كاظم جواد، **أساليب الثواب والعقاب وأهميتها في عملية التعليم**، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد٣/٢٦، ص ٤١٠.

ويطلب العلم لذاته، وليس الحصول على التعزيز حتى يتوصل إلى الحقائق التي ينشدها من وراء تعليمه.

ويقول: "يجب عليهم أن يصرفوا أفكارهم عن النظر إلى المنفعة، والفائدة حتى يصير مرمى نظرهم إصابة الحقيقة ليس إلا حيث أن تعليل الناشئ بالمنافع مضر جدًا كالآباء الذين يعطون أبناءهم لكل عمل أي يجرونهم بإعطائهم ما يسر خاطرهم من المأكل اللذيذ أو الملاعب، ومثل أولئك الآباء مع أبنائهم كمثل صاحب القرد الذي يسترزق به فتراه أخذ بيده كسرة من الخبز أو قطعة من السكر مثلًا يشير بها إليه يتعهد بإلقائها إليه إذا نط أو وثب ثلاثًا فإن القرد يعمل أعماله وكل جوارحه مائلة إلى الحصول على الموعود به لا يكترث بأعماله أكانت متقنة الصناعة أم لا[1].

ويرى العدل أنه لابد من استخدام أسلوب الثواب والترغيب وذلك لغرس الفضائل وتوسيع المدارك واستقبال المعلومات من الأطفال فيقول: "ويستخدم إما للترغيب في أمر محمود أو الترهيب لشيء مزموم وذلك بأن يرغبوا الصبيان في الفضائل ويوسعوا دائرة أفكارهم"[2].

ويقتصر التعزيز على المعارف والعلوم والمهارات ويرى العدل أنه لا ينبغي تعزيز الطفل على الأوامر والنواهي أي التكاليف الشرعية، بل يجب أن يطيعوا هذه الأوامر دون معرفة الحكمة حتى يتعودوا على الانقياد والتسليم فيقول: " ولا يجوز في هذه المرتبة تعزيز الأوامر والنواهي بذكر

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٢٢.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل،**مرجع سابق**،ص ١١٠.

الأسباب والمسببات فإن ذلك إعزاز للناشئة على الجدال وإقامة البراهين فرارًا من الوقوع في اللوم أو العقاب بل يجب طلب الطاعة منهم والامتثال للأمر والنهي بدون معرفة الحكمة كي يتميزوا ويتعودا على الانقياد والتسليم"[1].

وينبغي للمعلم أن يؤخر أسلوب العقاب ولا يلجأ إليه إلا في حالة متأخرة من عدم الاستجابة للتعليم إن وصلت به المرحلة إلي استخدام العقاب فلابد وأن يتدرج في استخدامه ويشير العدل إلى ذلك فيقول: "ولا ينبغي المبادرة بالعقاب بل يؤخذ الناشئ أولًا بالنظر الزجري ثم بالتحذير فالإنذار وهكذا على درجة العقاب، وحينئذ يجب إيقاع العقاب دون تأخير حتى يعلم الناشئ أنه نتيجة العصيان وعدم الطاعة"[2]، وهذا ما يضبط العملية التعليمية ما بين التحضير والتعزيز ثم التحذير والإنذار والعقاب في توازن بين الثواب والعقاب باختلاف الزمان والمكان.

٦. التعلم بالمعاينة:

ويقصد به العدل عرض الأشياء المحسوسة أو صورها على أنظار الناشئة ومحادثتهم في شأنها وهذه الطريقة تسمى الآن التعلم الحس حركي أو التعلم عن طريق اللمس "وهو أحد أساليب التعلم يحدث فيه التعلم عن طريق قيام الطلاب بأنشطة بدنية وليس الاستماع إلى محاضرة أو مشاهدة شرح"[3]، وإذا نظرنا إلى المعلومات التي يكتسبها طفل قبل المدرسة ما هي إلا نتيجة المعاينة والمشاهدة وسماع التعبير عنها من الأب أو الأم.

---

١) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص ١٢٩.
٢) **المرجع السابق** نفس الصفحة
٣) **ويكيبديا الموسوعة الحرة**، تاريخ الدخول، ٢٠١٦/٣/٢٥م.

ويؤكد العدل على أن المجتمع الغربي يعلم في مدارسه بهذه الطريقة فيقول: "ولذلك رأت جميع مدارس الأمم المتمدنة الغربية أخذ الناشئة بالتعليم بالمعاينة عند دخولهم المدرسة مباشرة ولعمري أنها لأجود الطرق في تثقيف عقول الأبناء وتوسيع مداركهم"(١)، ومن ذلك المنطلق لابد وأن تفَّعل المعينات والمشاهدات واستخدام الحواس في العملية التعليمية داخل المدرسة وتخرج من الطريقة التي عفا عليها الدهر وهي السماع والتحدث من جانب واحد وهو المعلم دون أن نصل إلى فائدة وثمرة.

ويذكر العدل الغاية من التعليم بالمعاينة فيقول: "وليعلم المعلمون أن الغاية من أخذ الناشئة بالتعلم بالمعاينة هو تمرين وترويض أيديهم وأعينهم وآذانهم وأصواتهم وكلامهم وقوة مخيلتهم وحافظتهم ومفكرتهم"(٢) ويمكن أن نستفيد من التعلم بالمعاينة في المدرسة والمنزل والمدينة والقرية وذلك عن طريق اكتساب الطفل المعلومات من خلال مشاهداته المختلفة في البيئة المحيطة به.

٧. التعلم الحر:

مع ما يشهده العالم من ارتفاع تكاليف التعليم النظامي يأتي التعليم الغير نظامي أو ما يمكن أن نسميه بالتعليم الحر كخيار استراتيجي على مستوي المؤسسات التربوية "فالإنسان لا يقف عند قدر معين من التعليم بل يطلب المزيد ليكون تفاعله مع الأشياء والأحياء أكثر إثمارًا"(٣) فإن الطفل يتعلم من المجتمع أنماطه السائدة فيه ويكتسب منه اللغة أيضًا.

---

١) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص ٤٨.
٢) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق** ، ص ٥١.
٣) أكرم جميل قنبس، **التربية الوقائية والسلوك التعليمي**، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٦م، ص ٤٢.

ويقصد العدل بالتعلم الحر وهو أن يلقى زمام الأمر إلى المتعلمين "ويوليهم الحرية في المادة والصورة وليس للمعلم إلا أن يعرض عليهم الموضوع، ويلاحظهم لدى التحرير، وليعلم أن مثله مع الناشئة كمثل المهندس مع عمال البناء يلقي لهم من المواد وينظر إلى كيفية تركيبها"(1)، وربما يأتي التعليم المفتوح تحت مظلة التعليم الحر ولكن ينبغي أن نزيل القيود والروتين عن التعليم الحر فنحن نعيش الآن في عصر التعلم المستمر حتى نواكب والثورة المعلوماتية والتقدم في وسائل المواصلات والاتصالات ونحن مازلنا نقدس المقعد الخشبي طوال اليوم وطريقة الإلقاء والمحاضرة التي تعتمد على المعلم وأسلوبه ومدى قدرته على توصيل المعلومة للمتعلم.

٨. التربية التقليدية:

إن أهم ما يميز التربية في المدرسة التقليدية أنها قائمة على مبدأ عدم اكتمال نضج الطفل و بالتالي حاجته إلى من يشرف على تربيته، فالتربية في المدرسة التقليدية تقوم على سلطة المعلم والنظام التربوي بصفة عامة لذا فإن المدرسة التقليدية قد فصلت في مسألة السلطة و بات من خصائصها أنها قائمة على فلسفة واضحة جنبتها التناقضات والمفارقات التي تتخبط فيها التربية الجديدة، وتعتمد الطريقة التقليدية على نقل المعلومات من قبل المعلم عن طريق الإلقاء، والمتعلم مستقبل يحفظ ويصم كل ما يلقيه المعلم عليه من معلومات.

ولا يرفض العدل هذه الطريقة بل يضع لها ضوابط متى تكون واجبة، ومتى يُستغنى عنها فيرى أنه لابد وأن يترك المتعلم لأن يحفظ عن ظهر قلب

---

١) حسن توفيق العدل،البيداجوجيا العملية،ج٢،**مرجع سابق**،ص٥٢.

ماله قيمة وفائدة جسمية وعقلية، ولكن ليس في أغلب الأحوال فإن الأخذ بالحفظ الآلي غير مأمون عليه فيؤدى إلى إنسان آلي لا يعمل فكره، ولكن مجرد آلة تردد وتخرج ما بداخلها فقط علمًا بأن الهدف، والغاية من التعلم ليس مجرد الحفظ، ولكن إعمال العقل والتفكير المنطقي في شتى نواحي الحياة، ولذلك نجد أن الذين يتعلمون بالحفظ الآلي دائمًا تقل درجة الفهم لديهم، وبعكس ذلك من يتعلم بالفهم، يربط بين الأشياء بعضها البعض ارتباطًا باطنيًا، ويقف على علة الأشياء أي يفهم المعنى والمدلول من الشيء، وإن لم يحفظه فنجده يحيي لديه الفكر، ويجمع من العلوم الكثير، وتوسع مداركه، ويبلغ الغاية والهدف من التعليم.

وهناك عدد معين من الأشياء التي ينبغي على التلاميذ معرفتها، وإتقان وضعها قيد للدراسة لتطوير التعليم التقليدي وهي خمس معارف أساسية هي(١):

١. معرفة تواجد واستعمال استراتيجيات مختلفة للدراسة والتعليم (معرفة استراتيجيات التعليم)
٢. معرفة التلاميذ لأنفسهم كمتعلمين (معرفة الذات)
٣. معرفة أنواع مختلفة من المهام والأنشطة المدرسية، وما يتعين القيام به من أجل النجاح (معرفة المهمة).
٤. المعرفة الراهنة للمحتوى المدرسي (معرفة المحتوى).
٥. معرفة السياق الذي يجري فيه التعليم (معرفة السياق).

---

١) مارتنان كوف ينشون وكلير إيلين، **إستراتيجية ضمان التعليم الدائم ومحاربة الفشل الدراسي**، فريق الترجمة، الإسكندرية، ما هي للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص ١٢٧

ومعرفة هذه المهام الخمسة (الإستراتيجية، والذات، والمهمة، والمحتوى، والسياق) يجعل المتعلم على دراية كاملة بكل جوانب العملية التعليمية ويخرج من العملية التقليدية فيه إلى عملية الإبداع والابتكار، وهذا ما قام به العدل نفسه حينما كان مطالبًا بحفظ أبيات للحريري في مدرسة دار العلوم فقام بإنشاء المقامة العدلية والمقالة العذلية" واختار لها من الألفاظ العربية ما لا يوجد في المقامة الحريرية التي تقرر عليه وقدمها ونالت إعجاب معلميه وأعفوه من حفظ المقامة الحريرية لما ظهر من نبوغه وتأليفه ومخالفته التقليد الذي لا يأتي بجديد وفي صنع العدل يوحي بإيمانه بمحاربة التقليد بكل صوره وألوانه[1].

وهذا لا يعني أن العدل يحارب التقليد المفيد الذي يحدث من خلال عملية التعلم وخاصة الأطفال الذين يتعلمون في البداية من خلال التقليد، كما ذكرنا ولا ينبغي أن يخص التقليد بمرحلة دون أخرى وأعتبره هام جدًا للأطفال فقال: "فأنت تعلم أن الناشئة المتقدمين في حاجة إلى تقليد معلميهم في أقوالهم وأعمالهم كمقدماتهم ونتائجهم ورسومهم التي يستعملونها في القضايا الهندسية والنواميس الطبيعية والكيمياوية، ولكنه بالنسبة إلى الأطفال أهم جدًا لعدم قدرتهم على صوغ الكلمات والجمل ورسم الأشياء من ذات أنفسهم"[2].

---

١) حسن توفيق العدل، **المقامة العدلية والمقالة العذلية**، القاهرة، مطبعة والدة عباس الأول، ١٩٠٧م، ص ٣.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ٢١.

التربية الشاملة:

لما كان الهدف من التربية إعداد المواطن الصالح النافع في كل المجالات نادى علماء التربية بالاهتمام بجميع جوانب المتعلم النفسية والجسمية والعقلية وزرع القيم فيه، "فهي تربية شاملة تتضمن المجتمع كله بمختلف قطاعاته وبياناته فهي تربية متعددة المجالات ولا تختص بمجال دراسي معين وإنما تشمل جميع المواد"[١].

وكان العدل من أوائل التربويين الذين نادوا بذلك حيث ذكر في كتابه البيداجوجيا العلمية فقال: "لما كانت تربية النشء متوقفة على معرفة ذلك النشء وعلى المقصود منه، وكان الإنسان مركب من شيئين الجسم والنفس حسُن بنا أن نُقسم موضوعنا هذا إلى ثلاثة أقسام: الأول علم الجسم، الثاني علم النفس، الثالث علم الأخلاق الذي يعرفنا المقصود من الإنسان"[٢]، ويتضح لنا من هذا اعتناء العدل بالتربية الشاملة التي تشمل جسم المتعلم وعقله ونفسه وأخلاقه وآدابه، وكل ما يتعلق بحياة الفرد ونشأته وتعليمه.

ولقد فرض التطور في مفاهيم التربية وتجديدها وتنوع أساليب التعليم وظهور المستحدثات في مجال تقنيات التعليم ووسائله، ضرورة الاهتمام بالتربية المستمرة والشاملة للمعلمين والمتعلمين على حد سواء فبالنسبة للمعلمين يتم تدريبهم أثناء الخدمة "حتى يتمكن المعلمين من الإلمام بأحدث ما وصلت إليه البحوث التربوية حتى تضمن رفع مستوى أداء المعلم

---

١) عاطف محمد سعيد وعارف مجيد يونس، **برنامج مقترح في التربية الوقاية بطلاب المرحلة الثانوية في ظل متغيرات العولمة ومتطلبات الحياة المعاصرة**، (د. ن)، ٢٠٠٦، ص ٣٣٦.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥.

وبالتالي رفع إنتاجية التعليم باعتباره ركيزة التقدم للمجتمع ويراعي في ذلك الآتي:[١]

١. ضرورة تحديد الاحتياجات التدريبية في ضوء نتائج تقويم المعلمين للتعرف على الكفايات التدريبية.

٢. التأكد من مراعاة إقامة الدورات التدريبية بما يناسب المعلمين.

٣. العناية الشاملة بجميع الجوانب النظرية والعملية وفق المستجدات التربوية.

٤. إنشاء آلية تكامل شاملة بين أجهزة التدريب في وزارة التربية والتعليم وكليات التربية التي تعد مصنع للمعلمين وتغذية للمؤسسات التربوية بالكوادر البشرية.

ومن جملة ما أشار إليه العدل في التربية الشاملة للمعلم بأن "يرتقي المعلم بنفسه حتى يصبح حكيمًا متبصرًا يضع الأمور في مواضعها عارفًا كيف يأخذ الأطفال حتى يبلغ بهم إلى المقصود عالمًا بوسائط التربية والتأديب، عنده القدرة على أن يتعامل مع كل طفل على حده يعلم طباعه وأخلاقه واستعداداته الجسمية والعقلية وذلك بأن يكون ملم بعلم النفس وعلم الأخلاق"[٢].

أما بالنسبة للمتعلم: فتتمثل التربية الشاملة لديه في إعداده بسمات معينة تجعله قادر على معايشة غزارة المعلومات وعمليات التدريب المستمرة والتقدم التكنولوجي الهائل بحيث لا ينحصر دوره فقط على تلقي المعرفة والإصغاء لها

١) فاروق شوقي البوهي، **التخطيط التربوي عملياته ومداخله وارتباطه بالتنمية والدور المتغير للمعلم**، الإسكندرية، دار الوفا بالدنيا للطباعة والنشر، ٢٠١١، ص ١٩١.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ١٢٠.

ولكن لابد وأن يجيد كيفية التعامل مع هذه المعلومات والاستفادة منها "بحيث يكون طالب عالمي لديه المعارف والمهارات التي تمكنه من مقابلة أو تجاوز معارف ومهارات أقرانه على الصعيد العالمي ومتمسك في الوقت ذاته بالثوابت الدينية والقيم المجتمعية"(١).

ويذكر العدل الغرض من التربية الشاملة للمتعلم هو "تعويدهم على إجراء مقتضيات الحياة المطلوبة، ولا يتم ذلك إلا من خلال تربية قواهم الجسمية والعقلية والأدبية كضبط التخيل والإرادة"(٢)، وعندما نسعى إلى التربية الشاملة للطفل لا يقتصر الاهتمام على تعليمه المعلومات الأكاديمية وتنمية قدراته البدنية والحركية، ولكن لابد وأن يمتد الاهتمام ليشمل بعدًا ثالثًا وهو النمو الوجداني للتلميذ بما يتضمنه من اتجاهات وميول وتقدير وتكيف اجتماعي "فإذا كانت التربية ركزت في زمن ما على المجال المعرفي والمجال النفسي حركي فإننا جميعًا ندرك الآن أهمية التربية الشاملة وخاصة النمو الوجداني للتلميذ في تكوينه كمواطن صالح(٣).

والناظر إلى حياة العدل يجدها نموذج للتربية الشاملة فرغم تربيته على حب المعارف العامة وتخصصه في علم التربية برع في علم النحو أيضًا نظم رسالة فيه على غرار الفية أبن مالك(لم تطبع) كما كتب منظومة أخرى في مصطلح علم الحديث أشار إليها الشيخ الشنقيطي (لم تطبع) كما ألف منظومة في علم الحساب أسماها روضة المدارس بدأها قائلًا:

---

١) مصطفي نمر دعمسي، **إدارة الجودة الشاملة في التربية والتعليم**، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ٢١٦.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ١٣٥.

٣) محمد عبد السلام راغب، **الحركة وسيلة للتربية الشاملة**، الكويت، شركة المكتبات الكويتية المحدودة، ١٩٨٩م، ص ٧٧.

أهديكم أهـل المـدارس روضـة غنى بها القمر بنظـم حسـاب
إن كنـتم لا تقبلـون هديتـي فالله يرزقني بغـير حسـاب

بالإضافة إلى عنايته بدراسة الجغرافيا والرياضة والتـاريخ واللغـة الألمانية والفرنسية مما جعله قدوة للمتعلمين في التربية الشاملة[١].

بل جمع العدل في تربيته بين علوم الدين والدنيا فرغم تعلمه بالأزهر وحفظه للقران وحصوله على أربع إجازات فيه وتأليفه أرجوزة فـي آداب الدعاء جمعت كل الآداب التي ينبغي أن تكون في الـدعاء بأسـلوب سـهل عزب في منظومة شعرية يسهل حفظها "إلا أنه أنفتح على الثقافات الغربية ونهل منها وركب قطار التقدم والمدنية والرقي دون الإخلال بقواعد الأصول والقيم الشرقية التي تربى عليها مما جعله في صـدارة التربـويين الـذين يقودون ركب المدنية والتحضر في وقته"[٢]

وإذا أردنا أن نقوم بالتربية الشاملة داخل المؤسسات التعليمية فلابـد لنا وأن نحارب السلوكيات الخاطئة ونزيل الصعوبات ونعالجها أمثال التسرب التعليمي، وتدني التحصيل، والتغلب على الروتين الإداري وضـعف حـافز التعلم والبيئات التعليمية الخربة والمشوهة والمناهج الناقصة في محتواهـا أو أهدافها أو عدم تمثيلها لحاجات الواقع من تلاميذ ومجتمع، وعدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، "والدروس الخصوصية التي تحول بها التلاميذ

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ١٠.
٢) صالح محمد عبد الفتاح، حسن توفيق العدل، **مجلة الوعي الإسلامي**، الكويت، العدد ٥٤٦، يوليو ٢٠١٢م.

لسلعة تكالب عليها قوى التجارة التعليمية السوداء"[1]، وغيرها الكثير من سلبيات التربية في مصر والوطن العربي.

٩. التربية الوقائية:

ذكرت إحدى الباحثات[2] تعريف للتربية الوقائية على أنها "عملية تعليمية تستهدف إعداد النشء اجتماعيًا وصحيًا بالمشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع"، ومن وجهة النظر الإسلامية عرفها الدكتور مصطفى رجب بأنها هي "مجموعة القواعد الأساسية التي وضعها الإسلام للتحصن من الأمراض المادية والمعنوية والتي من شأنها أن تكسب الإنسان مناعة ذاتية ضد الأمراض المختلفة"[3].

وقسم العدل التربية الوقائية إلى قسمين:[4]

الأول: يبحث عن القوانين الصحية التي تُستعمل تداركًا من لحوق الأمراض وهذا مصداقًا للمقولة الشائعة "الوقاية خير من العلاج"، وقد تنبه لخطورة ذلك فوضع للتربية الجسمية مجموعة من المعايير التي تصلح ذلك الجسد من طعام، وشراب، ونوم، وحركة وإحساس، وأعصاب، وارتداء ملابس وغيرها "ولقد ارتبطت الصحة ارتباطًا وثيقًا بالنشاط البدني وأطره المختلفة كالرياضة والألعاب والتمرينات وغيرها ولقدرات الإنسان هذه

---

١) محمد زيدان حمدان، **التربية المدرسية الذاتية إستراتيجية متكاملة للتعليم والتدريس**، القاهرة، دار التربية الحديثة، ٢٠٠٣، ص ١٢.

٢) حنان عبد المنعم مصطفي، **فاعلية وحدة مقترحة في التربية الوقائية لتنمية الوعي الوقائي لدي تلاميذ الحلقة الأولي من التعليم الأساسي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠١م، ص ٢٦.

٣) مصطفي رجب، **الأسس الشرعية للتربية الوقائية المؤتمر العلمي العربي الأول كلية التربية بسوهاج**، تحت عنوان التربية الوقائية وتنمية المجتمع في ظل العولمة ١٨، ١٩ أبريل ٢٠٠٦م الجزء الثاني، ص ٤٣.

٤) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥.

العلاقة من قديم الأزل ثم أكدتها البحوث العلمية والدراسات في العصر الحديث"[١].

والثاني: يبحث عن نواميس الشفاء منها(أي العلاج من الأمــراض)، وأوكل هذا العمل للأطباء المختصين؛ لأنه يؤمن بالتخصص العلمي، وتكون التربية الوقائية كما أكدتها بعض البحوث العلمية[٢]هــي "المســؤولة عــن الحفاظ على النفس والمجتمع واستثمار العلوم الطبيعية والبيولوجيــة فــي تحقيق ذلك"، ويجب على أولى أمر التربية أن تكون لهم البصمة فــي كــل العلوم، ولذلك اكتفى هو ببعض التوجيهات العامة التي لابد أن يلم بها كــل العاملين في مجال التربية.

١٠. التربية الذاتية:

لابد أن نفرق بين مفهوم الذات وبين مفهوم التربية المدرســية الذاتيــة؛ فالذات بصورة مبسطة هي: الصورة التي يرى الإنسان بها نفســه ولكــن هــل تساءلنا يومًا عن الصورة التي رسمناها لذاتنا أو الصورة التي نسعى إليهــا أو الصورة التي نحن عليها فتربية الذات مهمة وصعبة ومعقدة تتطلب عوامل حتــى تنضج تلك الذات وتصبح في مستوى عالٍ من التربية والرقي.

أما التربية المدرسية الذاتية فهي منهجية سلوكية منظمــة فــي التربيــة الذاتية يتحول بها المتعلمون إلى معلمين لأنفسهم ولأقرانهم والمعلمين والكــوادر المدرسية الأخرى إلى مساندين ومفسرين وموجهين غير مباشرين للتلميذ وبذلك تكون التربية التي نتحدث عنها هي التي تجعل من ذواتنا قمما راسخة ثابتة لا

١) محروس محمود محروس، صحتي في رياضتي من منظور التربية الوقائية، ورقة عمل المؤتمر العلمي العربي الأول، **مرجع سابق**، ص ٤٤٦.
٢) ريهام رفعت عبد العال، **فاعلية وحدة مطورة في الكوارث الطبيعية لتحقيق أبعاد التربية الوقائية في الجغرافيا لدي تلاميذ الصف الأول الإعدادي**،رسالة ماجستير غير منشورة كلية البنات ـ جامعة عين شمس، ٢٠٠٢م، ص٣٨.

تجرفها سيول الفتن ولا تستسلم لعواصف الضعف والخنوع بل "هي التي تمكننا من العيش في زمن الاغتراب والتي تجعلنا نصارع الأهواء والشهوات بكل ثقة وإصرار هي التي تكسبنا يقينا بالنصر في قمة الفشل واليأس"(١).

ويشير العدل إلى أن تربية الذات من أصعب المهام رغم تعلقها بالذات فهي من الإنسان وإليه، وأدى الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي إلى ظهور العديد من طرق التربية والتعلم، أمثال التعلم الفردي، والتعليم الذاتي، وكلاهما أصبح من الواجبات في عصر تتزايد فيه الأحداث، وتتغير فيه المعلومات كل يوم، ونجد أنها فكرة قديمة نادى بها الكثير من التربويين وعلى رأسهم العدل فنادى بالتعلم الذاتي الموجه، والمصحوب بالمساعدة من قبل المعلم.

فيقول "ينبغي أن نلقى في نفوس الناشئة شيئًا فشيئًا محبة البحث عن نتائج الأعمال من جهة مادتها كما نتركهم ليبحثوا عنها تحت ملاحظتنا وتعزيزهم بقليل من المساعدة وأن لا نعرض عليهم الأعمال غير واضحة أو نتائجها قبلها؛ فإن أصابتهم الحقيقة من ذات أنفسهم مما يدعو إلى انتعاش خواطرهم وسرورهم"(٢)، أي أن التربية الذاتية هي التي يقوم بها الإنسان بنفسه واضعًا أهدافًا يسعى إلي تحقيقها لتكوين ذاته.

ولذلك لابد وأن تسعى المؤسسات التربوية إلى تطوير المتعلم وتكسبه مهارات تطوير الذات، وهو "ذلك النوع من النمو والتقدم الذي يخطط له الشخص بنفسه وبمحض إرادته ورغبته بغية تحقيق أهداف محددة، وهو

---

١) محمد زيدان حمدان،التربية المدرسية الذاتية إستراتيجية متكاملة معاصرة للتعليم والتدريس، **مرجع سابق**، ص٥.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٢٣.

تغير مستمر نحو الأفضل وتجديد دائـم يجعلـك تشـعر بالحيـاة"[١]، وأصبحت التربية الذاتية ضرورة ملحة تفرض نفسها على الإنسان المعاصر حتى يسير مع التقدم الفكري والحضاري والثقافي السائد علـى المسـتوى الإقليمي والعالمي.

ويقرر ذلك ويلزم أن "الحضارة العالمية هـي سـباق بـين التعلـيم والكارثة"[٢] ولذلك لابد علينا أن نسعى إلى تطوير نظمنا التربوية وجعلهـا في خدمة متطلبات عصرنا ومجتمعنا في عصر تجاوز فيه حجـم المعرفـة الإنسانية كل ما يمكن قياسه.

وبالوقوف علي مجالات التربية وأساليبها عند العدل نكون قد وقفنا علـي جانب مهم وكبير من فكر العدل التربوي، ولكن يبقى جانب آخر لا يقل أهمية عن السابق وهو بعض قضايا التربية والتعليم التي تناولها العدل، وهذا مـا يناقشـه البحث في الأوراق القادمة بأذن الله.

١) فايز عبد الكريم الناطور، **التحفيز ومهارات تطوير الذات**، الأردن، دار اسامه للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م،ص ١٦.
٢) سعد مرسي أحمد، **تطور الفكر التربوي** ط ١١، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٢م، ص ٥٨٢.

الفصل الخامس
بعض قضايا التربية والتعليم عند العدل وتطبيقاتها المعاصرة

تمهيد:

يتناول هذا الفصل بعض قضايا التربية في مؤلفات حسن توفيق العدل والتي نتطرق لها بالشرح والتفصيل واقفين على أهم النقاط بالتحليل مع إسقاط ذلك على الواقع المعاصر للاستفادة منه ثم نتطرق لأهم المؤسسات التربوية النظامية وغير النظامية ومدى استفادة كل منهما من خلال فكر العدل التربوي وننهي الفصل بالحديث عن عناصر التربية والتعليم بداية بالأهداف العامة ونهاية بالتقويم.

١. تربية المرأة:

المرأة هي الزوجة وهى الأم وهى الأخت وهى البنت وهى نصف المجتمع وتعمل على تربية النصف الأخر، وليس في حاجة إلى أن نسوق الكثير من الأدلة والبراهين التي تؤكد "ما لا يدع مجالًا للشك أن خلق الله للمرأة لم يكن بأية صورة من الصور ولا أي حال من الأحوال خلق عبد لسيد وإنما خلق شريك حياة، وأن التمايز بين فطرة كل من النوعين هو تمايز يتيح فرصة أكثر للتكامل والتعاون لا القهر والاستعباد والاستغلال"[١].

وجاء الإسلام ووضع المرأة في المكان اللائق بها في المجال الإنساني فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل وجعلها وإياه سواء وجعلها أهل للعبادة

---

١) سعيد إسماعيل علي، **ثقافة المقهورين، مرجع سابق**، ص ٨٤.

والتدين ودخول الجنة مثل الرجل، ونهى عن التشاؤم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب قبل الإسلام ولا يزال شأن الكثير إلى اليوم ونحن في القرن الواحد والعشرين وليس الواقع عنا ببعيد، بل وأمر الله بإكرامها بنتًا وزوجةً وأمًّ، "وأعطاها الله تعالى حق الإرث أمًّا أو زوجةً أو بنتًا كبيرة أو صغيرة أو حملًا في بطن أمها"(١)، "ورغب الإسلام في تعليمها، ونظم حقوق الزوجين وجعل لها حقوقًا كالرجل"(٢).

ولذلك ساوى العدل بين المرأة والرجل في كل الحقوق والواجبات، وأوجب تربيتها على الصفات الحميدة، وحسن الظاهر وكمال الباطن، وحينما تصبح زوجة رفع من قدرها وزاد من شأنها فجعلها في المرتبة الثانية مع الأب بعد تقديس الله تعالى، ويتضح من ذلك أن هذا المعنى مستنبط من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

[سورة الإسراء: الآية ٢٣]

وأوجب عليها أيضًا أن تتعلم واجبات إدارة منزلها عالمة بطرق تربية أبنائها، مقتصدة في مال زوجها، وتكفل الدولة تعليم البنات كما تكفله للبنين أيضًا وتعلمهم العلوم والآداب، "وتشارك المرأة في إصلاح وتقدم الأمة مشاركة مع الرجال حتى نصل بالمجتمع ككل إلى التمدن والحضارة"(٣)، وإذا تسألنا ما موقف العدل من المرأة الأوروبية وكيف كان يتعامل معها؟

١) راجع **سورة النساء**، الآيات(٤، ١١، ١٢، ١٧٦).
٢) فاطمة هدي نجا، **المستشرقون والمرأة المسلمة**، القاهرة، دار الإيمان (د. ت) ص ٩.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٣.

يظهر لنا ذكاء العدل في هذا الجانب الذي فرضه الواقع على العدل لظروف رحلاته وانفتاحه على المجتمع الأوربي فهو محافظ في نظرته إلى المرأة، لكنه متزن رقيق أنيس في صحبتها كرفيقة رحلة أو دعوة إلى غذاء من دون أن يترك لنفسه العنان للإفصاح عن مكنونها نحو الجنس الأخر، فالعلم ومجد العلم هما ما يسرق فكره ونفسه بحيث لم يبق لهذا الشاب المتطلع إلى تحصيل العلم وبثه في طلبته من غير العرب مساحة لذاته، وفي مكان ما من أوراقه الشعرية، دوَّن أبياتًا تكشف عن انحيازه الكلي إلى العلم، وفيها تصريح مباشر يطلق فيه عزوفه عن الاتصال العاطفي بالمرأة:

وأنا امرؤ لا يستميل بي الهوى   لذوي القدود ولا ذوات المحجل
أمسي وأصبح في العلوم ولم أقل   يا أيها الليل الطويل ألا تنجلي(١)

ويقف العدل موقفاً معاديًا لحرية المرأة على الطريقة الغربية وبمعنى إباحية المجتمع وتحرره وتحلله من كل القيم التي ترفع من شأن الإنسان فيقول: "التزم الآباء بإعطاء كامل الحرية لبناتهم متى بلغن ١٨ سنة من عمرهن فيتركونهن في المجتمعات والمحافل يتسامرن، ويتداعبن، ويلعبن ويرقصن مع الشباب إلى غير ذلك"(٢) وهو يصف بذلك الانحلال الأخلاقي للمجتمع الغربي ويصوره.

---

١) عبد الحميد صبحي ناصف، **موقع جريدة الحياة، الأزهري الذي قابل بسمارك**، العدد ١٨١١٠ بتاريخ ٢٠١٢/١١/٣م، ص١٩تراث، تاريخ الدخول ٢٠١٥/٧/٧م،الموقع:١١٢١http://www.languearabe.fr/spip.php?article
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ٣١٩.

ويرجع العدل السبب في ذلك إلى كثرة أعداد النساء وقلة أعداد الذكور، بل ربما يصل بالفتاة في المجتمع الغربي إلى المرافقة والمصاحبة للشباب، وهذا ما نهى الإسلام عنه فقال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٥] **وقال تعالى**﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٥]

قال بن عباس: محصنات أي عفائف عن الزنا، والمسافحات هن الزواني المعلنات اللاتي لا يمنعن أحد أرادهن بالفاحشة، ومتخذات أخذان يعني أخلاء[1].

ويصور العدل ذلك المشهد المحرم في الإسلام فيقول: "ويكون ذلك لهما موضوعًا للمراسلات العشقية، ويتراسلان ويتواعدن ليتفسح معها في المتنزهات أوقات الفضاء ويكون مصاحب لها أشهرًا وربما أعوام"[2] ويرفض العدل هذا الانحلال الأخلاقي والتفكك المجتمعي الغربي فيقول: "نعوذ بالله من تلك الفعلة التي هي في الحقيقة حطة في التمدن الإنساني وزلة لما عليه قارة أوروبا من كمال الإنسانية"[3]؛ فنجد العدل يميل في تربية المرأة إلي المحافظة عليها كما هو الحال في المجتمع الشرقي كما يستمد تربيتها من تعاليم الإسلام في المحافظة عليها وإعطائها حقوقها وصيانتها عن كل زلل وسقط في الانحطاط الأخلاقي للبشرية.

---

١) تفسير بن كثير، الباب ٢٥، ج٢، ص ٢٦٠.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ٣١٩.
٣) **المرجع السابق**، ص ٣٢٠.

إلزامية التعليم:

ويقصد به أن يفرض على جميع الأطفال متابعة الدراسة حتى سن معين، وأن يجبر جميع أفراد الأمة على التخلص من الأمية ولا يفرق في ذلك بين الذكور والإناث ولا طبقات المجتمع غني أم فقير، وصدر أول قانون إلزامي للتعليم في مصر عام ١٩٢٤م بعد حصول مصر على الاستقلال الذاتي بمقتضى تصريح فبراير ١٩٢٣م، ووضع الدستور لتنشر المدارس الإلزامية المجانية التابعة لمجالس المديريات وفيها يتم تعليم أبناء الفلاحين والعمال والحرفيين(١)، وهذا ما كان يؤمن به العدل ويتمناه لمجتمعه فيقول: أذكر أمنية لي ألا وهي "فرض وحتم تعليم جميع أبناء الوطن ولا أخشى أن أقول والبنات أيضًا، وحينما كانت الإفرنج تمنع المعارف عن النساء كان العرب يفتخرون بالعارفات منهم"(٢).

ويقصد العدل بإلزامية التعليم لدى الذكور والإناث وهو الحد الأدنى لمحو أمية جميع أفراد المجتمع من القراءة والكتابة وغيرها فيقول: "أن يتعلموا القراءة والكتابة والحساب والأمور الدينية الضرورية وبعضًا من التاريخ والجغرافيا وأضرب مثلًا بإحدى ممالك ألمانيا التي بدأت في أوائل سنة ١٨٦٣م أمر بإلزام الوالدين بإرسال أولادهم إلى المدارس"(٣).

وإذا نظرنا إلى محاولات العدل لتطبيق إلزامية التعليم على المجتمع المصري أسوة بالغربي فنجده قام بعدة محاولات وضرب أمثلة لإقناع الحكومة المصرية بالأخذ بإلزامية التعليم ومما يؤسف في ذلك الموقف أن

---

١) سارة الباز، **قانون التعليم الإلزامي في مصر**، موقع جريدة اليوم السابع، تاريخ الدخول ٢٠١٦/٣/٣٠م. www.youm٧.com

٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ١٦٩.

٣) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ١٧٠.

تكون المدارس في النصف الأول من القرن العشرين "تستوعب نحو ٨٠% من التلاميذ الملزمين ووضعت خطط خلال عشر سنوات إنشاء مدارس واستيعاب كل التلاميذ في سن الإلزام"[١] ونحن الآن في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين ولم نصل إلى الخطط التي رسمت مع بدايات القرن الماضي لاستيعاب جميع التلاميذ في السن الإلزامي للتعليم.

ولمواجهة القصور في بناء المدارس لاستيعاب أبناء المدارس في سن التعليم الإلزامي وخاصة في المناطق المحرومة منها يجب أن تكون هناك مباني تابعة لوزارة التربية والتعليم تشرف عليها وتديرها أشبه بالكتاتيب في الزمن الماضي وهي لا تحتاج إلى الملايين لتصرف على إنشائها وتعم فائدتها خاصة في القرى البعيدة عن المدارس أو المحرومة منها مما يؤدي إلى عزوف أولياء الأمور عن إلحاق أبنائهم بالمدارس والانضمام إلى العمالة الزراعية غير المتعلمة.

وكانت إلزامية التعليم تشغل حيزًا كبيرًا من فكر العدل فلا يجد أي فرصة في رحلته مع مسئول للتعليم إلا تحدث معه عن إلزامية التعليم وفوائد ذلك فيقول: "ومن جملة ما تجازبنا فيه الكلام أني عرضت عليهم سؤالًا كنت شغوفًا بمعرفة جوابه قائلًا كيف يرى الآباء في تلك البلاد والقرى أمر إلزامهم بإرسال أولادهم إلى المدرسة وتعليمهم؟ "[٢]، وكان من أسباب عزوفهم عن التعليم البحث عن الحاجات الأساسية لا الكماليات، وأيضًا أن هناك وسائل لكسب العيش متوفرة بعيدة عن الأخذ بالتعليم وهذا واقعنا الآن وما نعيشه.

---

١) علي حلمي، **دور الشباب في التنمية الاجتماعية والاقتصادية**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣، ص٣٦.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ٣٤٢.

تعميم التعليم:

إيمانًا بالعلاقة التكاملية بين التعليم والتنمية المستدامة، ولأن الإنسان هو أساس التنمية في المجتمع كان مبدأ تعميم التعليم هو تمكين الأطفال في كل مكان سواء الذكور أو الإناث من إتمام مرحلة التعليم الابتدائي على الأقل بصورة مجانية بحتة وليس نص من الدستور ومخالفة له في الواقع، وأثبتت بعض الدراسات[١] "أن هناك فجوة بين النص الدستوري الذي يعلن مجانية التعليم المصري وواقع الأسرة المصرية مما يشير بكل صراحة إلى أن مجانية التعليم لم يبق لها أثر"، ولا تتقدم أي دولة سياسيًا أو اقتصاديًا إلا من خلال التعليم والقضاء على الأمية والفقر.

ويذكر العدل أن هناك علاقة بين التعليم والفقر فيقول: "أن ٦٠% من الفقراء أميون ونحو ١٣% من المتعلمين هم فقراء أي أن نسبة الفقراء الأميون هي ١٦ مرة أكثر من الذين حصلوا على شيء من التعليم"[٢]، ولذلك يجب أن تصاغ سياسة تعليمية تعتمد أساسًا على المشاركة المجتمعية في عملية تعميم التعليم والأساتذة والباحثون في مراكز البحوث، ورجال الفكر والرأي من "علماء التربية، وخبراء التعليم وأعضاء النقابات المهنية ورجال الأعمال، والهيئات الدولية كما أكدت على ذلك بعض البحوث العلمية"[٣]وكل ذلك يعمل للقضاء علي الأمية والفقر معًا.

---

١) دراسة هشام السيد هشام، **دراسة تحليلية للفكر التربوي في مصر من عام(١٩٨١-٢٠٠٥م)**، ماجستير غير منشوره، معهد الدراسات التربوية – جامعة القاهرة،٢٠١٠م، ص٢٥٥.

٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ١٧٣.

٣) عبد الحميد محروس عبد الحميد، **دراسة تحليلية للفكر التربوي في مصر في الفترة من ١٩٨٥ إلي ١٩٩٥م** ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية – جامعة طنطا، ٢٠٠٧م، ص ٥٣٢.

ويري العدل أن تعميم التعليم يقلل من الفقر والذنوب، ولذلك يرى أنه لابد أن تصرف الحكومة جهودها لتقليل الجهل غير مبالية بالصعوبات ولا يائسة من نوال المطلوب فيقول: "ولابد وأن نصرف الهمم في تقليل الجهالة فمن جد وجد ومن لج ولج وما أبقت لنا الأيام عذرًا وبالأيام يتعظ اللبيب"[١].

وعلى الرغم من التحديات والصعوبات التي تواجه عملية تعميم التعليم فإنه لا يمكن أن تقوم بها الحكومات بمفردها دون تعاون مع هيئات المجتمع المدني وخاصة هيئة محو الأمية وتعليم الكبار "خاصة وأن العالم يمر بمشكلات وصراعات متنامية الأمر الذي يتطلب الأخذ بلغة التعليم"[٢]، خاصة بعد الثورات العربية ومسلسلات الفوضى الدامية التي نشاهد يوميًا على الشاشات وشبكة المعلومات وما ذلك إلا نظير الأمية المنتشرة في المجتمع.

ويربط العدل صلاح الأمة بالتعليم ولا تنهار أي دولة من الدول إلا بجهالة أبنائها وكلما زادت نسبة الجهل كلما شكل ذلك خطورة على بناء المجتمع وتقدمه فيقول "فرأيت ضرورة تعميم التعليم في مدن وقرى دولة يرام صلاحها، ومعلوم أن الدولة مجموعة أفراد متى كانوا جهالًا رموا بها في هاوية الجهالة، ومتى كان البعض عارفًا والبعض الأخر جاهلًا ضروا وابطئوا جهل البعض"[٣].

ولذلك لابد وأن تتسع المدارس لجميع أبناء المجتمع لتعليمهم وتثقيفهم وليس هذا فحسب بل ولابد أن تقدم هذه المدارس خدمات تقلل من

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ١٧٣.
٢) سعيد طعمية، **قضايا التعليم وتحديات العصر**، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠٠٨م، ص٥٩.
٣)عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق العدل، **مرجع سابق**، ص ٣٤٤.

نسبة التسرب من التعليم وذلك من خلال "تقديم الخدمات التعليمية الصحية والنفسية والاجتماعية للمتعلمين حيث يمكن أن يفيد كل متعلم إفادة حقيقية من برامج التعليم التي تقدمها المدرسة وإلا زادت نسبة الفاقد في التعليم"(١)، ويضاف إلى ذلك تقديم المساعدات والكساء للطلاب والإثابة المستمرة كما كان ذلك مقررًا في المسجد قديمًا مع إعطاء الكتب بدون مصروفات مدرسية وخاصة للأسر الفقيرة كل ذلك يجعل التلميذ يواصل تعليمه بدون أي عائق ويقلل من نسبة الفاقد في التعليم.

وبذلك نكون قد وقفنا على بعض قضايا التربية التي تعرض لها العدل في مؤلفاته مع عرض الأطروحات التي تساعد لحل تلك القضايا قدر المستطاع والكمال لله.

الاستفادة من فكر العدل التربوي في الواقع المعاصر:

أولًا: مؤسسات غير نظامية:

١. الأسرة:

تبدأ الحياة الأسرية باختيار الزوج زوجته وانتقاءه لها على أساس الصفات الحميدة وحسن الظاهر وكمال الباطن لتكون أمً لأولاده، وكذلك هي تختاره علي أساس الصفات الجميلة فيه مثل الكرم والشجاعة والعفاف، وهكذا كان حال العرب من قبل وتقوم الأسرة علي أساس من المشاركة بين الرجل والمرأة في تربية الأطفال وتعليمهم ويقول العدل: "أنه يجب تعليم

١) عفاف محمد جايل، **بعض معوقات تطبيقه مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية**، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص٨٤.

الأطفال في البداية في بيوتهم تحت عناية والديهم، وأن يكون التعليم جاريًا على حسب نواميس الطبيعة"[١].

وتنى الأسرة على مجموعة من الحقوق والواجبات لكل فرد منها حق وعليه واجب ويقسمها العدل إلى ثلاثة أقسام:[٢]

أ.حقوق الأبناء على الآباء:

ولقد اعتنى الإسلام بالأبناء وجعل لهم حقوق على والديهم في الاسم الحسن، واختيار الأم، وتعلمه شيء من القرآن، فالآباء مسئولون عن تربية أبنائهم "والرجلفي أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها"[٣] فعناية الأسرة بالأبناء تكون من منطلق ديني إسلامي أما الدول الغربية فكانت الرعاية بحكم القانون فيقول العدل: "وكانت لديهم قوانين تلزم الآباء بتربية أبنائهم بحيث لو أهمل أحد في تربية ابنه عاقبته الحكومة بحسب ما قرر في القوانين"[٤].

وقد جعل العدل مسئولية الأسرة للأبناء تكمن في العناية بالتربية الجسمية والعقلية، وطبع محاسن الأخلاق وجميل الصفات وتعليمهم التعاليم الدينية مع تربيتهم على العمل بها، وأخذهم بالرفق والتودد وليس بالقساوة والتخويف وبعث المحبة فيما بينهم، وتعويدهم على مشاركة غيرهم في أحزانهم وأفراحهم وهدايتهم إلى ما يصلح حياتهم من بعدهما، وأن يدفعوهم إلى المدرسة لتثقيف عقولهم وضبط الآداب الاجتماعية فيهم، ومهما كان من أمر المدرسة فليس

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ٨٨.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**،، ص٥١.
٣)**صحيح البخاري**، ج ٨، باب العبد راع في مال سيده، (٢٤٠٩)، ص ٢٥٣، **ومسلم**(١٨٢٩).
٤)عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١١٩.

نفوذها على الأطفال بأعظم من نفوذ آبائهم عليهم، ولذلك يجب على "الوالد أن يبادر بتربية ابنه وتعليمه منذ الصغر فإن الإنسان في حال الصغر قابل للتأدب"[١].

ب.حقوق الآباء على الأبناء عند العدل:

تتمثل في الطاعة وخفض الجناح والتواضع والاحترام والتعظيم من قدرهم والثقة بهم، والإحسان في المعاملة إليهم ومساعدتهم والشكر على أنعمهم والخشية لا الخوف منهم وهكذا، وليعلم الأبناء أن الآباء هم في المنزلة الثانية بعد منزلته سبحانه وتعالى وأنعم بها من منزلة سامية، ولذلك يجب على الآباء تثقيف أنفسهم وتوسيع مداركهم وتنمية قدراتهم حتى يستحقوا هذه المرتبة "فلا شك أن ثقافة الوالدين لها أثرها على كفاءة الأسرة في النهوض بوظيفتها التربوية، ويتوصل أحد الباحثين[٢] إلى"أن الثقافة الغزيرة تعين الرجل و المرأة كليهما على ضبط الحقائق، وإحسان الحكم على الأمور والإشراف على تربية الأجيال الناشئة تربية مثمرة مجدية".

ت. حقوق الأبناء على بعضهم عند العدل:

تتمثل في الحب والاحترام والشفقة والعدل في المعاملة وصفاء السريرة والمساعدة وغير ذلك، وما يكون منهم منافيًا للآداب والمعاملة كظلم أحدهم الأخر والإضرار به فموكول العقاب للآباء متبعين العدل والإنصاف مع الاحتراز والحيلة كيلًا يشعر من يستحق العقاب منهم أنه أدنى درجة من أخيه أو يشعر من له الحق أنه له الفضيلة عليه.

---

١) المرجع السابق، ص١٣٢.

٢) عبد السميع عطا الله إسماعيل، **الفكر التربوي عند الشيخ محمد الغزالي المتوفي (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)**رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية – جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠١م، ص ٣٢٠.

كيف يحدث الاستقرار الأسرى عند العدل[1]؟

ومن خلال ما سبق يتضح دور الأسرة في تربية الأبناء ويقع على الرجل تأسيس قواعد وواجبات الأسرة وحسن التعرف والمحافظة على استقرار الأسرة بأكملها، وأن من واجبات المرأة تدبير المنزل والسعي في مصالحه ويستحيل صدور ذلك من قبل الزوجين البسيطين عقلًا وعلمًا ما لم تحكمهما التجارب ويتحلوا بالحكمة، وهناك الكثير من البحوث التي أثبتت أن الأسر التي تعاني من تفكك أسري أو يحدث طلاق فيها هي "تلك التي لا تحظى بمستوي جيد من الناحية التعليمية بالإضافة إلى سوء الأخلاق وضعف الوعي لدى الزوجين أو أحدهما، وضعف الوازع الديني"[2]، وإنما يحدث ذلك من زوج متأدب عارف بنفسه عادلًا عالمًا بالحقوق والآداب الإنسانية خبير بأحوال المعيشة، ومن زوجة عاقلة تقية راضية نشيطة عارفة بطرق الاقتصاد قادرة على القيام بواجباتها العائلية خبيرة بكيفية التربية الجسمية والعقلية وتكون على خلق ودين وهكذا.

كيف تكسب الأسرة الصفات الحميدة عند العدل؟

يذكر أن اكتسابها لا يصدر بصورة عفوية وربما كانت طبيعة أو فطرية في الإنسان، وتكتسبب المجاهدة والتربية والتعليم. فكيف يطلب من الزوج أن يكون مؤدبًا إذ لم يتأدب أو عالمًا بالحقوق والواجبات إذ لم يتعلم أو خبيرًا بأحوال المعيشة إذا كان ظالمًا لنفسه بالجهل، وكيف نرجو من الزوجة أن تكون مقتصدة إذا لم تعرف معنى الاقتصاد أو مربية للجسم

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٢.

٢) غازي غنيزان الرشيدي، **التعليم الابتدائي جودة التعليم وكفاءة المدرسة**، ط٢، القاهرة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ص٢٠.

والعقل إذا كانت جاهلة بمعنى التربية بل يكون للأم الأثر الأكبر في التربية، ويذكر الدكتور مصطفي رجب في الدروس المستفادة من قصة ابن سيدنا نوح عليه السلام فيقول: "يستفاد تأثير الأم في التربية على نشأة الأبناء فقد كانت زوجة نوح عليه السلام كافرة مما تسبب في كفر ابنها، وهذه القصة عزاء لمن يفسد أبناؤه ويبتعد عن طريق الحق مع كون أباهم من الصالحين"[1].

ويلقى العدل مسؤولية أخرى على الدولة والمجتمع فيقول: "فإنك تعلم أن تربية الأبناء سواء الذكور منهم والإناث وتعليمهم العلوم والآداب من أول واجبات كل أمة تريد صلاحها وتقدمها وانخلاعها عن جلابات البساطة وإنقاذ أفرادها من مهلك الجهل والتوحش والانحياز بهم إلى جانب التمدن والحضارة" [2]، ويظهر مدى اهتمام العدل بمسؤولية الدولة تجاه تعليم الأبناء وكذلك الدور المجتمعي أيضًا، ويدعو إلى الانفتاح على الحضارات والثقافات الأخرى، وتعليم ذلك للأبناء لمواكبة التطور الحضاري المذهل، ولكن ينبغي التنبيه والحذر من عملية الانفتاح الثقافي خاصة فلا نتقبل إلا ما يوافق عادات وتقاليد المجتمعات العربية والإسلامية.

٢.جماعة الرفاق (الصحبة)

وهي جماعة صغيرة تتوفر فيها العلاقات الوثيقة وتتكون من أشخاص ينتمون إلي مراكز اجتماعية واحدة ويتفقون فيما بينهم على استعداد الأفراد الآخرين من الجماعة"[3]، ويختلف تأثيرها بقدر المرحلة العمرية فيكون لها

١) مصطفي رجب، **البحث في الإعجاز التربوي القرآني**، ط ٢، كفر الشيخ، ٢٠٠٩م، ص ١٧٤.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٣.
٣) حامد زهران عبد السلام، **علم النفس الاجتماعي**، ط ٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤م، ص ٦٦.

أثر فعال في تربية الإنسان وتكوين شخصيته لاسيما في سنوات مرحلة الطفولة والمراهقة سوء كانوا زملاء دراسة أو رفاق لعب، وقسم العدل الصحبة إلى قسمين:[(١)].

أولًا: صحبة اتفاقية: وهى التي تنشأ من الميل الطبيعي للإنسان وسببها التجانس في الأحوال النفسية أو الخارجية مثل طباع الإنسان أو الأحوال التي لا تزال خفية في إدراك الإنسان ويستدل العدل على ذلك بقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منا أختلف"[(٢)]، وقال:

ولا يألف الإنسان إلا نظيره وكل أمرئ يسير إلى من يشاكله[(٣)]

ولذلك ينتج من خلال التجانس في الأحوال النفسية مع الآخرين ما يسمى بالعشق الصوري أو الأخلاقي للفرد حتى إذا لمته عليه لا يدرى الفرد بم يعتذر وغايته أن يقول لك لو كنت مثلى لعشقته، وتظهر هنا أهمية التعاون وخاصة في العملية التربوية لأن الإنسان اجتماعي بطبعة وينفر من العزلة لأنها تسبب عدم الإحساس بالآخرين وتُضعِف الفطرة الإنسانية وتقسي القلب.

ثانيًا: صحبة اكتسابية: ويذكر العدل أن حدوثها يكون بأحد أمرين: صحبة تحدث عن الرغبة من الشخص كصحبة من نتوسم فيهم الجميل ومكارم الأخلاق، وصحبة تحدث نتيجة الحاجة وتكون إما سببها الاحتياج إلى الأُنس وزوال الوحشة كالاحتياج إلى العلم أو المال، وإما يكون سببها الاحتياج إلى

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٣.
٢) **صحيح البخاري**، ج١١، باب الأرواح جنود مجنده، (٣٣٣٦)، ص ١١٧ ،**ومسلم**(٢٦٣٨).
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٣.

التناصر والتآزر، ويتضح من خلال العرض السابق أن العدل وضع كل العلاقات والطرق التي تحدث من خلالها عملية اكتساب الصحبة وتكوين جماعة الرفاق لكي يحافظ الإنسان على نفسه ولا يوردها المهالك بصحبة الأشرار أو ذميمي الأخلاق والطباع، ويوجب العدل على الآباء أن يتخيروا لأبنائهم الأصحاب ويتعهدوهم ويلاحظوهم في جميع الأحوال بقدر الإمكان(١).

دور المدرسة في تكوين جماعة الرفاق:

تلاميذ المدارس يختلفون في طبائعهم وأخلاقهم وفق بيئاتهم ولذلك يصعب فصل التلاميذ عن بعضهم البعض بل تتكون علاقات ورفاق مع بعضهم البعض تلقائيًا، وفي إطار هذه الجماعة يحكم الطفل على تصرفات الآخرين ويراقبها، وفي نفس الوقت يتم الحكم عليه ومراقبة الشيء الذي يؤدي به أيضًا إلى الحكم على نفسه ومراقبتها، وكل ذلك يكون نتيجة تكوين جماعة الرفاق وخاصة الجماعة المدرسية.

وهنا يلقى العدل مسؤولية على ناظر المدرسة ومعلميها ويريد منهم أن "يعتنوا ويهتموا بالأخلاق والآداب والعادات، وأن يأخذوا بالتربية لكل الأطفال واكتسابها لهم وإذا لم يكتسبها أحدهم بادروا بطرده إيثارًا للمنفعة العامة(٢). وهنا يحتاج الكلام إلى وقفة في إخراج الطفل من المدرسة وحرمانه من العملية التربوية والتعليمية التي تقوم بها المدرسة لمجرد عدم اكتساب الطفل العادات والقيم فالطفل كالكتاب المفتوح والصفحة البيضاء التي تظهر ما يكتبه فيها الآخرون علمًا بأنه لا يوجد طفل لا يتعلم ويكتسب السلوك الحسن وإنما توجد طرق لا تصلح معه.

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٤.

٢) **المرجع السابق**، نفس الصفحة.

ويكون هناك دور لجماعة الرفاق داخل المدرسة في "تكوين المعايير الاجتماعية، وإتاحة الفرصة لتقليد سلوك الكبار، وممارسة السلوك بعيدًا عن رقابة الكبار وإشباع حاجات الطفل إلى المكانة والانتماء"[١]، ولكي يصل إلى ذلك لابد وأن يكون هناك نوع من الحقوق والواجبات بين جماعة الرفاق يوضحها العدل في التعاون والتناصر على الخير والصدق وإخلاص النية وكتم السر وحسن المعاشرة وإعظام القدر في الحضرة والغيبة والبر في القرب والبعد ويستدل على ذلك بقوله:

وإني لأستحي أن أبره قريبًا   وأن أحقره وهو بعيد[٢].

بل يؤكد على دور الصحبة في عملية التربية وخاصة بين الأصدقاء الكبير منهم مع الصغير فيحتاج الصغير إلى التربية من الكبير ولا يعلمه الكبير بسوء الأخلاق وأن يتعلم منه الصغير الآداب والأخلاق، "فيتعلم الطفل الأصغر احترام الأكبر، واحترام ملكية الغير، وغير ذلك من أنماط السلوك المناسب والتي تتفق مع قيم المجتمع"[٣] حتى تؤتي جماعة الرفاق ثمارها التي وضعت من أجلها بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

وهناك نوع من الصحبة يفرض على الإنسان كالمرافقة في العمل وغيرها وهذا يكون له الأثر السلبي على الشخص فيعامله معاملة ظاهرية متصنعة وهذه المعاملة أساس كل بلية فتوقع الإنسان في الخداع والمكر

---

١) أسماء جريس وسلوى محمد علي، **مرجع سابق**، ص ١٥٦.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٥٤.
٣) دلال عبد الواحد الهدهود وعلي عبد المحسن تقي، **المدخل إلي أصول التربية**، الكويت، مكتبة السيرة، ١٩٩٩م، ص ١١.

والكذب ولكن إذا فرض عليك من لا تطيق يجب عليك إصلاح البـــاطن وتعديل سلوكه ونصيحته، ورحم الله القائل:

يفـــارقني مـــن لا أطيـــق فراقـــه   ويصاحبني في الناس من لا أريده.

٣.وســـائل الإعلام:

لا أحد ينكر الآن الدور الـــذي تلعبـــه وســـائل الإعـــلام المســـموعة والمقروءة في هذا العصر الذي تميز بالانفجار المعرفي والثقافي بلا حـــدود ولا قيود، فلا يكاد يخلو منزل من هاتف أو كمبيوتر أو على الأقل تلفاز مما يكون له الأثر العجيب على أصغر أفراد الأسرة كما أكدت ذلك بعض البحوث الميدانية[١] "إن للإعلام التلفزيوني تأثيرًا عجيبًا في تكوين خيـــال الطفـــل، وجعلت الطفل يمكن له أن يقرر ما تقتنيه العائلة من سلع ولو لم تكن راغبة فيه".

وهذا ما يظهر لنا خطورة وسائل الإعلام فهي سلاح ذو حدين يمكـــن أن تستخدمه في توعية الأفراد ونمو ثقافتهم ومحاربـــة العـــادات الســـيئة وغرس القيم والأخلاق في أفراد المجتمع بينما الناظر لوسائل الإعلام اليوم يجدها "تهتم بتغطية الأحداث الجارية المثيرة للجدل، فتقديم برامج تؤدي إلي الانحراف والجريمة فتغطي المعلومات التفصيلية عن أساليب ارتكاب الجرائم وغيرها"[٢] مما يوجب علينا الآن تغيير ثقافة وسائل الإعلام وطرق نهجهـــا في برامجها وما تبثه على المشاهدين إذا أردنـــا فلاحًـــا ونجاحًـــا لأفـــراد مجتمعنا.

---

١) عبد الله أبو هيف، **التنمية الثقافية للطفل العربي**، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، ٢٠٠١م، ص١٠٨.

٢) رجب صديق سلطان، **تفعيل الدور التربوي الأسرى لمواجهة ظاهرة أطفال الشوارع**، بحث مقدم للمؤتمر العلمي العربي الأول كلية التربية – جامعة سوهاج ١٨، ١٩ أبريل ٢٠٠٦م، ص ٤٦٦.

ومن خلال إطلاع الباحث على مؤلفات العدل فيجده يوظف الإعلام إلى كل ما يفيد المجتمع يناقش قضايا المجتمع المفيدة ويهتم اهتمامًا بالغًا بالإعلام البيئي والذي يقصد به "توظيف وسائل الإعلام من قبل أشخاص مؤهلين بيئيًا وإعلاميًا للتوعية بقضايا البيئة وخلق رأي عام متفاعل إيجابيًا مع تلك القضايا"[١] فيرى العدل ضرورة مطالعة الصحف المصرية في المدارس بهدف اكتساب التلاميذ الوعي البيئي والقدرة المعرفية في النطق والتعلم فيقول: "أرى أن نعطي التلاميذ وأعني بهم تلاميذ المدرسة التجهيزية فصاعدًا نسخًا من جرائدنا المصرية يطالعونها أمام معلم اللغة العربية ولو كان ذلك يومًا أو يومين من كل أسبوع"[٢].

ويرى العدل في ذلك مطالعة الصحف التلاميذ معرفيًا بالقضايا البيئية ولغويًا في تصحيح المفردات والتراكيب ونفسيًا ووجدانيًا فلا يكون بمعزل عن المجتمع الذي يعيش فيه ويقصد من ذلك "إكمال الغاية المطلوبة من أمر التعليم والتعلم"[٣]، ولذلك نكرر من خطورة وسائل الإعلام إذا كان يسير عكس اتجاه التعليم وثقافة وقيم المجتمع ويحارب نصوص القرآن "فنرى بعض من في نفوسهم غرض وفي قلوبهم مرض من الصحفيين وأشباه الصحفيين يكتبون في هذه الزاوية أو تلك يطالبون الوزارة بأن تخفف قليلًا من الرعب الذي يبعثه في نفوس البراعم الأبرياء من التلاميذ تدريس سورًا قرآنية فيها عنف كسورة الزلزلة"[٤].

---

١) محمد السيد جميل، **دور مدرسة التعليم الأساسي في تحقيق مبادئ التنمية المستدامة**، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٨م، ص ٦١.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٨٢.
٣) **المرجع السابق**، ص ١٨٣.
٤) مصطفي رجب، **في هوية التربية الإسلامية ومنهجيتها**، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ٦.

فلا يرجى نجاحًا لتعليم ولا إعلام إلا إذا كانا يسـيران معًـا بأهـداف واضحة معًا يكمل كل منهما الآخر فلا تتضارب أهداف التربية والتعليم داخل المدارس مع أهداف وسائل الإعلام فيرى الطفل في وسائل الإعلام المختلفة ما يتربى على غيره داخل المدرسة فمتى يكون الاتحاد؟ ومتى تحدد الغايات؟ ومتى نبلغ الآمال؟

ثانيًا: المؤسسات النظامية الحكومية

١. المدرسـة:

هي المؤسسة الموكل إليها تعليم التلاميذ أنواع العلوم المختلفة علـى مر العصور، ومع تطور المدرسة عبر الأزمنـة المختلفـة تتزايـد عليهـا المسئوليات التربوية والتعليمية في زمن الثورة الثالثة أو الموجه الثالثة من تكنولوجيا المعلومات الذي أحدث تغيرات خطيرة في العالم "فاندثرت مهـن وتخصصات قديمة، ونشأت مهن وتخصصات جديدة يوميًا، ومن هنا يـأتي تطوير التعليم كضرورة حتمية باعتباره الأداة القادرة على تطوير إمكانـات المواطن المصري بما يمكنه من التعامل مع تكنولوجيا العصر"[١].

ويسارع الآباء بإرسال أبنائهم إلي المدرسة لتتولى مع الأسرة عملية التربية والتعليم مواكبة للحاضر المعاصر وتخطيط للمستقبل، وأنسب سـن لدخول المدرسة السنة السادسة عند العدل فيقول: "وينبغي أن يكون ابتـداء إرسال الأطفال إلى المدرسة إذا بلغوا السنة السادسة من عمرهم لاستمساك عظامهم في هذا الزمن"[٢] غير أنه لم يتمسك برأيه وقال بعد ذلك أنه موكول

١) حسين كامل بهاء الدين، **التعليم والمستقبل**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧م، ص ٣٧.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١،**مرجع سابق**، ص٣٨.

لعلماء الطب يحسن بهم أن يلاحظوا الأطفال ويعنوا لدخولهم المدرسة سن معين، ومما جعل العدل يحدد السنة السادسة من العمر لدخول المدرسة إلا لما قرره الأطباء الألمان في ذلك الوقت، ثم يقول: أن هذا الأمر يختلف تحديده باختلاف الأقطار، والطبقات والعادات أيضًا.

ويذكر العدل أيضًا أن المدرسة هي المقام الثاني الذي يؤهل الإنسان ليكون عضوًا نافعًا في مجتمعه فهي ضرورة اجتماعية لتربية المجتمع وتثقيفه وتعليمه فيقول: "وتعتبر التربية المدرسية من القواعد الضرورية في الهيئة الاجتماعية، وبيان ذلك أن الإنسان مضطر بطبيعته التي أنشأه تعالى عليها نحو الاجتماع والائتلاف بأبناء جنسه لتحصل أمة يعين بعضها بعضًا"[١]، ويرى العدل أنه يجب أن تكون المدرسة معدة بالوسائل التعليمية التي تحبب الأطفال في عملية التعليم بالإضافة إلي ربط العملية التعليمية بما يفيد المتعلم في حياته أي ربط التعليم بسوق العمل كما نلاحظ فيقول: "ولذلك ينبغي أن يكون بالمدرسة آلات للقياس ونماذج للأجسام الهندسية سواء كانت مادتها خشبية أو صفيحية كي تعرض علي أنظار الناشئة وقت التدريس لقياسها وتطبيق النواميس (القوانين) عليها"[٢].

أما بالنسبة لربط التعليم بسوق العمل فيقول "طلبًا لتمرينهم على العمل فإن الإنسان بعمله يحصل على فوائد"[٣] ولا خلاف في ذلك فهناك ارتباط وثيق بين التعليم والتنمية فهناك من يربط التنمية بالأهداف السياسية أو

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٣٧.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ٩٩.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ٩٩.

الاجتماعية أو الاقتصادية ولكن ينبغي "الهدف الأساسي لكل المجتمعات هو تحقيق درجة عالية من النمو السريع، لذلك فإن هذه المجتمعات تقوم بتوفير الخبرات والمهارات اللازمة للاقتصاد الإنتاجي"(١)، وتأتي النتيجة الحتمية أنه لا تنمية ولا نهضة بدون تعليم جيد وفعال داخل المؤسسات التربوية والتعليمية والأكاديمية والعملية.

دور المدرسة عند العدل:

يذكر العدل أن نهضة أي مجتمع لا تكون إلا بالاعتناء بالتعليم والاستفادة من العلوم والمعارف الحديثة بالإضافة إلى الاعتناء ببناء المدارس لتربية أبناء المجتمع، ويضع للمدرسة دورين مهمين هما كما يطلق عليها الآن "وزارة التربية والتعليم" فيقول: "وبذلك ترى أن التكلم عن التربية المدرسية يستدعي رسم ترجمتين إحداهما التربية الأدبية، والثانية التربية العلمية"(٢) فتهتم المدرسة بالتربية الأدبية قبل التربية العلمية فتكسب المتعلم القيم والاتجاهات والمفاهيم والمهارات التي تجعله مواطن صالح نافع "فالتربية تعني السلوك الإنساني وتنميته وتطويره فهي الجيل بالمهارات والمعتقدات والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة التي تجعل منهم مواطنين صالحين متكيفين مع الجماعة التي يعيشون بينها"(٣).

١) محمد متولي غنيمة، **التربية والعمل وحتمية تطوير سوق العمالة العربية**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م، ص ٥٥.

٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٤٩.

٣) اعتدال عبد الرحمن حجازي، **تنمية التربية الوقائية لدي تلاميذ المدرسة الابتدائية، المؤتمر العلمي العربي الأول**، جامعة سوهاج، ١٨، ١٩ أبريل ٢٠٠٦م، ص ٢٩٨.

ويلقي العدل مسئولية التربية الأدبية للمجتمع على فريقين من الناس:[1]

١) فريق اصطفاهم سبحانه وتعالي وتجلى عليهم بنوره المبين (ويقصد الأنبياء والرسل) ووهبهم من أسراره الربانية فهم مصدر الآداب والأخلاق التي لابد أن نقتدي بها قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١]

٢) والثاني فريق منحهم الله صفاء الطبع وجوهرة العقل وهم العقلاء أولوا الحكمة وهؤلاء يضعون الآداب في قوالب علمية يكتسبها الفرد من خلال اكتسابه للعلوم المختلفة داخل المدرسة.

ولا تقتصر المدرسة على الجانب التعليمي أو المعرفي فقط وإنما تمتد إلى الجوانب الاجتماعية والشخصية للفرد،وأفرد العدل عند حديثه عن الدور التعليمي للمدرسة شرحًا وافيًا لكل العلوم التي تدرس بالمدرسة وطريقة الأخذ بها بكتاب الحروف الهجائية والمطالعة وتحسين الخط وغيرها مما يطول الحديث عنه في هذا المقام، ولكن نزال نطلع إلى العديد من الأدوار التي تقدمها المدرسة لمواكبة ذلك العصر.

ويمكن أن نلخص بعض الأدوار للمدرسة التي تعد المواطن الصالح النافع في عصر قلَّ فيه الترابط الاجتماعي وأصبحت وسائل الاتصال هي التي تحل محل أفراد المجتمع فيرجى من المدرسة أن تعيد قيم مشتركة وتدعم سلوك الفرد الإيجابي والأخلاقي وتنمي ملكة الفكر والإبداع عند

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٥٠.

التلميذ يفتخر ببلده عنده انتماء لها في ظل التغريب الثقافي الموجود في الواقع المعاصر.

ويفرد العدل ترجمة كاملة(١) تتكون من بابين الأول في نسبة المدرسة للحكومة والثاني في تناول المدرسة واحتياجاتها ومواصفات إنشاء المدارس والأدوات اللازمة لها وطريقة التنظيم لكل من حوش المدرسة والممرات ومياه الشرب فيها والفصول ومقاعد الطلاب والمعلمين وأدوات التعليم ووسائله حتى طريقة تنظيفها، وبما أننا نناقش في هذا البحث الفكر التربوي فقط فيرى الباحث أنه من الأطناب التعرض لإنشاء المباني المدرسية فهي موكوله لهيئة الأبنية التعليمية وليس مكانها هنا.

٢.مدارس المعلمين (كليات التربية حاليًا)

قبل إنشاء كليات التربية كان إعداد المعلم ضمن مهام دار المعلمين وكان العدل من أوائل من دعا إلى إدخال العلوم التربوية إلى دار المعلمين ليكون الهدف منها إعداد معلم المرحلة الابتدائية وطالب بتدريس كل العلوم فيها فيقول: "والمقصود من تأسيسها هو تربية شبان تعهد إليهم وظائف التعليم في المدارس الابتدائية وتحضيرهم (تأهيلهم) إلى القيام بتأدية واجباتهم للأمة ولذا ينبغي أن تؤخذ أولئك الشبان بجميع مواد العلوم التي تدرسها الأبناء بالمدارس الابتدائية"(٢).

ويقول الدكتور سعيد إسماعيل: "وقد اتضح هذا في دار العلوم التي أنشئت في مصر عام ١٨٧٢م خصيصًا لإعداد معلمين لتعليم مختلف العلوم

---

١) في كتابه **البيداجوجيا العملية ج٢**، بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر المحمية سنة ١٨٨٢م من ص ١٤٣ إلي ص ١٥٤.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ١٤٧.

التي تدرس باللغة العربية إذ لم تشهد مناهجها في أول عهدها مادة تربوية واحدة"[1]، وجاء العدل وبدأ التأليف والترجمة من كتب (البيداجوجيا) التربية الغربية ونادى بإلزام طلاب دار المعلمين بالأخذ بها فيقول: "ولذا لزم تعليمهم علم البيداجوجيا بأقسامه الثلاثة التي هي البيداجوجيا العملية الباحثة في علم النفس والأخلاق العملية التي تبحث عن طريق التعليم والتربية، والبيداجوجيا التاريخية، ويعتبر البيداجوجيا بأقسامه المحور الوحيد الذي تدور عليه دائرة مدارس المعلمين"[2].

وينتقد الدكتور سعيد إسماعيل التوجه الغربي في الكتابات عن التربية منذ بدأ إنشاء دار المعلمين على يد علي مبارك والطهطاوي فيقول: "وفي عام ١٨٨٠م بدأت الدراسة التربوية تعرف طريقها إلي قاعة الدرس، وبدأ النظر إلى التربية على أنها من الدراسات الحديثة وبالتالي فلابد أن تتجه إلى الغرب كي نعبِ منها، ونسى الجميع مع الأسف الشديد تلك اللبنات الرائعة للطهطاوي وعلي مبارك"[3]، وهذا يوجب علينا التوقف عند ذلك الحد منذ قرن من الزمان وأكثر نلهث خلف الغرب في اقتباس كل العلوم الحديثة والابتكارات ونقلل من شأن ما هو وطني يمثل هويتنا الإسلامية والعربية.

ويوجه الدكتور سعيد إسماعيل انتقادًا مباشرًا للعدل في اقتباسه نصًا من علماء التربية الألمان ولمن جاءوا ومن بعده وسار على نهجه فيقول: "حتى عندما جاء أول من ألف في التربية تأليفًا مباشرًا وخاصة في كتاب مستقل قائم بذاته وهو الشيخ حسن توفيق العدل في أواخر القرن التاسع

---

١) سعيد إسماعيل علي، **بحوث في التربية الإسلامية**، القاهرة، مركز التنمية التربوية والمعلومات، ١٩٨٧م، ص١٨.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ١٤٧.
٣) سعيد إسماعيل علي، بحوث في التربية الإسلامية، **مرجع سابق**، ص ١٨.

عشر نص في مقدمة كتابه على أنه اضطر لكي يضع هذا الكتاب إلى أن يستعين بالعديد من الآراء والأفكار التي قال بها علماء التربية الألمان إلى درجة النقل المباشر، وسار طابور المربين على نفس الطريق هذا يأخذ من سويسرا، وذاك من فرنسا، وهذا من انجلترا، وكلها توجهات أوروبية"(١).

ويتفق الباحث مع رأي الدكتور سعيد في أننا أصبحنا في تغريب ثقافي لغالبية العلوم المستحدثة،وأثر ذلك على فكر غالبية المجتمع وأصبح ينظر إلى الغرب أنه مهد الحضارة والتقدم وإذا أردنا مواكبة التقدم لابد وأن نقتبس علومهم وفنونهم وثقافتهم، فيدرس الطالب النظريات العلمية، والأفكار الغربية لعلماء ذات صبغة غير إسلامية ولا عربية فتخرج لنا الجامعات أفراد عندهم ثقافة الانبهار بكل ما هو غربي دون تفرقة ولا تمييز بين ما ينفع أن يقتبس وما يضرب به عرض الحائط؛ لأنه يخالف عادات وتقاليد وقيم المجتمع العربي والإسلامي.

ويذكر العدل أنه يجب على خريجي كليات التربية (المعلمين سابقًا) أن يدربوا أنفسهم ويتعمقوا في تحصيل العلوم التربوية وطرق تدريسها، ولا يعتمد الفرد على أنه حاصل على كلية التربية دون أن يستطيع تطبيق ما تعلمه ولو بأقل القليل فيقول: "ولذا وجب عليهم بعد خروجهم منها (تخرجهم من مدارس المعلمين) أن يأخذوا أنفسهم بالتكميل وتوسيع نطاق معارفهم فالإنسان في حاجة إلى تربية نفسه وتعليمها من المهد إلى اللحد"(٢)، ولذلك لابد من اقتصار مهنة التدريس على خريجي كليات التربية وتطبيق شروط

---

١) **المرجع السابق**، ص ١٩.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ١٤٨.

الاختبار لهما وضمان التدريب المستمر بعد التخرج منها وأثناء مواصلته لرسالته بعد حصوله على الشهادة منها.

ويتم تدريب المعلمين من خلال "تفعيل دور نقابات المعلمين المهنية والعمالية، وإشراكها في وضع سياسات التعلم، وإتاحة الفرصة لأكاديمية المعلمين لتجريب مختلف الأساليب في تدريب المعلمين بما يناسب احتياجات المدربين"(١) حتى يكون لدى خريجي كليات التربية القدرة على التنمية الذاتية والإبداع ووسائله وإعداد جيل يواكب هذا التطور.

ما يجب على خريجي كليات التربية عند العدل: يريد العدل منه أن يكون ملمًا بقواعد اللغة العربية، عالمًا بتاريخ علمه الذي يدرسه عارفًا بما وصل إليه من مستحدثات، ويكون مغرمًا بالتجارب واستخدام الوسائل الحديثة، بل ربما إذا تطلب الأمر إلى جمع المعلمين في مكان معد لتبادل الخبرات وطرق التدريس التي تصلح في ذلك الوقت يكون له أكبر الفائدة في تنمية مهارات المعلمين، فيقول: "وينبغي للمعلمين الذين تجمعهم مدينة واحدة أن يؤسسوا لهم جمعية علمية يعقدون بها جلسات ينظرون فيها في طرق التربية والتعليم وذكر تجارب أفرادهم وآرائهم في تقدم علم البيداجوجيا (التربية) مع تقييد أعمالهم ونشرها فيما بين عامة المعلمين"(٢).

ولذلك إذا أردنا أن ننهض بالأمة لا ننهض بها إلا من خلال التعليم ولا ننهض بالتعليم إلا إذا رفعنا مستوى المعلم ولن نستطيع ذلك إلا إذا

---

١) حامد عمار وصفاء أحمد، **المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين في القرن الحادي والعشرين**، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠١٥م، ص ٣٩١.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ١٤٩.

رفعناه ماديًا ومعنويًا حتى يتفرغ لمهنته ويؤدي عمله ولا يشغله البحث عن توفير مصادر قوت يومه له ولأسرته، ومن هنا كانت أهمية مراعاة حقوق المعلم لأنه يقف في حجرة الدراسة أمام التلاميذ ليصوغ يوم بعد يوم عقلية وشخصية التلميذ.

"إننا نصر على أن نحسن تدريب الطبيب الذي يعالج الأجسام والمهندس الذي يصوغ الأحجار، فلماذا لا يكون موقفنا كذلك مع المدرس الذي يصوغ العقول والشخصيات"(١).

عناصر التربية والتعليم عند العدل:

أولًا: الأهداف:

تنطلق التربية من مجموعة من الأهداف كلما كانت هذه الأهداف واضحة محددة كلما كان هناك تحقيق لهذه الأهداف أما إذا غابت الرؤية من واضعي الأهداف ولم تصاغ هذه الأهداف وفق إستراتيجية واضحة نجد هناك تخبط من قبل القائمين على التربية في تنفيذ هذه السياسة، ولذلك لابد وأن تصاغ أهداف التربية وفق رؤية شاملة ومحددة مبنية على أسس علمية دقيقة في الصياغة التنفيذ والتقويم والمتابعة وغيرها.

ويتسم العصر الراهن بأنه عصر الثقافات المتعددة التي عبرت فيه الثقافة كل الحدود المكانية والزمانية، وتغيرت آلات الحرب بين المجتمعات من الآلات والمعدات إلى أفكار وثقافات، ودخلت مفاهيم جديدة في التربية أمثال الغزو الثقافي وهو يعبر عن "الوعي السياسي للشعوب المتحررة، وأن

---

١) عبد العزيز جادو، **علم نفس الطفل وتربيته**، الإسكندرية، المكتبة الجامعية ٢٠٠١م، ص ٤٧.

الغزو الثقافي آلية من آليات الهيمنة وعملية عدوان اجتماعي وصراع بين المجتمعات"[1] فلابد أن تضع أهداف التربية هذه المخططات التي يــراد منها التبعية والهيمنة على المجتمعات النامية بصفة خاصة.

ويري العدل أن الهدف من التعليم ما هو إلا النفع للمجتمع والحفــاظ على هويته وثقافته، ويعود على المعلم والمتعلم بكل ما يفيدهم في حيــاتهم فيقول: "وحيث كان المقصود من تعلم الأبناء صرفهم إلى المنفعة وقيــامهم بأداء حقوق مجتمعهم ووطنهم، ووجب أن يكون التعليم ملحوظًا فيــه تلــك الغاية للمعلمين والمتعلمين وإلا فلا يفيد التعليم والتعلم إلا تعــب الأجســام، وضياع الأوقات"[2] لذلك لابد على واضعي السياسة التعليمية في مصر مــن صياغة أهداف للتربية تعود على النفع للفرد والمجتمع في ضــوء الغــزو الثقافي والانفجار المعرفي.

وإذا نظرنا إلى وزارة التربية والتعليم في مصر نجد أنها قد وضــعت مجموعة من الأهداف لكل من التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي ونجد أن هذه الأهداف "تسعى في مجملها إلى تكوين الطفل المصري ثقافيًــا وعلميًــا وأخلاقيًا بما يتلاءم مع القيم الثقافية والهويــة الوطنيــة والقــيم الدينيــة للمجتمع، بالإضافة إلى تنمية أساليب التفكير بما يواكــب التقــدم العلمــي الحديث إلى جانب التركيز على المهارات الشخصية التي يتمتع بها كل طفل وتنمية هذه المهارات"[3].

---

١) شوقي جلال، **التراث والتاريخ**، القاهرة، سينا النشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص ٢٦٧.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٦٢.
٣) ناهد رمزي وآخرون، **العدالة الاجتماعية في التعليم ما قبل الجامعي**، المجلد الرابع، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٧م، ص ٧.

واقع مغاير للأهداف:

إذا كانت كل هذه الأهداف التي ذكرناها آنفًا هي أهداف وزارة التربية والتعليم المصري وهي تحمل ظاهرًا فيه رحمة وباطنه من قبله العذاب بمعنى أن هذه الأهداف لو تحققت لوجدنا بلدنا الحبيب في مقدمة ركب الدول المتقدمة، ولذلك يجول في فكر الباحث سؤالًا إذا كانت هذه أهداف تعليمنا فلماذا حصدنا المركز قبل الأخير في ترتيب التعليم هذا العام؟ وتحتاج الإجابة عليه وقفة من قبل القائمين على التربية في مصر كيف نحقق هذه الأهداف عمليًا على أرض الواقع وكفانا تنظيرًا ورسم لسياسات دون تطبيق عملي يلمسه العالم من حولنا في تقدمنا في مجال التربية.

ويلقي العدل مسئولية تحقيق أهداف التعليم ورسم سياسته على وزارة التربية والتعليم فيقول: "ونظارة المعارف وفروعها أنها هي القائمة بإرشاد الناس إلى كيفية السير حتى يمكن لهم أن يقوموا بأداء الوظائف في المصالح المتقدمة وذلك بتعلم العلوم والفنون التي تكون لهم ناموسًا يهديهم إلى طريق قيامهم بأعمالهم فضلًا عن تهذيب أخلاقهم وعاداتهم، ومشاربهم"[١]

الرؤية المستقبلية للأهداف:

لا أحد يقلل من أهمية وضع الأهداف على النظام التربوي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو العسكري إذا كان في النهاية يرفع من شأن الوطن وينهض بمستوى أبنائه وأن مستقبل مصر في ضوء المستجدات الأخيرة محكوم بقدرتها على توظيف إمكاناتها الفريدة التي

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٦٥.

تميزها عن غيرها، وذلك من خلال وضع أهداف ورؤية عربية مشتركة لرجوع الدور الريادي لمصر "لا تنافسها فيه إسرائيل ولا تنازعها عليها تركيا وإيران وأعني بذلك التركيز على قيادة تضامن عربي يقوم على أسس ثقافية واقتصادية وحد أدنى من التنسيق السياسي"(١).

وهذا يلقي حملًا إضافيًا على القائمين على التربية في مصر، ويخرج إطار الأهداف من النظرة المحلية ومنفعة المجتمع إلى النظر في سياسة وأسس الإعداد لهذا الوطن من ناحية التربية فعلى سبيل المثال نجد أسس التربية في إسرائيل تقوم على ثلاثة أسس(٢) الديانة اليهودية، الحضارة الغربية، الحركة الصهيونية، وإذا كان هذا النظام هو الذي يحدد أشكال التربية في بلاد الأعداء فنحن أحق أن يكون نظام التربية يحقق الأبعاد الحضارية والدينية والتكنولوجية لمواكبة تطورات العصر، وحتى يعود الدور الريادي والقيادي لبلدنا الحبيب في المنطقة.

ثانيًا: المحتوى:

عندما أطل القرن التاسع عشر وهو القرن الذي حدث فيه الاحتكاك بين الفكر العربي والفكر الغربي كان الفكر الأوروبي قد خطا خطوات كبيرة إلى الأمام على كافة الجبهات، وكانت أولى هذه الجبهات تختص بالمحتوى التعليمي وأساليب طرق التدريب المختلفة "فقد استطاع الفكر الغربي أن

---

١) مصطفي الفقي، **تحديد الفكر القومي**، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ١٢٧.

٢) مصطفي رجب، **التعليم المتعالي دراسة جديدة حول التعليم الصهيوني وايديولوجية العنف**، كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص١٢.

يستبدل القياس الأرسطي الذي كتب له السيطرة في المرحلتين القديمة والوسيطة بمنهج علمي يعتمد على الحس أداة للمعرفة، ولا ينطلق من مقدمات يفترض فيها الصدق بل من مقدمات ثبت صدقها ويقينها فعلًا بالحس والتجربة"[١].

لذلك لابد وأن يقدم المحتوى التعليمي للطلاب في صورته النهائية بعد التأكد من صدقه وثباته وإجراء التجربة عليه ويشترط العدل في المحتوى التعليمي أن يكون "محركًا لميل الناشئ وشغفهم بنفس المعلومات، ويكون قارنًا المعرفة بالقدرة، وأن تكون المعلومات غير منفردة"[٢] أي ترابط المحتوى التعليمي وتسلسل موضوعاته؛ لأن ترابطها يعمق فهم المتعلم بينما انفرادها يؤدي به إلى التشتت، ولقد قسم العدل المحتوى التعليمي لطفل المدرسة من سن السادسة فصاعد إلى ثلاث مستويات:[٣]

المستوى الأول: من السنة السادسة إلى الثامنة: وفى هذه المرحلة لا يكون الطفل إلا مجرد عين مبصرة وآذان صاغية، ولذلك يجب على المربى (المعلم، وواضعي المناهج) أن يرتكز المحتوى التعليمي على بعض الظواهر الطبيعية والصناعية فالطبيعية كالأشجار والأنهار والبحار والجبال وبعض خواصها الأساسية. أما الأشياء الصناعية فيقتصر منها في هذا المستوى على أهم الحاجات الأساسية للإنسان كمعرفة حكمة اتخاذ المنازل وارتداء الملابس وزراعة الأرض وحصادها.

---

١) معن زيادة، **معالم على تحديث الفكر العربي**، الكويت، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد (١١٥) يوليو ١٩٨٧م، ص ٢٥.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص١٧٠.
٣) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٣٨.

المستوى الثاني: من السنة الثامنة إلى الثانية عشر: وفى هذا المستوى يقوى فكره وتستغل ذاكرته بتجديد كثير من التصورات، ولـذلك ينبغـي أن يعرفه المحتوى الارتباط بين الأشياء ومالها من المنافع، وأن نلقـى عليـه موضوعاته بصورة واضحة بحيث يكون ذلك كسرد حكايات مع عرض تلـك الأشياء نفسها أو صورها أو وصفها لهم وصفًا واقعيًا.

المستوى الثالث: من السنة الثانية عشر فصاعد: وفيه يقوى فكر الناشئ وعظمه أكثر من المستويين السابقين فيحكم على الأشياء من جهة حسـنها وقبحها وحقيقها وباطلها وكل ذلك يصدر عنه حسب ما يعرفه عن طريـق التجربة والاختبار، ولذلك يجب مطالعة الناشئة في هذا المستوى القصـص والحكايات والحكم والأمثال، وتعليمه التورية في الكلام والجناس في الألفاظ ويحفظ الأشعار المستعملة في الحماسة والفخر والآداب وغيرها.

ثم ينتقل العدل إلى تفصيل القولفي اختيـار محتـوى منـاهج التعلـيم المختلفة التي تبنى عنده على ثلاثة أصول وهي علم الدين وعلم التعـارف الإنساني،وعلم الطبيعيات وتنتج من هذه الأصول الثلاثـة عشـر مـواد[١] يتعرض لمحتوى كل مادة بالتفصيل لموضوعاته، وطرق شرح المعلم لهـا وغيرها من الأمور التعليمية يطول بنا المقام في سردها.

ثم يتطرق العدل إلى التعليم الفني وأهميته في النهـوض بـالمجتمع فيقول: "لقد حاولت الأمم الغربية منذ زمن مديد أن يشـغلوا الغلمـان فـي المدارس الابتدائية بالأعمال اليدوية توطئة لما سيقومون به من الصنائع

١) علم الدين، اللغة، التاريخ، الجغرافيا، الطبيعات، الحساب، الهندسة، الرسم، الرياضة البدنية، الأعمال اليدوية.

والحرف في مستقبلهم"[1]، ويكون هذا في المدارس الابتدائية قبل الالتحاق بما يسمى الآن بالمدرسة الثانوية الفنية (الزراعية أو الصناعية أو التجارية) ويمثل هذا النوع من التعليم بأنواعه المختلفة إحدى أبعاد التنمية لإقامة المجتمع المنتج ولذلك اهتمت الدول المتقدمة بهذا النوع من التعليم.

والهدف من التعليم الفني عند العدل تعليم الطلاب الصنعة المناسبة لهم حتى تكون مصدر دخل وعيش له ينفق منها ويعود الخير عليه وعلى وطنه ويقل الفقر داخل المجتمع وتستأصل الكسالى، ويقل معدل الجريمة ولذلك اعتبرت الدول المتقدمة "أن هذا النوع من التعليم يمثل الانطلاق المطلوب لأي مجتمع في مجال التنافس المتطور بين المجتمعات حيث أن لديه القدرة على استيعاب كثير من آليات التغيير المطلوبة التي تحكمها آليات السوق"[2].

ولذلك لابد لواضعي السياسة التعليمية من وضع خطط إستراتيجية للنهوض بالتعليم الفني (الزراعي، الصناعي، التجاري) فهذه الأنواع هي أعمدة الاقتصاد والتنمية لأي مجتمع من المجتمعات، ويكون المحتوى فيها يرتكز على الجانب العملي التطبيقي أكثر من الجانب النظري، وتساند الدولة طلاب التعليم الفني بحوافز ولو رمزية لزيادة فاعلية الطلاب وإقامة مشروعات لهم أثناء التعليم، وفي المقابل يكون هناك أجر مادي لهم حتى يتعلم الطالب وينفق على نفسه وتعود الفائدة على المجتمع بأكمله من هذه المشروعات.

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ١٠٨.

٢) سهير أحمد سعيد معوض، **التربية الوقائية والأمن التعليمي في ضوء متطلبات الأمن البشري، المؤتمر العلمي العربي الأول**، كلية التربية – جامعة سوهاج ١٨، ١٩ أبريل، ٢٠٠٦، ص ٢٢٦.

ثالثًا: المعلم:

أهتم العدل بالمعلم اهتمامًا بالغًا ولا عجب في ذلك فهو محور العملية التربوية كلها يدور حوله كل من له علاقة بالعملية التربوية بأثرها من (متعلم، مدير، إدارة، وزارة)، ولذلك يرفع العدل من مكانة المعلم ويرى أن التقدم الذي حدث لدول الغرب ما هو إلا نتيجة لمعرفة مكانة المعلم فيقول: "وأسسوا لهم المدارس يدرسون بها وبجلوا من علمائهم ومعلميهم ورفعوا من منزلتهم وأقاموا لهم تماثيل من بعدهم تذكاراً لهم وبعثاً من همم أبنائهم"[١].

وإذا نظرنا إلى مكانة المعلم في مثل هذه الأيام فسوف تزرف العيون بالدموع ويئن القلب من الألم لما يعانيه المعلم من مشاق بحثًا عن توفير الحد الأدنى له من الدخل الذي يكفل له عيشة كريمة فمد يده لتلاميذه بحجة الدروس الخصوصية فسقطت هيبته من أنظارهم ومن خلفها هيبة التعليم بل وساءت أخلاقه فأصبحت المؤسسات التعليمية صراع بين المعلمين بعضهم البعض وينوه العدل إلى ذلك فيقول: "ويجب على المعلمين ألا يقع أحدهم في حق الأخر أمام التلاميذ، ولا يقبح عِلم المعلم الآخر"[٢].

شروط المعلم عند العدل:

أولًا: أن يكون المعلمون عارفين الغاية المقصودة من علمهم بشرط ألا تغالطهم أنفسهم فيها، وأن ينفعوا عقول الأبناء بإيراد حكمة العلوم التي يتعلمون، وفائدتها العائدة عليهم وعلي أمتهم[٣].

---

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٤٢.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ١٦٢.
٣) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص ١٦٢.

ثانياً: أن يكون سيد علمه أي يكون عالماً بمادته متعمق فيها بمعنى أن يكون متخصص بالإضافة إلى كونه يتعلم ويطور نفسه باستمرار ويستخدم طرق تعليمية متنوعة، "ويكون التوضيح والشرح من قبله غاية في البساطة والسهولة في التعبير، وذلك بأن يجعل المعلم نفسه طفلًا كأحدهم ويخاطبهم على قدر عقولهم"(١).

ولا يطرح المعلم عليهم أسئلة تشعرهم بالعجز وعدم الارتياح كما نقول لهم لماذا نزرع الأرض؟ بل لابد أن نجعل الأشياء نتائج لحكمها حتى يتوصل إليها الطفل ويكتشفها بنفسه ويكتسب التعلم في هذه المرحلة عن طريق اللعب؛ ولابد من انشغالهم أيضًا بالكتابة والرسم وتعلم بعضًا من الأعمال اليدوية ونغرس فيهم الألفة وحب بعضهم البعض(٢).

السمات الشخصية للمعلم عند العدل:

يكتسب المعلم سماته الشخصية من المجتمع الذي يعيش فيه، فثقافة المجتمع عبارة عن "وعاء يشمل كل ما هو مكتسب نتيجة جهد الإنسان سواء كان ذلك مادياً أو فكريا"(٣)، ووضع العدل عدة سمات لابد من توافرها في المعلم وهي:(٤) أن يطابق قوله فعله، وأن يراجع نفسه إذا وجد عيب في التلاميذ ويكون لين القلب لطيف الجانب، بشوش الوجه، يميل إلى الفضائل والآداب ويكون صاحب إرادة صارمة حازم الرأي وكل الصفات الجامعة لمحامد الخير حتى يتم عمله على أكمل وجه.

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج٢، **مرجع سابق**، ص٣١.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٣٨.
٣) سعيد إسماعيل علي، **الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل**، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٦، ص ٤٢.
٤) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **المرجع السابق**، ص ١١٨.

وتزداد الواجبات في هذا العصر على المعلم يمكن أن نجمل بعضها في الالتزام باللوائح والقوانين، والتعرف على أحوال الطلبة ومستوياتهم، وتوفير الدافعية لدى المتعلم، وتنمية السلوك القيمي عند التلاميذ، والتفكير الإبداعي والتخطيط اليومي للمنهج وتطوير أساليب وطرق التدريس وتوظيف التقنيات الحديثة في التعليم وعمل تقويم مستمر يعتني بالضعاف ويراعي الموهوبين ويشارك في برامج التقويم ويتعاون مع أسرة المدرسة وغيرها من الواجبات[١].

رابعًا: المتعلم:

يشير العدل إلى نقطة مهمة جدًا عند الحديث عن المتعلم وهي اختلاف طبائع المتعلمين وبيئاتهم وخلفياتهم الثقافية مع اختلاف جنسهم (بنين وبنات) فيقول: "أن أفراد كل من الجنسين مختلفون في الطبائع والأخلاق والاستعدادات فكما تفترق الناس وجوهًا يختلفون طبائع ولذا ينبغي على المربي أن يترقب طبائع كل ناشئ ذكرًا كان أو أنثى حتى يمكن له أخذه بالتربية وتهذيب النفس حسب طباعه"[٢].

الفرق بين تعليم البنين والبنات بعد سن الثانية عشر:

من المعروف أن هناك اختلاف من حيث الأخلاق والطباع والإعجاب بالنفس والرقة والشفقة إلى غير ذلك من الطباع المختلفة في الجنسين، ولقد دلت التجارب على أن أخذ البنات بالتربية يكون بواسطة التعويد، وأما أخذ الغلمان بها فبالتعويد مع شرح الأسباب ونقائضها، والسبب في ذلك أن

---

١) حسن ظاهر بن خالد، **فن التدريس الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولي**، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص ١٦.

٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ١٢٣.

البنات كما تعلم لينات الطبائع بالفطرة سريعات الانقياد والتقليد، "وأما الغلمان فيميلون إلى التسلط والغلبة والعناد بحيث لا يكتفى في تأديبهم التعويد ما لم يعزز بشرح الحكم، والأسباب ونقائضها حتى يكون لهم وازع من أنفسهم تلك هي حكمته فتبارك الله أحسن الخالقين"[١].

وإذا راعى المعلم اختلاف الطبائع والأخلاق والثقافات المختلفة لدى المعلمين تحقق مبدأ فاعلية التعليم وهذا الذي جعل العدل يفصل الأمر في اختلاف طبائع المتعلم واستعداداته، ويضع العدل لكل طبع طرق الأخذ بيده إلى التعليم وهذه الطرق لو طبقت اليوم لما وجدنا هناك فاقد في المتعلمين وهذا يدعو إلى المزيد من الاهتمام بالمتعلم أمثال الأمم الغربية "اعتنت جامعتهم بتعليم أبنائهم اعتناءً فريدًا فصرفوا لأجلهم الدينار والدرهم وأسسوا لهم المدارس يدرسون بها وبجلوا من علمائهم ومعلميهم"[٢].

آداب المتعلم عند العدل: لقد كان العدل نموذجًا لطالب العلم المتأدب مع أستاذه ويدل على ذلك أنه لما دعي يومًا لعيد ميلاد أستاذه فقال له: "أني أعد نفسي سعيدًا بحضوري احتفالًا بيوم ميلاد فاضل مثلك خدم وطنه خدمة جليلة. الله المأمون أن يديمك لوطنك طويلًا، ومنكم العفو لي فاللسان عاجز عن التكلم باللغة الألمانية بما يؤدي واجب الثناء عليك"[٣].

وهذا دليل قاطع على آداب العدل مع أستاذه وتبجيله له وما أحوج أن تعود هذه الصفات في متعلم اليوم، وتوصلت إحدى الدراسات[٤] إلى

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العلمية، ج١، **مرجع سابق**، ص٤٠.
٢) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق،**مرجع سابق** ص ١٤٢.
٣) **المرجع السابق**، ص١٤٧.
٤) دراسة إسماعيل موسي برهوم، **مدي ممارسة طلبة الجامعة الإسلامية لآداب المتعلمين في الفكر التربوي الإسلامي من وجهة نظر أساتذتهم**،رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية – الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص١٣.

"أن علماء التربية المسلمون أدركوا أن المتعلم لابد له من الاهتمام بنفسه في كافة النواحي الجسمية والنفسية، وضرورة التحلي بالأخلاق الفاضلة، وإن لم يفعل ذلك فإن قدرته على طلب العلم ستكون أقل فضلاً عن خطورة استخدام العلم عندما يوضع في يد الأشرار من البشر".

ويلخص العدل آداب المتعلم:[1] بأن يكون متواضعًا لا يكثر المزاح ولا الضحك، ولا يعاند في الحق، ولا يقطع حديث الغير، يقبل على التعليم بحسن استماع، وإنزال الناس منازلهم وتعظيمهم وتوقيرهم، إذا قابل أحد أصحابه في الطريق صافحه، وإذا كان معلمًا كبير وقف على جانب الطريق حتى يلقي السلام، وإذا سار معه يضعه عن يمينه ويترك له المجال الأحسن في السير، يستقبل الناس جميعًا ببشاشة وجه ورحب صدر، ولا يحول ظهره للحاضرين، ولا يمد رجليه أمامهم إلى غير ذلك من الأمور فما أحوج مجتمعاتنا العربية والإسلامية إلى هذه الآداب اليوم.

خامسًا: طريقة التعليم:

طرق التعلم كثيرة ومتشعبة الأبعاد فهي خليط من عناصر التعلم الفردي أو الجماعي، وتشمل أساليب عملية التعليم وطريقة التدريس وأساليب استخدام كل طريقة، والهدف من ذلك كله مساعدة الفرد على التعلم بكل الوسائل الممكنة لأن "تعلم الأشياء يتوقف على وسائل خارجية عن مواد العلوم تكون مناسبة للقوى العقلية والجسمية للمتعلمين ومؤثرة في عقولهم وطابعة المعلومات في أنفسهم"[2].

١) عبد المنعم محمد سعيد، رحلة حسن أفندي توفيق، **مرجع سابق** ص١٣٥.
٢) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢،**مرجع سابق**، ص ١٧.

والهدف من التنوع في استخدام الطرق التعليمية واضح وجلي لزيادة فاعلية التعليم ومع التقدم الهائل في علوم التربية هناك الكثير من الطـــرق الحميدة التي يتدرب عليها خريج كليات التربية ولكن تحتاج إلـــى التفعيـــل داخل المؤسسات التربوية وإلى متابعة من المسئولين وأفضل طرق لقيـــاس ذلك هو قياس مدى تحصيل الطلاب ومدى الاستفادة من طرق التعلم التي يستخدمها المعلم.

ويقسم العدل طرق التعلم إلى تسع طرق[١]وهي العرض والتقليد والحكاية، والوصف، والإنتاج التدريجي، والشرح، والتمرين، والإصلاح، والإملاء ويتطرق لكل طريقة من هذه الطرق وكيف تستخدم مع العلوم المختلفة "الجغرافيا" والتاريخ والهندسة والحساب وغيرها ويضع أيضًا شروط لاستخدام أي طريقة من هـــذه الطرق، وفي النهاية يرى العدل أن طريقة التعلم ترجع لاختيار المعلم ذاتـــه ومـــا يناسب طلابه.

سادسًا: الأنشطة:

هناك عامل مهم للتعليم يتمثل في قدرة المعلم على تصميم الأنشـــطة التعليمية التي تعزز من تحقيق الأهداف التعليمية وتنمي المتعلمـــين عقليًـــا ووجدانيًا، وتوصلت إحدى الدراسات[٢] إلى "أن الأنشطة المدرسية تعد مـــن الركائز الأساسية التي يعتمد عليها العمل المدرسي، وذلـــك لربطهـــا بـــين النظري والتطبيق العملي من جانب، وإشباع حاجات المتعلمـــين وميـــولهم واتجاهاتهم من جانب آخر".

١) حسن توفيق العدل،**مرجع سابق**، ص ١٨.
٢) دراسة سناء فاروق قهوجي، **أثر الأنشطة العلمية اللاصقة في مستوي التحصيل الدراسي في مادة علم الأحياء**، ماجستير منشور، كلية التربية – جامعة دمشق، ٢٠١٠م، ص ٤٣.

وتتنوع الأنشطة المدرسية عند العدل فأحيانًا يركز على الأنشطة التي تنمي مهارات الكتابة وتنمي التفكير الإبداعي والإنشائي عند التلاميذ فيطلب منهم "كتابة القطع الشعرية التي يحفظونها عن ظهر قلب ويبعث في نشاطهم من التفاتهم إلى الأحوال المعيشية، والوقائع الوطنية، وإلى الأشياء الطبيعية والصناعية والتي ترقبها في دروس التعليم النظـري"(١)، ومـن الأنشـطة التعليمية "مطالعة الروايات حميدة العاقبة وأخرى سيئة العاقبة تحت رعايـة المعلم وملاحظته، وتعرض أيضًا علية الوقائع الوطنية خصوصاً والعصـرية عمومًا التي تأتي بها الجرائد فإن ذلك مهم لتوسيع نطاق فكـره وتبصـرته بالأحوال الدهرية ومعايشته للواقع"(٢).

وتقع على المعلم مهمة تخطيط وتصميم وتنفيذ الأنشـطة التعليميـة باستخدام تقنيات التعليم والمعلومات من خلال تعرفه على خبرات المتعلمين إعطاءهم ما يناسبهم منها، وعليه فإن الأنشـطة المدرسـية تسـعى بكـل مجالاتها التربوية للقضاء على وقت فراغ الطلاب وانخراطهم فـي أنشـطة وجماعات تنظيمية وتحت إشراف تربوي وتعويدهم على تحمل المسـئولية والتعاون مع آخرين حتى يصبحوا أفراد نافعين في المجتمع.

ويؤكد العدل على تنوع الأنشطة التعليمية سواء كانت مسـموعة أو منظورة أو مشمومة أو متذوقة بحيث تؤدي الأنشطة إلى الهدف الذي أعدت له وتنمي القدرات العقلية والجسمية للمتعلم وتزيد مـن خبراتـه وثقافتـه وتنمي قدراته لمواجهة الحياة فيما بعد.

---

١) حسن توفيق العدل، البيداجوجيا العملية، ج٢، **مرجع سابق**، ص ٧٢.
٢) **المرجع السابق**، ص٣٩

سابعًا: التقويم:

يختلف مفهوم التقويم باختلاف فلسفة الشخص الذي يزاوله، فالبعض يرى أن التقويم التربوي مجرد امتحان يخضع له المتعلم في مادة دراسية معينة لتحديد مستواه في تلك المادة، وفي الحقيقة أن مفهوم التقويم بهذا المعنى يكون قاصرًا لا يؤدي في النهاية إلى تطوير العملية التربوية برمتها ولكن نحتاج إلى مفهوم أوسع للتقويم يشمل جميع عناصر العملية التربوية نقف من خلاله على نقاط الضعف فنصلحها وعلى نقاط القوة فنزداد منها.

والمفهوم الواسع للتقويم "يتضمن إصدار حكم على الطالب أو المتعلم مع الأخذ في الاعتبار قابلية هذا المتعلم للمادة الدراسية والعمليات العقلية التي مارسها أثناء تعلمه وميوله واتجاهاته العملية، ومهاراته العلمية، فالتقويم لا يقتصر على المتعلم فقط بل أيضًا يشمل تقويم المعلمين، والمنهج، والمؤسسات التعليمية والتربوية بما فيها من أفراد وتجهيزات"(١).

ومن خلال دراسة الباحث لمؤلفات العدل يجده يميل إلى هذا النوع من التقويم، أي التقويم الشامل لكل مكونات العملية التربوية (معلم، متعلم، إدارة، مدرسة)حتى أنه جعل فصولًا كاملة في كتابه المسمى "البيداجوجيا العملية" يقيم فيه المعلم بصفته مربيًا والمتعلم لإعداده لنفع وطنه والمدرسة وما يجب أن تكون عليه من فصول ومقاعد ومكاتب وغيرها، من الآلات التي تراعي التطور الهائل في تقويم نتائج التقويم في ضوء المستجدات

---

١) عمار مرزوق العتيبي، **استراتيجيات التقويم اللاصفية**، بحث منشور كلية التربية – جامعة الملك سعود، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ص ٢٠.

أصبح هناك العديد من الطرق للحكم على التقويم "اختبارات مرجعية المعيار، اختبارات مرجعية المحك، معايير الأداء، الحكم المهني تقويم البورتفوليو"[(١)].

ولابد وأن تتضافر كل جهود القياس، والتقييم والتقويم في العملية التعليمية لتحسين الأداء التربوي في مصر والعالم العربي خصيصًا ولابد أن يكون هناك تضافر بين المؤسسات التربوية في الأقطار العربية المختلفة وذلك للارتقاء بالمجتمعات العربية حتى نلحق بركب الحضارة الإنسانية ونفيد أوطاننا ومجتمعاتنا والله من وراء القصد.

---

١) عبد العزيز عبد الهادي وآخرون، **تطوير نظام التقويم التربوي الشامل بالمرحلة الابتدائية في مصر دراسة تقويمية**، القاهرة، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، ٢٠١٠م، ص ٩٤.

الفصل السادس

الاستفادة المعاصرة من فكر العدل التربوي

وبعد تناول الآراء التربوية لحسن توفيق العدل لابد وأن نلقي نظرة علـــي الواقع وكيف يمكن الاستفادة منه بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا؟

لعله من غير المقبول الادعاء بأن العودة إلى التراث الفكـــري إنمـــا هـــي محاولة للحصول على حلول جاهزة للمشكلات التربوية الحاليـــة؛ لأن ذلـــك يعني إغلاق الباب أمام العقول لكي تبدع وتطور وإنما الواقع يفـــرض أننـــا نفعل ذلك للوقوف على القوانين التي تحكم علاقة الفكر بالواقع، وكيف فكر الأقدمون لحل مشكلاتهم فنستفيد من ذلك ونكون لدينا القدرة على تغيير هذا الواقع وفق إرادتنا ووفق الغايات التي نتطلع إليها.

وفيما يلي بعض النتائج التي توصل إليها الكتاب وبعض التوصـــيات التـــي يمكن استخلاصها منه للاستفادة منها في تربيتنا المعاصرة:

١. لعبت الظروف المجتمعية التي أحاطت بحسن توفيـــق العـــدل دورًا كبيرًا في تشكيل فكره التربوي وكانت دعوته لمجانية التعليم وأهمية نشر الثقافة انعكاسًا لما ساد أيام الاحتلال من تضييق الفرص أمام الـــراغبين فيه، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- التركيز في المناهج الدراسية على بث روح مقاومة الاستعمار بكافـــة أشكاله.
- تدريس نماذج من القيادات الوطنية التي قاومت الاستعمار علـــى مـــر التاريخ وخاصة التاريخ الحديث لتكون قدوة للطلاب.

لعب والد حسن توفيق العدل دورًا كبيرًا في تشكيل شخصيته حيث كان الشخصية المحورية في البيت فحفظ على يديه القرآن وأخذ العدل أربع إجازات من كبار العلماء، وساعده على الالتحاق بالأزهر وبدار العلوم وكان قدوةً له ومثلًا أعلى في كل حياته، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- ضرورة وأهمية قيام الأب بدوره التعليمي تجاه أولاده وعدم الاكتفاء بمجرد الإنفاق المالي عليهم.

٢. كان عقل حسن توفيق العدل بوتقة انصهرت فيها العديد من الثقافات القديمة والحديثة فاستوعبها وتمثلها فقد حفظ القرآن الكريم وهو صبي، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في كتاباته وأسلوبه المميز، كما درس العلوم العربية والإسلامية بالأزهر؛ فكان لذلك أثره في إلمامه الواسع بالثقافة العربية والإسلامية، كما كان اطلاعه على الثقافات الأجنبية وتعلمه اللغة الألمانية أمرًا دعم لديه الإحساس بالحاجة إلى مجموعة من العلماء جمعوا بين الثقافتين العربية والأجنبية التي تسهم في إحداث النهضة والتقدم، وتتفق مع روحنا الإسلامية بشرط ألا نقف عند حدود الاستيراد والترجمة بل يجب أن نضيف إلى ما نأتي به من الغرب ونحاول أن نصنع منه شيئًا جديدًا يعني ثقافة عصرية لا تدير ظهرًا للماضي ولا تغلق أبوابها دون ثقافة العصر الحديث وحضارته، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- التأكيد على حفظ الأطفال القرآن الكريم وإكسابهم الثقافة الإسلامية منذ البدايات الأولى لنشأتهم وفي جميع المراحل وتحويل كل ذلك إلى سلوكيات بدلًا من أن يتم تدريسه على أنه آيات غير مفهومه، والمطلوب من الأطفال الحفظ والاستظهار فقط دون جعله منهج حياة له.
- الاطلاع الدائم المستمر على كل ما تنتجه المدنية الحديثة ومحاولة الاستفادة منها في تطوير مجتمعنا في الأخذ في الاعتبار مراعاة الفهم العميق للواقع المصري وخصوصيات الثقافة العربية والإسلامية لاعتبارها روافد تمد المجتمع المصري بهويته المتميزة.
- ذم التقليد الأعمى للغرب في العادات والتقاليد فلا يكون التقليد هدفًا في حد ذاته ولا يقتصر على الجوانب السلبية دون الإيجابية.

٣. دعا حسن توفيق العدل إلى ما وصلت إليه النظريات التربوية الحديثة حينما دعا طلابه إلى التعرف على طبيعتهم واستعدادهم وما يحبون أن يتخصصوا في غدهم وأعطى أهمية بالغة للتعليم الفني وجعله أساس نهضة المجتمع، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- الإسراع في تطبيق النظريات العلمية الحديثة والاستفادة منها وفق معايير وقيم المجتمع.
- الاهتمام بالتعليم الفني (زراعي–تجاري–صناعي) لأنه عصب التنمية الاقتصادية والاجتماعية معًا.

- وجود حوافز مادية أو معنوية أو إقامة مشروعات للطلاب أثناء الدراسة بالتعليم الفني وذلك لزيادة حافز الدافعية لهم والارتقاء بالتعليم الفني.

٤. رغم أن حسن توفيق العدل لم يتزوج إلا أنه اهتم بالمرأة وبتعليمها، وذكر فيها إشعارًا وقصائد، ولم يُعرف سبب عدم زواجه؛ إلا أنه كان شغوفًا بالعلم وأخذ منه كل وقته، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- تدريس المعلومات المتضمنة الثقافة الجنسية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وذلك ليحصل الطلاب على معلومات صحيحة من مصادر أمينة.
- التركيز في مادة التربية الدينية أو في موضوعات القراءة في المرحلة الثانوية والجامعية على كيفية اختيار شريك الحياة وواجبات كل من الزوج والزوجة.

٥. اتخذ حسن توفيق العدل من الطبيعة البشرية أساسًا أقام عليه فكره التربوي؛ لأن الإنسان هو المحور الأساسي لعملية التربية، ولذلك قدم تصورًا واعيًا للطبيعة الإنسانية مفادها أنها وحدة متكاملة ليس هناك فصل بين أي من جوانبها وليس هناك اهتمام بجانب على حساب باقي الجوانب الأخرى، فقد اهتم حسن توفيق العدل بالإنسان ككل وذكر طريقة تهذيبية لكل جانب من هذه الجوانب، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- ضرورة الاهتمام في التربية ككل وعدم طغيان الناحية العقلية على باقي الجوانب.

- أن تتضمن المناهج محتوى متنوع يقوم على الجانب النظري والعملي معًا.

٦. وجهة نظر حسن توفيق العدل للإنسان تتسق مع النظرية الإسلامية في كونه أنه ليس مجبرًا إجبارًا تامًا كما أنه ليس حرًا حرية مطلقة، ولكنه حر ومجبر في نفس الوقت، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- ينبغي تعويد الطلاب على تحمل مسئولية أعمالهم التي يقومون بها.

٧. ذهب حسن توفيق العدل إلى أن الإنسان خير بطبعه، فهو ينزع بفطرته إلى التدين، وقد ركز في طبيعته على الإيمان بالله، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- التعامل مع الإنسان من هذا المنطلق بحيث يتعامل الوالدان مع أولادهما من منطلق ما ركز في فطرتهم من خيريه، وكذلك المعلمون في التعامل مع طلابهم فليس هناك طالب مشاغب بطبعه أو لص بطبعه، ولذلك ينبغي علاج الأسباب التي دفعت به إلى أن يفعل ما فعله فاليابان لا يوجد فيها طالب فاشل بل توجد طريقة غير مناسبة.

٨. التربية الرياضية عند حسن توفيق العدل تبني السمات النفسية للطبيعة الإنسانية، ومن كثرة حبه للرياضة ألف كتاب سماه "الحركات الرياضية البدنية" وتحدث فيه عن أهمية الرياضة في بناء العقل والجسم، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- الاهتمام بحصص التربية الرياضية في المدارس.

- الاستفادة من هذا المبدأ في اختيار الوسائل التعليمية الجذابة أثناء عرض المادة التعليمية وعدم الاقتصار على الوسائل التعليمية القديمة، بل الاعتماد على الوسائل الحديثة كالكمبيوتر وخلافه التي يمتزج فيها الصوت بالصورة والحركة مما يؤدي إلى إشراك الطالب في العملية التعليمية.

٩. أقر حسن توفيق العدل بعدم محدودية المعرفة فحياة الكفاح العلمي التي يحياها العلماء هي ألذ حياة عرفت، والدنيا كلها لا تساوي شيئًا بجانب ما يناله الإنسان من المعرفة؛ ولذلك انشغل بها ولم يكون أسرة ولا بيت فوهب حياته كلها للمعرفة وحب العلم، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- إعادة النظر في المناهج الدراسية وتنظيم اليوم المدرسي بما يضمن تربية النشء على حب المعرفة وغرس الدافع الذاتي لطلبها، والاستزادة منها والسؤال عما يجهل وتعويدهم على ذلك كجزء من العقيدة حيث يدفعهم ذلك إلى الحرص على الاستمرار في التعلم من المهد إلى اللحد، ومن ثم تخف حدة المشكلة بكافة أنواعها.

١٠. الفكر التربوي عند حسن توفيق العدل فكر واقعي فهو يقدر دور الحواس في المعرفة وأهمية الممارسة والمهارة مثلما يقدر المعرفة العقلية، وكانت تلك الرؤية الواقعية انعكاسًا لتأثره بالقرآن والسنة وآراء مفكري العصور الإسلامية السابقة، ومضمون ذلك تربويًا أن سلامة الحواس وتهيئتها للقيام بعملها ضرورة تربوية، وكذلك الاهتمام بالعقل وعدم تعريضه لما يفسد دوره في المعرفة كالخمر والمخدرات

خاصة أن الإسلام قد رسم منهجًا صحيحًا للعناية بالصحة العامة للفرد، ومن هنا يوصي الباحث:

- التحذير من تناول المخدرات بأنواعها.
- الإيمان بأن الوقاية خير من العلاج وإكسابها للتلاميذ من خلال المعلم.
- أن تتضمن المناهج الأضرار التي تسببها المخدرات والحذر منها.

١١. كان حسن توفيق العدل حريصًا على ترسيخ جوانب التربية الروحية والدينية في نفوس الناس ودعا إلى التكامل بين متطلبات الجسد والروح، كما دعا إلى التدين الذي ينعكس أثره على الإنسان فيبعثه على العمل لا الخمول والكسل، من هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- قيام الآباء بمسئولياتهم الدينية تجاه أبنائهم من ناحية إيقاظهم قبل الشمس لصلاة الصبح وسؤالهم عن الصلوات ومحاسبتهم عليها.
- الاهتمام بمادة التربية الدينية وإدخالها في التقويم لتحصل على الاهتمام الكافي من الطلاب.
- الاهتمام بنوعية الموضوعات التي تقدمها المادة العلمية حيث تكون مناسبة لطبيعة المرحلة وتكون سببًا لتقريب الطلاب من الله عز وجل.
- إدخال مادة التربية الدينية كمادة أساسية في الجامعات والمعاهد وتنقية التراث الإسلامي من كل الشوائب التي لحقت به.
- إخلاء مواعيد الصلوات من الحصص وتنظيم ذلك بما يسمح للطلاب بأداء الصلوات في أوقاتها وحبذا لو أشرفت المدرسة على متابعة ذلك.

- ينبغي أن يركز خطباء المساجد على النواحي الروحية في جو يمزج بين الترهيب والترغيب بعيدًا عن الموضوعات التي لا تتصل بحياة الناس أي مطابقة الخطبة لواقع المجتمع وما يعيشه وتتناول قضاياه.
- قيام وسائل الإعلام بعرض مشاهد من قدرة الله وإعجازه في الكون لتعميق الإيمان بالله في النفوس خاصة عندما يتحد الصوت مع الصورة.

١٢. أكد حسن توفيق العدل على التربية الأخلاقية باعتبارها أهم ما تعاني منه الإنسانية في الوقت الراهن فتعيش المجتمعات الآن بما يسمى بالأزمة الأخلاقية، وقد أكد العدل على أن غرس القيم والقواعد الخلقية في نفوس الناشئة والشباب لا يتحقق بالكلام وحده ولا بشدة التحذير والإنذار؛ وإنما يتحقق بوجود قدوة عملية سلوكية تقرن القول بالعمل لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- المعلم قدوة لطلابه في إكسابهم الأخلاق الفاضلة من منطلق أن فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل، ولذلك ينبغي مراعاة هذا الأمر في برامج إعداد المعلمين في الكليات، وفي تعامل المعلم مع تلاميذه داخل الفصل.
- تدريس نماذج من تاريخنا القديم والحديث والتركيز على نواحي العظمة الخلقية في شخصياتهم، والمراقبة المستمرة لسلوكيات الطلاب مع إشعارهم بالمراقبة في بعض الأحوال، وفي البعض الآخر إشعارهم بالحرية التامة حتى لا يعتادوا مراقبة الشخص بل مراقبة الله عز وجل.

١٣. أفرد حسن توفيق العدل مساحة كبيرة من كتاباته للحديث عن التربية العقلية ولذلك يمكن اعتباره رائدًا من رواد التربية في مصر حيث آمن بأن الشعب إذا زادت نسبة المتعلمين فيه ازداد وعيه، وأصبح أقدر على المطالبة بحقوقه وأداء ما عليه من واجبات، فتناول التربية وأهميتها وضرورة الأخذ بها وخاصة في المراحل العمرية الأولى لحياة الطفل فمن شب على شيء شاب عليه، وبناء على ذلك يوصي الباحث بما يأتي:

- تعميم التعليم ونشر الثقافة العربية والإسلامية كما نادي بذلك العدل.
- التأكيد على مجانية التعليم وخاصة في مرحلة التعليم الأساسي.

١٤. كان حسن توفيق العدل حريصًا كل الحرص على ألا يتوقف مفهوم التعلم عند حد المواد الدراسية التي يحصل عليها المتعلم في مجال تخصصه بل أراد له أن يسعى للحصول على مزيد من الثقافة في تخصصات أخرى في شتى العلوم المختلفة والاقتباس من الحضارة الغربية كل ما يلحق الأمة بركب التمدن والحضارة مثلما رأى في بلاد الغرب، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- إثراء برامج الدراسة بالمواد الثقافية الجذابة التي تشوق الطالب وتدفعه إلى المعرفة الدائمة في كافة المجالات وفتح باب المناقشات المجدية في أحدث ما وصل إليه العلم المعاصر في كل فروع المعرفة، وهذا يستلزم ألا يكون الكتاب المدرسي هو المصدر الوحيد للمعرفة، بل يكون أحد المصادر المعينة لغيره.

- التأكيد على أن المدرسة ليست هي المصدر الوحيد للمعلومات، بل يمكن أن يأمر المعلم طلابه بمتابعة برنامج تلفزيوني ثقافي معين، وإدخال المادة العلمية الموجودة به في التقويم.
- وضع بعض المناهج الحديثة التي تعالج قضايا حديثة كالنظريات العلمية الحديث، وتطبيقها في الواقع.
- عدم الفصل بين التخصصات العلمية لأن التطورات الحديثة أثبتت أن الاندماج بينها أمر أصبح حتميًا، فقد ظهرت علوم حديثة مثل الكيمياء الحيوية والفيزيائية وجيولوجية الفضاء.
- تشجيع خيال الطلاب العلمي والوصول به إلى أقصى درجاته، وذلك عن طريق الأسئلة المفتوحة بطريقة "ماذا يحدث لو" تخيل أنك الآن في عام ٢٠٥٠ فما هو شكل العالم .. إلخ.

١٥. وجه حسن توفيق العدل قدرًا كبيرًا من اهتمامه بالتربية الجمالية وتنمية الإحساس بالجمال حتى لا تصبح الحياة مادية آلية تفتقد الجوانب الروحية، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- الاهتمام بمادة التربية الفنية عن طريق الإعداد الجيد لمعلميها، وإيجاد مدرسين متخصصين خلاف ما تعاني منه بعض المدارس لعدم وجود المتخصص، وتخصيص معامل مجهزة يتم فيها تدريس المادة بحيث تشع جوًا من النواحي الفنية.
- القيام بزيارات إلى بعض المعارض الفنية لكبار الفنانين للاستفادة منها في تكوين الحس الجماعي لدى الطلاب.

الاهتمام بمظاهر الجمال في المباني المدرسية والفصول من حيث نشر أحواض الزهور داخل المدرسة وتزيين الجدران بورق الحائط واللوحات التعليمية في إطار جمالي متناسق.

١٦. رغم أن حسن توفيق العدل لم يشارك في الحياة السياسية إلا أن التربية السياسية احتلت جانبًا من تفكيره، وبالتالي في مؤلفاته فتحدث عن الحكام وما ينبغي أن يكون عليه الحاكم، وتحدث عن المحكومين وأن واجبهم متابعة الحكام حتى ينعم الوطن بالأمن والاستقرار وحذر من الفرقة السياسية، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- أن تجد التربية السياسية طريقها إلى أذهان الطلاب في المناهج الدراسية فلا يعقل أن تكون مادة مثل التربية الوطنية مادة هامشية.
- إفساح المجال لحرية التعبير عن الرأي من خلال القنوات الشرعية حتى لا يلجأ الطلاب إلى الطرق غير الشرعية كالمظاهرات والإضرابات.
- قيام نوادي أعضاء هيئة التدريس بالجامعات بأدوارها المنوطة بها وتمكينها من ذلك، وكذلك تعويد الطلاب المشاركة السياسية الفعالة من خلال انتخابات نزيهة لاتحاد الطلاب.

١٧. عالج حسن توفيق العدل موضوع التربية الاجتماعية باعتبار الفرد عضوًا في جماعة أيًا كان نوعها ومن هنا فقد نظم بعض الأخلاق الاجتماعية كمعرفة الحقوق والواجبات والطموح والمساواة بين الناس والقضاء على الوساطة والمحسوبية واحترام الملكية العامة؛ ولذلك يوصي الباحث بما يأتي:

تصميم مواقع مصغرة لما يحدث في المجتمع وتدريب الطلاب على كيفية التعامل معها حتى لا يصطدموا بالواقع بعد تخرجهم.

- أن تعالج المناهج المدرسية قضية الحقوق والواجبات، وتبرز أهمية أداء الواجبات للحصول على الحقوق.

١٨. اهتم حسن توفيق العدل كثيرًا بالتربية الجسمية والعقلية من منطلق أن العقل السليم في الجسم السليم، وذلك بهدف تكوين وبناء مواطن صالح ينهض بأعباء مجتمعه، ويرى أنها ضرورة للشعوب الشرقية بوجه خاص، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- أن تحتل التربية الجسمية والآداب والشروط اللازمة للصحة العامة مكانة أفضل مما هي عليه الآن كأن يتم تدريب الطلاب وتعويدهم العادات السليمة، وأن يتم زيادة العناية الصحية والطبية بهم أثناء مراحل الدراسة المختلفة.
- الاهتمام بحصص التربية الرياضية وعدم الاستغناء عنها للتركيز على النواحي الجسمية مع العناية بإعداد متعلمين متخصصين يقدرون قيمة هذا الجانب من التربية.
- ألا تقتصر التربية الجسمية على الحصص المخصصة للتربية الرياضية في خطة الدراسة، كما لا تقتصر ممارسة الألعاب الرياضية على فترة الأجازة الصيفية.
- أن يضرب الأساتذة القدوة أمام طلابهم في أداء تمرينات الصباح، وينبغي أن تكون مفيدة ويشعر الطلاب بفائدتها في تكوين أجسامهم.

١٩. أعطى حسن توفيق العدل اهتمامًا كبيرًا بالتربية النفسية ولذلك كان الجزء الثاني من كتابه البيداجوجيا العلمية هو الحديث عن علم النفس بفروعه المختلفة، ولذلك يوصي الباحث بما يأتي:

- حسن معاملة الطلاب دون احتقار أو ازدراء، وذلك لغرس الثقة بالنفس في نفوسهم مع إعطائهم الفرصة للمحاولة والخطأ.
- اكتشاف الطلاب ذوي المهارات القيادية وتنمية هذه المهارات لديهم عن طريق الأنشطة الطلابية المختلفة.
- اكتشاف الطلاب ذوي الطبيعة الانقيادية والتعامل معهم من هذا المنطلق.

٢٠. نادي حسن توفيق العدل بتعميم التعليم ومجانيته في وقت ضيقت فيه الدولة ممثلة في سلطات الاحتلال الخناق على من يريد التعلم، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- أن تستمر نظرة الدولة إلى التعليم على أنه من المشروعات الإستراتيجية التي لا يصح خصخصتها، وإعطائها الأولوية في ميزانية الدولة بجانب الصحة.
- التوسع في بناء المدارس وتعميمها على مستوى الجمهورية للقضاء على مشكلة الفترات في بعض المدارس القائمة، وترميم وإعادة بناء المدارس القديمة دون غلقها.
- تطوير نظام العمل بمكتب التنسيق ليتفق مع سوق العمل، وامتلاك الجرأة الكاملة للتخطيط للمستقبل ومعرفة الاحتياجات المستقبلية وتحديد الأعداد المقبولة بكل كلية وفقاً لذلك.

كان حسن توفيق العدل من دعاة الارتباط بين أهداف التربيـــة وواقـــع المجتمع ومتطلباته، ولذلك عاب الاهتمام بالتعليم العام دون الفني، ودعا إلى الاهتمام بالتعليم الفني باعتباره يعد الشباب للحياة المستقبلية التـــي يواجهونها في حياتهم العملية ليكون من الطلاب صـــناع مهـــرة وزراع مهرة وتجار مهرة، ولعلنا الآن في حاجة إلى تكرار دعوة حسن توفيـــق العدل للاهتمام بالتعليم الفني، فرغم كل الجهود المبذولة لتطويره إلا أنه ما يزال يعاني الانفصال بين مناهج الدراسة وبين الواقع العملي، ومـــن هنا يوصي الباحث بما يلي:

- بذل الجهود لإزالة النظرة المتدنية لطلاب التعليم الفني وفتح المجـــال أمام المتفوقين علميًا وأصحاب الميول المهنية للالتحاق بهذا التعلـــيم دون الخوف من هذه النظرة.
- الاهتمام بالنواحي العملية وتوفير ما يلزم لها من معامل وأدوات وأراض زراعية...إلخ، مع عدم إغفال جوانب الثقافة العامة حتى لا ينفصل التعليم الفني عن المجتمع المحيط به.
- ربط التعليم الفني بالمشروعات الكبرى التي يتم إنشاؤها بحيـــث يـــتم إلحاقهم بسوق العمل مباشرة أثناء فترة التعليم، فالمدارس الزراعيـــة مثلًا يمكن إنشاؤها بكثرة في مناطق المشروعات الزراعيـــة الجديـــدة بحيث يجدون مساحات للتدريب، ثم مساحات زراعية يمتلكونهـــا بعـــد تخرجهم وهكذا.

٢١. احتلت قضايا المرأة حيزًا كبير من فكــر حســن توفيــق العــدل الاجتماعي فقد كان يؤمن بحق المرأة في التعليم كأحد الحقــوق التــي أقرها الإسلام لأن تعليم المرأة سوف يزيد من وعي الشعب فلا تصــلح نهضة لأمة ما لم تعتمد في أساسها على المرأة فهي لا تكــون نصــف الأمة فقط بل أنها تربي الأمة كلها، فالإصلاح الحقيقي للأمة إنما يكون بإصلاح المرأة، وإصلاح الأم خاصة لأن الأم تطبع أبناءهــا بطابعهــا، وإن أكثر العيوب التي نراها في مجتمعنا من جــبن وكــذب وخصــام وأنانية يرجع في الحقيقة إلى البيت وإلى الأم بصفة خاصة، ومن هنا يوصي الباحث بما يلي:

- تفعيل دور مجالس الآباء في المدارس ومتابعة ذلك من قبل الإدارة.
- عمل لقاءات إرشادية وتثقيفية لأمهات أطفال الروضة والثلاث صفوف الأولى من التعليم الأساسي؛ بهدف ربط الأسرة بالمدرسة من ناحيــة ومتابعة مستويات الأبناء من ناحية أخرى.

٢٢. آمن حسن توفيق العدل بأهمية تنوع أساليب التربية بما يتفق مع الفروق الفردية لكل متعلم فأدرك أهمية القدوة، وآمن بأهمية القصة، واستخدم أسلوب ضرب الأمثال، والنصح والإرشاد والترغيب والترهيب، ورفض القسوة في التعامل مع الطلاب لأنها تميت قلوبهم وتزرع الجبن في طباعهم، ولا تتناسب مع الهدف من التربية عنده وهو تكوين رجال بكل ما تحمله الكلمة من معاني، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- التركيز في إعداد المعلم على أهمية مراعاة الفـــروق الفرديـــة بـــين طلابه فليست هناك طريقة واحدة تصلح في جميع الحالات ومـــع كـــل الطلاب.

٢٣. احتل المعلم مكانة مهمة في فكر حسن توفيق العدل وينبغي له أن يتصف بمجموعة من الصفات تؤهله لأداء الرسالة المنـــوط بهـــا،فهو راهب في محراب العلم، باحث دومًا عن المزيد، متواصل مع طلابـــه، معتدل في سلوكه، كما أنه ليس موظفًا تقليديًا يؤدي أعمالًا روتينيـــة، ولكنه يقع عليه دور كبير في إكساب التلاميذ قيم وتقاليد مجتمعهم التي تؤدي إلى توافقهم مع هذا المجتمع، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- أن يعاد النظر في شروط القبول بكليات التربية ويوضع حد أدنى مـــن المواصفات الطبيعية كالصدق والصبر والأمانة والمرونة والعـــدل ولا يقبل من لا تتوفر فيه.
- أن يعاد النظر في برامج كليات التربية لإعداد المعلم كأن يتم إضـــافة مادة جديدة تتمثل في التربية الإسلامية.
- أن يعاد النظر في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمعلم بما يضـــمن تحسنًا ماديًا وأدبيًا يضعه في موضع لائق بالمنزلة التي أولته إياهـــا الرؤية الإسلامية وما ينتج عن ذلك من تفرغ لمواكبة الجديد في العلم وحب المهنة والفخر بهـــا والحـــرص علـــى الأداء المثـــالي للمهـــام والمسئوليات المنوط بها.

وضع حسن توفيق العدل كتاب في أصول الكلمات العامية تناول فيه معاني الكلمات العامية باللغة العربية؛ لذلك يدعو العدل إلى الرجوع إلى اللغة الفصحى بينما كان الواقع وسط بين اللغة العامية والفصحى، ومن هنا يوصي الباحث بما يأتي:

- الاهتمام باللغة العربية كمادة مدروسة ولغة منطوقة وأهمية اختيار الموضوعات المتعلقة بإصلاح النطق والتي تتسم بالفائدة العملية والبعد عن المسائل الخلافية في اللغة والتي لا تقوم لساناً وقصر دراستها على المتخصصين.
- حرص المعلمين وخاصة معلمي اللغة العربية على النطق باللغة الفصحى أثناء تدريسهم وفي كل شئون حياتهم.
- ألا تقتصر امتحانات اللغة العربية على الناحية النظرية، بل ينبغي إضافة التقويم الشفوي لمعرفة مدى تمكن الطالب من القواعد التي درسها.

وهكذا أكدت الدراسة الحالية على أن حسن توفيق العدل كان من المفكرين الذين وضعوا نواة التربية الحديثة في مصر مع الطهطاوي وعلي مبارك وكان كتابه البيداجوجيا في التربية يتسم بالأصالة والوضوح، وكان من دعاة الإصلاح الاجتماعي؛ فقد نادي بالعدالة الاجتماعية، والترابط الاجتماعي، واعتبر المرأة نصف المجتمع، وطالب بإعطائها حقوقها كما جاء في الإسلام، وكانت حرية العقل والحرية الأكاديمية أهم السمات التي تميز بها وأهم القضايا التي عاش حياته مدافعًا عنها.

التوصيات العامة:

١.ضرورة دراسة الشخصيات التربوية المغمورة للاستفادة من أفكارهم في النهوض بالتعليم في مصر.

٢.ضرورة رفع الغمام عن المخطوطات والكتب التي ألفها حسن توفيق العدل، وتجلية الغبار عنها والاستفادة من هذه الكنوز المدفونة مثل كتاب"تاريخ آداب اللغة العربية" وغيره من المخطوطات.

٣.زيادة التنقيب عن الأفكار التربوية للمفكرين العرب بدلًا من استيراد الفكر الغربي الذي لا ينسجم مع مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

٤. دراسة الفكر التربوي عند علماء التربية المعاصرين أمثال د/ سعيد إسماعيل علي د/ مصطفى رجب د/حامد عمار، د/أنور الجندي وغيرهم للاستفادة من خبراتهم التربوية الحديثة للنهوض بواقع التربية المعاصرة.